الباب الثاني

اهتمام المحدثين بنقد متن الحديث :

توطئة

النقد عند المحدثين يدور حول الراوي والسند والمتن .

الصحابة اهتموا بنقد المتن .

التابعون والاهتمام بنقد المتن .

النقد يتخذ شكلاً جديداً في عصر الأتباع .

علماء المصطلح لم يقتصروا على مباحث الإسناد .

قانون الاعتبار والمعارضة لنقد المتن .

نقد المتن لم يكن جُزافاً .

دور التاريخ في نقد المتن .

الاهتمام بالمتن واضح في رواية الحديث باللفظ .

الأمثلة الأخرى لنقد المتن .

نقد المتن

لقد كثر الكلام من المستشرقين وأتباعهم حول عدم اهتمام المحدثين النقاد بنقد المتن. فإنهم لما وجدوا أنفسهم مبهورين أمام القواعد والأصول الدقيقة التي أجراها النقاد لتمييز الصحيح مما هو ليس بصحيح. جاءوا بهذه الفرية. وكل صاغها في أسلوبه، والهدف واحد، وهو الإيهام بأن جهود المحدثين كانت منصبة على نقد السند فقط. وقد أتيت في المقصد الخامس من التمهيد ببيان الخطوات التي سار عليها النقاد في نقد الحديث. فذكرت فيها أن المحدثين كما عُنوا بدراسة حال الراوي كذلك عُنوا بدراسة حال المروي.

وقد أثبت هنالك أن نقد السند هو الأهم وجئت بقول الإمام الشافعي أنه لا يستدل على أكثر صدق الحديث وكذبه إلا بصدق المخبر وكذبه، إلا في الخاص القليل من الحديث[١].

وفي ذلك المبحث فصلت القول في أن المحدثين راعوا العقل في كل ما كان يتصل بنقد الحديث[٢].

وكان هذا كافياً لتنفيذ ما ذهب أولئك المتشدقون على سبيل الإجمال ولكن أغراضهم المشبوهة تقتضي أن أتقصى الموضوع بتفصيل أكثر وببيان أدلة أوضح، حتى يزهق الباطل ويتبين لكل ذي إنصاف أن شبههم إن هي إلا قذى في عين الحاسد.

فأقول، وبالله التوفيق:

النقد عند المحدثين يدور حول الراوي والسند والمتن:

أما نقد الراوي، فله مؤلفات معروفة لدى أهل هذا الشأن.

---

(١) الرسالة للشافعي/ ٣٩٩.

(٢) راجع المقصد الخامس من المدخل: الإهتمام بنقد الحديث أولا.

وأما نقد السند، فقد أتيت على بيان اهتمامهم به في المباحث التي مرت بنا حتى الآن.

وأما نقد المتن، فهو هذا الذي نحن بصدده الآن.

وكل هذا، كان الهدف منه هو الوصول إلى صحيح ما قاله الرسول ﷺ. فإن المضمون هو الذي كان يعني هؤلاء النقاد[١].

الصحابة اهتموا بنقد المتن :

والاهتمام بنقد المتن لم يكن أمراً جدَّ في العصور المتأخرة. ولكن الصحابة هم الذين وضعوا الأسس الأولية لهذا الاهتمام بنقد المتن.

كانوا يردون بعض ما يروى لهم من الأحاديث لعدم اتفاق المروي مع ما يظن العالم منهم أنه من قواعد الدين.

وهذا ظاهر في قول عائشة رضى الله عنها : « أو نجس موتى المسلمين؟ وما على رجل لو حمل عوداً »[٢].

وذلك عندما سمعت أبا هريرة يروي : من غسل ميتاً اغتسل، ومن حمله توضأ. وقال ابن عباس في ذلك أيضاً : لا يلزمنا الوضوء في حمل عيدان يابسة[٣].

وفي قول ابن عباس : يا أبا هريرة، أنتوضأ من الدهن؟ أنتوضأ من الحميم؟ عندما سمعه يحدث عن رسول الله ﷺ : الوضوء مما مست النار، ولو من ثور إقط[٤].

وكذلك عندما روى عمر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : إن الميت يُعذب

---

(١) انظر مقدمة ابن الصلاح / ٤٢، ٤٣.

(٢) الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة / ١٣٥. قال الزركشي : إن جماعة من الصحابة رووا هذا الحديث، ولم يذكروا فيه الوضوء من حمله منهم عائشة، أخرجه أبو داود، ومنهم أبو حذيفة أخرجه البيهقي، وهو يقوي إنكار عائشة.

(٣) الإتجاهات الفقهية للدكتور عبدالمجيد محمود ص/ ١٥١.

(٤) الترمذي مع تحفة الأحوذي باب ماجاء في الوضوء مما غيرت النار ١/ ٢٥٦ والإقط : هو اللبن المجفف المستحجر.

ببكاء أهله عليه .

ردت عليه عائشة قائلة : إنما قال النبي ﷺ في يهودية : إنها تُعذب ، وهم يبكون عليها[١] .

وقد توقف عبدالله بن عمر رضي الله عنهما من قبول حديث أبي هريرة « من تبع جنازة فله قيراط ، حتى سأل عائشة التي صَدّقت أبا هريرة . فقبل الحديث . وقال لقد فرطنا في قراريط كثيرة[٢] .

ومن هذا الباب قول عمر : لاندع كتاب ربنا وسنة نبينا لقول امرأة لعلها حفظت أو نسيت .

وهو بهذا ينتقد حديث فاطمة بنت قيس : طلقني زوجي ثلاثاً على عهد النبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ : لاسُكنى لك ولا نفقة[٣] .

ومن هذا النوع ما ورد في مشكل الآثار من رواية عبيد بن رفاعة الأنصاري قال : كنا في مجلس زيد بن ثابت ، فتذكروا الغسل من الإنزال . فقال زيد : ما على أحدكم إذا جامع فلم يُنزل إلا أن يغسل فرجه ويتوضأ وضوءه للصلاة .

فقام رجل من أهل المجلس ، فأتى عمر ، فأخبره بذلك . فقال عمر للرجل : اذهب أنت بنفسك فأتني به ، حتى تكون أنت الشاهد عليه .

فذهب فجاءه به ، وعند عمر ناس من أصحاب رسول الله ﷺ ، منهم علي ابن أبي طالب ومعاذ بن جبل ، فقال له عمر : اي عدى نفسه ، تفتي الناس بهذا؟ فقال زيد : أما والله ما ابتدعته ولكن سمعته من أعمامي رفاعة بن رافع ومن أبي أيوب الأنصاري .

فقال عمر ، لمن عنده من أصحاب رسول الله ﷺ : ما تقولون؟ فاختلفوا

---

(١) صحيح مسلم باب الميت يعذب ببكاء أهله (٢/ ٦٣٨) والإجابة ص٧٦ ، ٧٧ .

(٢) المصدر نفسه ٢/ ٦١١ .

(٣) الترمذي مع تحفة الأحوذي باب ما جاء في المطلقة ثلاثا لا سكن لها ولا نفقة ٤/ ٣٥١ .

عليه. فقال عمر : يا عباد الله قد اختلفتم وأنتم أهل بدر الأخيار. فقال له علي : فأرسل إلى أزواج النبي ﷺ، فإنه إن كان شيء من ذلك ظهرن عليه.

فأرسل إلى حفصة فسألها، فقالت : لا علم لي بذلك. ثم أرسل إلى عائشة فقالت : إذا جاوز الختان الختان فقد وجب الغسل.

فقال عمر عند ذلك : لا أعلم أحداً فعله ثم لم يغتسل إلا جعلته نكالاً[1].

وهكذا نظروا في متن الحديث. ولم يكن هناك فاصل يفصل بينهم إلا عرضه على الصحابة الذي يطبقون ما يعلمون عن رسول الله ﷺ.

والمقصود من هذه الأمثلة هو الاستدلال على أن الصحابة نظروا في المتون، وليس الغرض هنا مناقشة آرائهم وترجيح بعضها على البعض. لأنه ليس هذا محله.

ولكن الذي ينبغي أن لا يفوتني من الذكر : أن ردهم لبعض الأحاديث لم يتعدى الاختلاف في فهم تلك الأحاديث، أو أن مدلول الحديث كان معمولاً به، ثم نُسخ بعد ذلك، ولم يبلغ راويه هذا النسخ، فظل على العمل بروايته. أو توقف الصحابي فيما لو يبلغه من الأحاديث، حتى يتأكد من أنها صدرت من رسول الله ﷺ.

التابعون والاهتمام بنقد المتن :

وقد أصبح هذا الاتجاه قوياً عند التابعين ومن بعدهم من الأئمة النقاد من المحدثين. فهم بالإضافة إلى اهتمامهم بالإسناد ونقد الرجال الذين هم معيار صدق الحديث أو كذبه. كانت لهم نظرات في متن الحديث وتوثيقه بعيداً عن السند :

١ ـ حدث سويد بن عبدالعزيز عن مغيرة قال : خرجنا إلى شيخ بلغنا أنه يحدث بأحاديث. فلما انتهينا إلى إبراهيم (يعني النخعي) قال : ما حسبكم،

---

(١) الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة ص٧٨.

قلنا : أتينا شيخاً يحدث بأحاديث . قال إبراهيم : لقد رأيتنا وما نأخذ بالأحاديث إلا ممن يعرف وجوهها . وإنا لنجد الشيخ يحدث بالحديث يحرف حلاله من حرامه وما يعلم[١] .

٢ ـ قال أيوب السختياني[٢] : إذا أردت أن تعرف خطأ معلمك فجالس غيره[٣] . يعني أن المرء يستطيع أن يُدرك خطأ الراوي في الحديث بهذا الطريق .

٣ ـ وقد قال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ، قال أخبرنا أيوب عن ابن أبي مليكة[٤] قال : قال لي : ألا تعجب ، حدثني القاسم عن عائشة أنها قالت : أهللت بالحج . . وحدثني عروة عنها أنها قالت : أهللت بعمرة ، ألا تعجب؟[٥] .

٤ ـ وقال الترمذي : أنا عبدالله بن صالح ، ثني معاوية بن صالح عن عبدالرحمن ابن جبير بن نفير عن أبي الدرداء قال : كنا مع النبي ﷺ ، فشخص بصره إلى السماء ، ثم قال : هذا أوان يُختلس العلم من الناس ، حتى لا يقدروا منه على شيء .

قال ابن جبير[٦] : فلقيت عبادة بن الصامت ، فقلت : ألا تسمع ما يقول أخوك أبو الدرداء ، فأخبرته بالذي قال أبو الدرداء . قال : صدق أبو الدرداء[٧] .

---

(١) كتاب التمهيد جـ١ ص٢٩ .

(٢) أحد الأئمة الأعلام من التابعين ، توفي (١٣١ هـ) انظر خلاصة التذهيب .

(٣) سنن الدارمي باب الرجل يفتي بشي ثم يبلغه عن النبي ﷺ ١/ ١٥٣ .

(٤) هو عبدالله بن عبيدالله التيمي أدرك ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ . مات سنة (١١٧ هـ) . (انظر تقريب التهذيب ص ١٨١) .

(٥) العلل للإمام أحمد/ ٣٩٦ .

(٦) الحضرمي أبو حميد الشامي ، عن أبيه وأنس ، مات سنة (١١٨ هـ) .

(٧) الترمذي كتاب العلم باب ما جاء في ذهاب العلم (٥/ ٣١، ١٢) .

٥ ـ وروى مسلم في صحيحه قال : حدثنا محمد بن المنكدر عن سعيد بن المسيب عن عامر بن سعد بن وقاص عن أبيه قال قال رسول الله ﷺ لعلي : « **أنت مني بمنزلة هارون من موسى ، إلا أنه لا نبي بعدي** » .

قال سعيد[١] : فأحببت أن أشافه بها سعداً ، فلقيت سعداً ، فحدثته بما حدثني عامر . فقال : أنا سمعته . فقلت : أنت سمعته؟ فوضع إصبعَيه على أذنيه فقال : نعم ، وإلا فاستكّتا[٢] .

٦ ـ وروي عن سعيد بن جبير قال : سألت ابن عمر عن نبيذ الجر ، فقال : حرم رسول الله ﷺ نبيذ الجر ، فأتيت ابن عباس ، فقلت : ألا تسمع ما يقول ابن عمر؟ قال : وما يقول : قلت : قال : حرم رسول الله ﷺ نبيذ الجر . فقال : صدق ابن عمر ، حرم رسول الله ﷺ نبيذ الجر فقلت : وأي شيء نبيذ الجر؟ فقال : كل شيء يصنع من المدر[٣] .

وهكذا ، نجد أن التابعين نظروا في المتون كلما احتاجوا إلى التثبت لأنَّ الأمثلة المتقدمة تدل على أنهم لم يشكوا في عدالة الراوي وإنما خطر ببالهم : أن يكون هناك بعض الإنحراف في متن الحديث لخطأ من الراوي . فأرادوا أن يتثبّتوا من صحته بالسؤال من عالم آخر .

وهذا هو الذي توسع فيما بعد ، وتفرفت طرقه حتى أصبح يُدعى بنقد المتن .

النقد يتخذ شكلاً جديداً في عصر أتباع التابعين :

فلما جاء أتباع التابعين ، اتخذ النقد شكلاً جديداً ، حيث تخصص له بعض

---

(١) رأس علماء التابعين ت٩٣هـ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب فضائل الصحابة (١٥/ ١٧٤ ، ١٧٥) .

(٣) المدر : هو التراب .

النقاد، مثل مالك والثوري وشعبة[١].

ومن بعدهم أمثال عبدالله بن المبارك ويحيى بن سعيد القطان، وعبدالرحمن بن مهدي والإمام الشافعي[٢].

ومن بعدهم يحيى بن معين وعلي بن المديني والإمام أحمد[٣].

وكانت كتبهم تدور حول نقد الحديث سنداً ومتناً[٤].

وقد نُقل عنهم أقوال تدل بكل وضوح أن رفضهم لكثير من الرواة كان يعود إلى الاهتمام بالمتن في الدرجة الأولى. فإذا عرفوا عن رجل أنه مغفل لا يُدرك ما يُقرأ عليه، ولا يُفرق بين الصحيح والغلط في المتون، وضِعَ في قائمة المجروحين، ليس لقلة في العدالة أو ضعف في الأمانة، وإنما لعدم كفاءته لضبط المتون ونقلها على ما وردت عليه من مصدرها الأول.

وإلى هذا الاهتمام من أئمة النقد أشار ابن عبدالبر عندما قال: وقد يكون المحدث عدلاً جائز الشهادة، ولا يعرف معنى ما يحمل، فلا يحتج بنقله.

ثم نقل عنهم بعض ما يدل على اهتمامهم بهذا واختصاصهم في هذا الفن:

١ ـ قال علي بن المديني: سمعت يحيى بن سعيد، يعني القطان، يقول: ينبغي لصاحب الحديث أن تكون فيه خصال: ينبغي أن يكون جيد الأخذ ويفهم ما يقال له. ويبصر الرجال ويتعاهد ذلك من نفسه.

وقال ابن مهدي: إن لأدعو الله لقوم قد تركت حديثهم.

٢ ـ قال أحمد بن حنبل: سمعت يزيد بن هارون يقول: قد تجوز شهادة الرجل ولا يجوز حديثه.

وقال أيوب: إن بالبصرة رجلاً من أزهدهم وأكثرهم صلاة.. لو شهد عندي

---

(١) كتاب المجروحين ١/ ٤٠.

(٢) المصدر نفسه ١/ ٥٢.

(٣) المصدر نفسه ١/ ٥٤.

(٤) راجع المقصد الرابع من المدخل: كتابة علم نقد الحديث.

شهادة ما أجزت شهادته . يريد : فكيف أقبل حديثه .

علماء المصطح لم يقتصروا على مباحث الإسناد :

ومن بعد ما ذكرنا، جاء الدور الذي بدأ فيه الأئمة يؤلفون في مصطلح الحديث . ولم يقتصروا ـ كما قلت سابقاً ـ على مباحث الإسناد، بل جاوزوها إلى المسائل المتعلقة خاصة .

لأنهم كانوا يدركون تمام الإدراك أن المتن هو المقصود . فدارت أبحاثهم في محيط ثنائي مؤلف من السند والمتن :

١ ـ فهم عندما عَرَّفوا الحديث الصحيح، قالوا : الصحيح، هو ما اتصل سنده بنقل العدل الضابط عن مثله، وسَلِم عن شذوذ وعلة .

فقولهم : « وسلم عن شذوذ وعلة » راجع إلى نقد المتن، كما هو راجع إلى نقد السند . لأن الشذوذ قد يكون في السند، وقد يكون في المتن .

وقد مر بيان الشذوذ في السند . وسيأتي بيان الشذوذ في المتن إن شاء الله .

وكذلك « العلة » فإن سلامة الحديث عنها تعود إلى المتن كما تعود إلى السند .

أما العلة في السند، فإنها أمر لا خلاف فيه، تظهر للنقاد عند جمع طرق الحديث والفحص عنها .

وأما العلة في المتن، فهي كذلك واقعة، تظهر للجهابذة في هذا الفن وسيأتي بيان هذا في المباحث القادمة إن شاء الله .

ثم أن كلمة « العدالة » تشمل صفات في الراوي تُوجب تأكده من كون المتن صحيحاً غير معلول .

وهذا كله دليل على أن المحدثين نظروا في المتن كما نظروا في السند .

٢ ـ وهم قسموا « الحديث الحسن » إلى الحسن لذاته والحسن لغيره . وهما قسمان دون الصحيح في الدرجة .

وقد اشترطوا فيهما، مثل الصحيح، أن يخلوا عن شذوذ وعلة. وهما يوجدان في المتن كما يوجدان في السند، أي أنهما يحتفظان بدرجتهما بشرط خلوهما عن الشذوذ والعلة.

ولذلك قال العلماء، إنه إذا قيل: هذا حسن الإسناد أو صحيح الإسناد فهو دون قولهم: حديث حسن صحيح، أو حديث حسن، وذلك لأنه قد يصح إسناد الحديث، أو يحسن، لاتصاله وثقة رواته وضبطه، دون المتن لشذوذ فيه أو علة يطلع عليها الجهابذة، فيقولون: صحيح الإسناد أو حسنه.

وكثيراً ما يستعمل ذلك الحاكم في مستدركه.

ولا شك أن الإمام الناقد لا يعدل عن قوله «صحيح» إلى قوله «صحيح الإسناد» إلا لأمر ما في المتن[١].

٣ـ **وأنواع الضعيف**: يذكرها المحدثون في كتب المصطلح، نظرة فاحصة في تلك البحوث كفيلة بأن تعطي المرء يقيناً بأن المتن شمل اهتمام العلماء تماماً مثل إهتمامهم بالسند:

(أ) **فالحديث المقلوب**: هو الحديث الذي وقع في متنه أو في سنده تغيير بإبدال لفظ بآخر أو جملة بأخرى أو تقديم المتأخر وتأخير المتقدم.

وسيأتي بيان القلب في المتن إن شاء الله.

وأدل دليل على أن المحدثين اهتموا بالمتن، كما اهتموا بالسند، هو ما ثبت: أن البخاري قَدِمَ بغداد، فاجتمع قوم من أصحاب الحديث وعمدوا إلى مائة حديث فقلبوا متونها وأسانيدها وجعلوا متن هذا الحديث لإسناد آخر، وإسناد هذا المتن لمتن آخر، ثم حضروا مجلسه وألقوها عليه، فلما فرغوا من إلقائها، إلتفت إليهم، فرد كل متن إلى إسناده وكل إسناد إلى متنه، فأذعنوا له بالفضل[٢].

---

(١) راجع تدريب الراوي/ ٩١ معرفة علوم الحديث/ ٩٨ ومقدمة ابن الصلاح/ ٩٨ ـ ١٠٣.

(٢) راجع تفاصيل الواقعة في تاريخ بغداد ٢/ ٢٠، ٢١.

(ب) **وهكذا الحديث المضطرب** : فإن الاضطراب قد يكون في السند وقد يكون في المتن وسيأتي بيانه .

(جـ) **والمدرج** : وهو عبارة عن أن يُدخِل الراوي شيئاً من كلامه أو من كلام غيره في الحديث ، فيتوهم السامع أن هذا الكلام المدرج من نفس الحديث .

(د) **والمصحف** : وهو الذي تغير بنقط الحروف أو حركاتها أو سكناتها مع بقاء صورة الخط في السياق ، وهو قد يقع في الأسماء التي في الأسانيد ولكنه أكثر ما يكون في المتون .

والتصحيف في جميع صوره المتعلقة بالمتن ، غالباً ما يغير المتن ويشوه الحقائق ، ولا سيما إذا كان المصحف قليل المعرفة سيء الحفظ .

وكثرة وقوع التصحيف حملت النقاد على العناية بمعرفته في جميع صوره . وصنفوا في ذلك كتباً كثيرة طُبع بعضها ولا يزال أكثرها مخطوطاً .

(هـ) **وزيادة الثقة** : وهذه قد تكون مخالفة منافية لما رواه ، أو لا تكون فيها منافاة ولا مخالفة أصلاً ، أو تكون بين المرتبتين ، مثل زيادة لفظة في حديث لم يذكرها سائر من روى ذلك الحديث .

مثل حديث : وجُعلت لنا الأرض كلها مسجداً ، وجُعلت تربتها لنا طهوراً ، إذا لم نجد الماء .

فقد رواه الإمام البخاري بلفظ : وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً[١] . وكذلك الإمام مسلم[٢] .

أما الزيادة (وجعلت تربتها لنا) فقد تفرد بها أبو مالك سعد ابن طارق الأشجعي[٣] .

فالبحث عن هذه الزيادة . وما يترتب على أمثالها من الاختلاف في الحكم يعتبر

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب التيمم (١/ ٨٦) .

(٢) صحيح مسلم كتاب المساجد حديث ٥٢١ ، ٥٢٣ .

(٣) المصدر نفسه/ ٥٢٢ ، والحديث رواه أبو داود ، الصلاة/ ٢٤ والترمذي السيرة/ ٥ وغيرهم .

من صميم المباحث المتعلقة بالمتن .

٤ ـ وكذلك الحديث « الموضوع » :

فقد وضع العلماء للكشف عنها قواعد علمية دقيقة ، أكثرها يعود إلى البحث عن حقيقة المتن :

منها : أن يكون في المَروي لحن في العبارة . أو ركة في المعنى . لأنه يستحيل أن يصدر مثله من أفصح من نطق بالضاد عليه الصلاة والسلام .

ومنها : أن يكون مفاده مخالفاً للعقل ضرورة أو استدلالاً . ولا يقبل تأويلاً .

ومنها : أن يخالف المروي دلالة الكتاب القطعية أو السنة المتواترة أو الإجماع القطعي أو دليل العقل . ولم يقبل التأويل ليوافق ما خالفه .

ومنها : أن يكون خبراً عن أمر جسيم تتوفر الدواعي على نقله لمحضر جمع عظيم ، ثم لا يرويه إلا واحد .

ومنها : أن يكون المروي قد تضمن الإفراط بالوعيد الشديد على الأمر الصغير أو الوعد العظيم على الفعل الحقير[١] .

وستأتي تفاصيل هذا المبحث في الفصل الثالث من هذا الباب إن شاء الله .

٥ ـ وقالوا : إنّ مرسل الصحابة مقبول رغم انقطاع السند ، لأن المتن الذي يحكيه الصحابة لا يُعقل أن يكون مخترعاً ، لأنهم عدول بإجماع المسلمين[٢] ومن كان منهم يرسل الحديث ، فإنما هو عن مثله[٣] .

٦ ـ وقالوا : لا يطلق الحكم بصحة حديث ما ، لجواز أن يكون فيه علة في

---

(١) انظر الباعث الحثيث ص٧٨ ـ ٨٦ والمنار المنيف ص١٩ وما بعدها ومعرفة علوم الحديث ص٦٢ وتدريب الراوي ص١٧٩ ، ١٨٠ .

(٢) راجع التبصرة لأبي اسحاق الشيرازي ص٣٢٩ وفتح المغيث ١/ ١٤٧ .

(٣) جامع التحصيل في أحكام المراسيل ص٧٢ ، ٧٣ .

متنه[١].

وهذا كله دليل واضح لا يقبل أي جدل أن المحدثين عُنوا بالمتن تماماً كما عنوا بالسند، وأن مقاييسهم في السند لا يمكن أن تفصل عن مقاييسهم في المتن. لأن المحدثين إنما كانوا يقصدون « العناية بالمتن » من وراء كل ما قاموا به من الجهود في سبيل التدقيق للأسانيد والتمحيص عنها.

إذ أن تجاربهم العلمية الدقيقة أفادتهم بأنه إذا اشتمل السند على رجال موثوقين من جهة العدالة والحفظ والضبط، فإن المتون تكون صحيحة سالمة من التغيير والتحريف، وأنه ندر وَجود وهم في المتن إذا استقام السند وجاء على شروط المحدثين.

٧ ـ **قالوا**: إذا قام عند الناقد الأدلة ما غلب على ظنه معه بطلان نسبة الخبر إلى النبي ﷺ. فقد يقول « باطل » أو « موضوع » وكلا اللفظين يقتضي أن الخبر مكذوب عمداً أو خطأً.

وهذه النتيجة قد يصل إليها الناقد بعد نقد خفي للمتن مع كون الراوي غير ثقة.

٨ ـ **قد تتوافر الأدلة على البطلان**، مع أن الراوي الذي يصرح الناقد بإعلال الخبر به. لم يتهم بتعمد الكذب، بل قد يكون صدوقاً فاضلاً. ولكن يرى الناقد أنه غلط وأدخل عليه الحديث. وهذا ربما يكون من جهة نقد المتن.

ولذلك نجد ابن الجوزي كثيراً ما يذكر الخبر، ويتكلم في راو من رجال سنده فيتعقبه بعض من جاء بعده بأن ذلك الراوي لم يتهم بتعمد الكذب.

وذلك لأن ابن الجوزي تأكد لديه ـ بعد فحصه للمتن ـ أن الراوي غلط أو أدخل عليه الحديث. فيعود إلى الرواة ليرى من الذي جاء من طرفه الخطأ. فإذا وجد فيه علة ولو غير قادحة ذكره بها.

وذلك لأن الأئمة المحققين إذا استنكروا المتن، وكان ظاهر السند الصحة فإنهم

---

(١) راجع تدريب الراوي مع التقريب ص٩١، ٩٢.

يتطلبون له علة، فإذا لم يجدوا علة قادحة مطلقاً. حيث وقعت، أعلوه بعلة ليست بقادحة مطلقاً، ولكنهم يرونها كافية للقدح في ذلك المنكر.

فمن ذلك إعلال الحديث، بأن راويه لم يصرح بالسماع، مع أن الراوي غير مدلس، أعل البخاري بذلك خبراً رواه عمر بن أبي عمرو مولى المطلب عن عكرمة[١].

وكذلك أعل أبو حاتم خبراً رواه الليث بن سعد عن سعيد المقبري[٢]. ومن ذلك إعلالهم بظن أن الحديث أُدخِل على الشيخ، كما ترى في لسان الميزان في ترجمة الفضل ابن الحباب.

قال الحافظ، روى عنه ابن عبدالبر في «الاستذكار» من طريقه حديثاً منكراً جداً، ما أدري، من الآفة فيه. قال حدثنا الفضل بن الحباب حدثنا هشام بن عبدالملك الطيالسي حدثني شعبة عن أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من وسع على نفسه وأهله يوم عاشوراء وسع الله سائر سنته.

قال الحافظ: الظاهر، أن الغلط فيه من أبي خليفة، فلعل ابن الأحمر سمعه منه بعدا احتراق كتبه[٣].

وحجتهم في هذا، أن قدم القدح بتلك العلة مطلقاً، إنما بُني على أن دخول الخلل من جهتها نادر. فإذا اتفق أن يكون المتن منكراً ويغلب على ظن الناقد بطلانه، فقد يتحقق وجود الخلل. وإن لم يوجد له سبب، إلا تلك العلة، فالظاهر أنها هي السبب.

وبهذا يتبين أن ما يقع ممن دونهم من التعقب بأن تلك العلة غير قادحة إنما هو

---

(١) تهذيب التهذيب ٨/ ٨٣ قال البخاري: روى عن عكرمة في قصة البهيمة فلا أدري سمع أم لا.

(٢) علل الحديث ٢/ ٣٥٣ قال أبو حاتم: هذا الحديث ليس هو في كتاب أبي صالح عن الليث نظرت في أصل الليث وليس فيه هذا الحديث. ولم يذكر أيضا الليث في هذا الحديث خبراً ويحتمل أن يكون سمعه من غير ثقة ودلسه ولم يروه غير أبي صالح.

(٣) لسان الميزان ٤/ ٤٤٠.

غفلة عما تقدم من الفرق، وأن الناقد انتبه أولاً لسبب قادح في المتن. فبحث عن علة في رواة الحديث فوجدها، لأن الحديث الضعيف لا يأتي إلا من جهة الراوي الضعيف[١].

٩ ـ قانون الاعتبار والمعارضة لنقد المتن:

ومن الأنواع الحديثه التي ذكرها النقاد لنقد الحديث نوع يسمى: « معرفة الاعتبار والمتابعات والشواهد ».

قال ابن الصلاح: معرفة الاعتبار والمتابعات والشواهد، هذه أمور يتداولونها في نظرهم في حال الحديث، هل تفرد به راويه أولاً وهل هو معروف أولاً.

ثم نقل عن ابن حبان: أن طريقة الاعتبار في الأخبار مثاله: أن يروي حماد بن سلمة حديثاً لم يتابع عليه، عن أيوب عن ابن سيرين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ. فيُنظر، هل روى ذلك ثقة غير أيوب عن ابن سيرين، فإن وجد، علم أنّ للخبر أصلاً يرجع إليه وإن لم يوجد ذلك، فثقة غير ابن سيرين رواه عن أبي هريرة وإلا فصحابي غير أبي هريرة رواه عن النبي ﷺ.

فأي ذلك وجد، يُعلم به أن للحديث أصلاً يرجع إليه وإلا فلا[٢].

وقال في مبحث ضبط الراوي: نعتبر رواياته بروايات الثقات المعروفين بالضبط والإتقان، فإن وجدنا رواياته موافقة، ولو من حيث المعنى لرواياتهم. أو موافقة لها في الأغلب والمخالفة نادرة. عرفنا حينئذ كونه ضابطاً ثبتاً، وإن وجدناه كثير المخالفة له عرفنا اختلال ضبطه ولم نحتج بحديثه[٣].

وبهذا عرفنا أن الاعتبار: هو مقارنة رواية بروايات أخرى أو معارضتها بأمور

---

(١) راجع مقدمة العلامة عبدالرحمن المعلمي على الفوائد المجموعة للشوكاني ص/ ز ـ ط.
(٢) مقدمة ابن الصلاح/ ٧٤، ٧٥.
(٣) المصدر نفسه/ ٩٥، ٩٦.

أخرى مثل القرآن الكريم أو السنة المتواترة أو الإجماع للتأكد من أن الرواية صحيحة وأن المتن لم يطرأ عليه تحريف أو تبديل أو نقص أو زيادة.

والحديث المتابع: هو ما وافق راويه راوٍ وآخر، ممن يصلح أن يخرج حديثه فرواه عن شيخه أو من فوقه (بلفظ مقارب)[١].

وأما الشاهد: فهو ما وافق راوٍ راويه عن صحابي آخر، بمتن يروى من حديث صحابي آخر يُشبهه في اللفظ والمعنى، أو في المعنى فقط.

ثم قالوا: إن « المتابع التام »: ما جاءت المتابعة فيه للراوي نفسه. و« المتابع اللفظي »: هو الذي يعزز متن الحديث لفظاً. و« الشاهد المعنوي »: هو الذي يعزز معنى الحديث لا لفظه[٢].

فنرى أن المباحث هذه كلها تدور حول نقد المتن، وأن دلالة الاعتبار ومعارضة رواية بروايات أخرى لها دور كبير في نقد المتون.

وأن النقاد تارة كانوا يقارنون بين الروايات، وتارة أخرى كانوا يعارضونها بالقرآن الكريم. ومرة ثالثة بالسنن المتواترة، وأحياناً يُحكمون عقولهم. وكان غرضهم الوحيد من كل هذا: هو نقد المتن والتأكد من صحته.

وهذا الذي ذكره الخطيب في مبحث: الطريق إلى معرفة فساد الخبر إذ قال:

١ ـ أن يكون مما تدفع العقول صحته بموضوعها والأدلة المنصوصة فيها.

٢ ـ أن يكون مما يدفعه نص القرآن أو السنة المتواترة.

٣ ـ أو أجمعت الأمة على ردها[٣].

وهنا ينبغي أن لا يفوتني أمر هام من البيان:

وهو أن كثيراً من الاصطلاحات التي أطلقها المحدثون على الرواة، إن هي

---

(١) انظر قواعد التحديث/ ١٢٨.

(٢) راجع شرح النخبة/ ٣٧، ٣٨ وتدريب الراوي/ ١٥٣ ـ ١٥٦ وقواعد التحديث/ ١٢٩.

(٣) الكفاية صـ٥١.

إلا تسميات لنتائج مقارنات ومعارضات أجراها المحدثون بين الروايات العائدة للرواة. فالنقاد يدرسون مرويات الراوي في ضوء مرويات غيره. وينظرون في حديثه ويقارنونه بمرويات غيره. ثم يطلقون على الراوي لفظاً يحدد مقدار ضبطه ودرجة مرويه. فراوٍ يقولون عنه مثلاً: ثقة أو متقن أو ثبت. وآخر يقولون عنه: صدوق أو محله الصدق أو لا بأس به. وإذا كان راو أدنى منه. فيقولون عنه «شيخ» أو « صالح الحديث ».

وهذا يعني أنهم درسوا المتون وقارنوها بمتون أخرى. فتبين لهم أن هذا الراوي يأتي بمتون صحيحة من دون تحريف أو تبديل أو يحرف ويغيّر أو ينقص أو يزيد. فيختارون كلمة يطلقونها على نتيجة هذه الدراسة للمتون المروية من جهة ذلك الراوي. فهذا في حقيقة الأمر « نظر في المتن » ودراسة له. حتى إذا أطلق على راو أنه ثقة مثلاً فالمفهوم منه: أن المتون المروية بواسطة هذا الراوي درجتها عالية يحتج بها. وإذا قيل: صدوق أو محله الصدق، فمعناه: أنه يكتب حديثه وينظر فيه. وإذا قيل: صالح الحديث، فإنه يكتب حديثه للاعتبار[١].

وعند الرجوع إلى كتب الأحاديث يتبيّن أن قانون الاعتبار والمعارضة طبقه الصحابة:

طبّقه أبو بكر رضي الله عنه:

روى الإمام مالك في الموطأ والترمذي في سننه عن قبيصة بن ذؤيب أنه قال: جاءت الجدة إلى أبي بكر الصديق تسأله ميراثها. فقال لها أبو بكر مالك في كتاب الله شيء، وما علمت لك في سنة رسول الله ﷺ شيئا. فارجعي حتى أسأل الناس فسأل الناس. فقال المغيرة بن شعبة: حضرت رسول الله ﷺ، أعطاها السدس، فقال أبو بكر: هل معك غيرك. فشهد محمد بن مسلمة مثل ذلك[٢].

---

(١) انظر معرفة علوم الحديث / ٧١ والجرح والتعديل ١/ ١/ ٣٧ ومقدمة ابن الصلاح / ١٥٨ وفتح المغيث ١/ ٣٦٨.

(٢) الموطأ، الفرائض باب ٤ والترمذي، الفرائض باب ١٠.

وطبّقه عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

روى الإمام مسلم والبيهقي عن المسور بن مخرمة قال : استشار عمر ابن الخطاب الناس في املاص المرأة[١] . فقال المغيرة بن شعبة : شهدت النبي ﷺ قضى فيه بغرة عبد أو أمة ، قال : فقال عمر ائتني بمن يشهد معك . قال فشهد له محمدبن مسلمة[٢] .

وطبّقة غيرهما من الصحابة :

فقد توقف عبدالله بن عمر رضي الله عنهما عن قبول حديث أبي هريرة « من تبع جنازة فله قيراط من الأجر » حتى سأل عائشة التي صدّقت أبا هريرة . فقبل الحديث ، وقال : لقد فرطنا في قراريط كثيرة[٣] .

وطبّقه التابعون ، طبّقه الزهري :

روى البخاري عن ابن شهاب (الزهري) قال أخبرني عروة بن الزبير وابن المسيِّب وعلقمة بن وقاص وعبيدالله بن عبدالله عن حديث عائشة رضي الله عنها . وبعض حديثهم يصدق بعضاً حين قال لها أهل الإفك ما قالوا[٤] .

وطبّقه شعبة :

سأل خالد بن طليق شعبة ، فقال له : يا أبا بسطام حدثني حديث سماك بن حرب في اقتضاء الورق من الذهب حديث ابن عمر ، فقال : أصلحك الله ، هذا حديث ليس يرفعه أحد إلا سماك . قال : فترهب أن أروي عنك؟ قال : لا ، ولكن

---

(١) يقال : أملصت المرأة جنينها أي وضعته قبل أوانه .
(٢) صحيح مسلم مع شرح النووي ، باب دية الجنين (جـ١١ صـ١٧٩ ـ ١٨٠) .
(٣) صحيح مسلم بشرح النووي باب فضل الصلاة على الجنائز (٢/ ٦١١) .
(٤) البخاري مع فتح الباري كتاب الشهادات ، باب تعديل بعضهن بعضا (جـ٥ صـ٢٦٩) .

حدثنيه قتادة عن سعيد بن المسيب عن ابن عمر، ولم يرفعه.

وأخبرنيه أيوب عن نافع عن ابن عمر، ولم يرفعه. وحدثنيه داود بن أبي هند عن سعيد بن جبير ولم يرفعه.

ورفعه سماك، فأنا أفرقه[١].

وطبقه الأئمة الذين جاءوا من بعدهم[٢]:

وهو واضح لك من تتبع أقوال يحيى بن معين وأحمد بن حنبل والبخاري ومسلم وأبي حاتم وأبي زرعة الرازيين.

وقد ذكر الإمام مسلم في كتاب التمييز أمثلة أثبت بها إجراء قانون الاعتبار والمعارضة لنقد المتون وتوسع فيها. وفيما يلي بعض تلك الأمثلة:

١ ـ قال مسلم حدثنا أحمد بن يونس، حدثنا زهير، ثنا أبو اسحق قال: سألت الأسود بن يزيد عما حدثت عائشة عن صلاة رسول الله ﷺ. قالت: كان ينام أول الليل ويحيي آخره. وإن كانت له حاجة إلى أهله، قضى حاجته، ولم يمس ماء حتى ينام.

قال: فهذه الرواية عن أبي إسحاق خاطئة. وذلك أن النخعي وعبدالرحمن ابن الأسود جاءا بخلاف ما روى أبو إسحاق.

ثم روي عن إبراهيم (النخعي) عن الأسود عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا كان جنباً، فأراد أن يأكل أو ينام. توضأ وضوءه للصلاة قبل أن ينام. وروي عن عبدالرحمن بن الأسود عن أبيه عن عائشة قالت: كان

---

(١) تقدمة الجرح والتعديل/ ١٥٨.

(٢) انظر أقوال شعبة وابن مهدي وابن المبارك عن قانون الاعتبار وأهميته لمعرفة العلل في الجامع لأخلاق الراوي جـ٢ صـ٣٥٤.

رسول الله ﷺ يجنب . ثم يتوضأ وضوءه للصلاة ثم ينام حتى يصبح[١] .

٢ ـ قال مسلم : حدثنا ابن نمير ، ثنا أبي ، ثنا حجاج ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : من أعتق نصيباً له في عبد ، ضمن لأصحابه في ماله . إن كان موسراً ، وإن لم يكن له مال بذل العبد .

قال : وروى هذاالخبر غير واحد هذه الرواية عن نافع في استسعاء العبد فأعتق . والدليل على خطئه : اتفاق الحفاظ من أصحاب نافع على ذكرهم في الحديث ، المعنى الذي هو ضد السعاية ، وخلاف الحفاظ المتقنين لحفظهم ، يبين ضعف الحديث من غيره .

ثم ذكر ما روى الحفاظ من أصحاب نافع بخلاف هذه الرواية .

فقد روى مالك عن نافع ، وعبيدالله عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : من أعتق شركاً له في عبد ، فكان له مال يبلغ ثمن العبد ، قوم عليه قيمة العدل ، فأعطى شركاه حصصهم وعتق عليه العبد ، وإلا فقد عتق منه ما أعتق .

والحديث رواه الزهري عن سالم عن ابن عمر .

وسفيان بن عيينة عن عمرو عن سالم .

وحبيب بن أبي ثابت عن ابن عمر .

وعبدالعزيز عن أهل مكة عن ابن عمر .

قال : وليس في حديث واحد منهم ذكر السعاية . بل فيه بيان أنها ساقطة عن العبد[٢] .

٣ ـ قال الإمام مسلم ثنا حجاج بن الشاعر ، أنا يعقوب بن إبراهيم ، ثنا أبي ، عن

---

(١) كتاب التمييز صـ١٣٤ ، ١٣٥ وحديث أبي إسحاق رواه الإمام أحمد في المسند ٦/ ٤٣ وحديث رواه مسلم ، كتاب الحيض حديث ٢٢ وأبو داود كتاب الطهارة باب الجنب يأكل رقم ٢٢٤ وابن خزيمة باب استحباب الوضوء للجنب (١/ ١٠٧) وحديث عبدالرحمن بن الأسود رواه الإمام أحمد في مسند عائشة (انظر تلخيص الجبير جـ١ صـ١٤١) .

(٢) كتاب التمييز صـ١٤٢ ـ ١٤٣ .

ابن إسحاق. حدثني شعبة بن أبي هند، عن رجل من المغرب ـ من أهل البادية. وقليل من أهل البادية من يكذب في مثل هذا الحديث ـ أن أباه حدثه، قال لرسول الله ﷺ: يا نبي الله. أرأيت من فاتته الدفعة من عرفات؟ فقال له رسول الله ﷺ: إن وقفت عليها قبل الفجر، فقد أدركت. فقلت: يا نبي الله، أرايت إن أدركتني الفجر؟ فقال لي رسول الله ﷺ: إن وقفت عليها قبل أن تطلع الشمس فقد أدركت.

قال: هذه رواية فاسدة بلا عاضد لها في شيء من الروايات عن رسول الله ﷺ واتفق العلماء على القول بخلافها.

ثم ذكر أربع روايات، فيها: أن الحج عرفة، فمن جاء قبل طلوع الفجر ليلة جمع فقد تمّ حجه.

ثم قال: فقد تواطأت الأخبار عن رسول الله ﷺ، وعن الصحابة والتابعين من بعدهم من علماء الأمصار: أن إدراك الحج هو أن يطأ المرء عرفات مع الناس أو بعد ذلك إلى قرب الصبح من ليلة الفجر فإن أدركه الصبح، ولما يدخل عرفات قبل ذلك، فقد فاته الحج[1].

نقد المتون لم يكن جزافاً:

وبهذا تبين أن أحكام الأئمة النقاد على الأحاديث بأنها صحيحة أو ضعيفة أو لبيان درجاتها، لم تكن مجازفة، ولا ادعاءاً لعلم الغيب وإنما هي نتيجة علمية لمعارضة الأخبار، واعتبار الروايات بروايات أخرى وعلو كعب في هذا العلم وبلوغ ذروة الكمال.

وهذا لا تأتى لكل مدعٍ، كما أنه لا يفهمه كل عامي.

وهذه النقطة الهامة هي التي بينها الإمام ابن أبي حاتم الرازي عندما نقل المحاورة التي جرت بين أبيه وبين رجل من جلة أصحاب الرأي من أهل الفهم منهم،

---

(١) كتاب التمييز صـ١٥٢ ـ ١٥٣ ـ ١٥٤.

ومعه دفتر عرضه عليه، فقال في بعض الأحاديث هذا حديث خطأ قد دخل لصاحبه حديث في حديث. وقال في بعضها هذا حديث باطل. وقال في بعضها: هذا حديث منكر. وقال في بعضها: هذا حديث كذب. وسائر ذلك أحاديث صحاح.

فقال له: من أين علمت، أن هذا خطأ، وأن هذا باطل، وأن هذا كذب؟ أخبرك راوي هذا الكتاب بأني غلطت وأني كذبت في حديث كذا فقال: لا أدري، هذا الجزء من رواية من هو، غير أني أعلم أن هذا خطأ، وأن هذا الحديث باطل، وأن هذا الحديث كذب.

فقال: تدعي الغيب؟ فقال: ما هذا ادعاء الغيب. قال: فما الدليل على ما تقول؟ قال (أي أبو حاتم الرازي): سل عما قلتُ من يُحسن مثل ما أُحسن. فإن اتفقنا، علمت أنّا لم نُجازف ولم نقله إلا بفهم.

فذهب إلى أبي زرعة، فأخبره بما أخبر به أبو حاتم. وقد كتب ألفاظ ما تكلم به أبو زرعه في تلك الأحاديث. ثم رجع إلى أبي حاتم وقال: ما أعجب هذا. تتفقان من غير مواطأة فيما بينكما. فقال (أي أبو حاتم): فقد دل ذلك أنّا لم نُجازف، وإنما قلناه بعلم ومعرفة قد أوتيناه.

نقاد الحديث مثل نقاد الدنانير:

ثم شبه أبو حاتم كلام النقاد بعمل ناقد الدنانير، فيقول في بعضها: إنه مبهرج. وفي بعضها: إنه جيد فإذا سُئل: من أين علم هذا كله. هل علمه الذي صاغه، فقال: هذا علم رُزقت.

قال أبو حاتم، وكذلك نحن رُزقنا علماً لا يتهيأ لنا أن نخبرك كيف علمنا بأن هذا الحديث كذب، وهذا حديث منكر إلا بما نعرفه.

قال أبو محمد (ابن أبي حاتم) تعرف جودة الدينار بالقياس إلى غيره فإن تخلف عنه في الحمرة والصفاء علم أنه مغشوش، ويعلم جنس الجوهر بالقياس إلى غيره، فإن خالفه في الماء والصلابة علم أنه زجاج.

ويقاس صحة الحديث بعدالة ناقليه، وأن يكون كلاماً يصلح أن يكون من

كلام النبوة، ويعلم سقمه وإنكاره بتفرد من لم تصح عدالته بروايته[١].

وقال الأوزاعي: كنا نسمع الحديث فنعرضه على أصحابنا، كما يُعرض الدرهم الزائف على الصيارفة، فما عرفوا، اخترنا، وما تركوا تركنا[٢].

وقال الشافعي: وإذا اختلفت الرواية استدللنا على المحفوظ منها والغلط بهذا (يعني بموافقة أهل الحفظ أو بمخالفتهم) ووجوه سواه تدل على الصدق والحفظ والغلط[٣].

وهذا نقد للمتن عن طريق قانون الاعتبار والمعارضة، كما هو نقد للسند فبئس ما تشدق به المتشدقون من أن نقاد الحديث لم يهتموا بنقد المتن.

نقد المتن واضح في تفاصيل الشاذ والمنكر:

ومن هذا النوع ما ذكره ابن الصلاح في الحديث الذي لا يخلو رجال إسناده من مستور، ولكنه ليس مغفلا كثير الخطأ فيما يرويه، ولا هو متهم بالكذب في الحديث. ولا سبب آخر مفسق.

قال: إذا كان متن الحديث مع ذلك قد عرف بأن روي مثله أو نحوه من وجه آخر أو أكثر حتى اعتضد بمتابعة من تابع راويه على مثله أو بماله من شاهد وهو ورود حديث آخر بنحوه. فإنه يخرج بذلك عن أن يكون شاذاً أو منكراً[٤] وقال: إذا كان راوي الحديث متأخراً عن درجة أهل الحفظ والإتقان، غير أنه من المشهورين بالصدق وأكثر، وروي حديثه من غير وجه. فيرقى حديثه من درجة الحسن إلى درجة الصحيح[٥].

---

(١) انظر تقدمة المعرفة صـ٣٤٩ ـ ٣٥٠.
(٢) الجرح والتعديل ١/ ١/ ١١ والكفاية صـ٦٠٥.
(٣) الرسالة صـ٣٨٣.
(٤) مقدمة ابن الصلاح/ ١٥.
(٥) المصدر نفسه/ ١٧.

قلت : لأنه زال ما كنا نخشاه عليه من جهة سوء حفظه ، فصح هذا الإسناد والتحق بدرجة الصحيح و أما من جهة صدقه وصيانته وحرصه على متن الحديث ، فقد توفر ، لكونه من أهل الصدق والستر .

وهذا من باب الإهتمام بالمتن بلا شك .

دور التاريخ في نقد المتن :

والتاريخ الذي دوّنه أئمة الحديث له دور كبير في نقد المتون ومعرفة صحيحها من سقيمها وناسخها من منسوخها .

به يظهر تزيف مدعى اللقاء وما صدر منه من التحريف في الارتقاء ، لما تبين أن الشيخ الذي جعل روايته عنه من مقصده ، كان قد مات قبل مولده أو كان قد اختل عقله أو اختلط ، أو لم يجاوز بلدته التي لم يدخلها الطالب قط .

ومن أجل هذا ، اهتم المحدثون بمعرفة سني وفيات الرواة ، فكانت المصنفات المختلفة في علم الرجال تتضمن ذكر سني الوفيات . وينطبق ذلك على كتب معرفة الصحابة وطبقات المحدثين وكتب الجرح والتعديل وغيرها من كتب الرجال .

وقد استطاع النقاد عن طريق معرفة وفيات الرواة أن ينقدوا كثيرا من الروايات ويفضحوا الكذابين اللذين وضعوها .

لأن الراوي إذا حدث عن رجل يدعي سماعه وهو لم يُدركه ، ويختلق أسماء أشخاص وأماكن لا يعرف عنها شيئا . أو يعظم المروي عنه بصفات حسان ينسجها له بخياله الخصب أو ينسب إليه أعمالاً صالحات ليس لها أصل صحيح حوسب بالسنين ، أعني حسب سنه وسن الذي روى عنه ، فتبيَّن كذبه أو سئل عن المكان الذي ادعى السماع فيه ، أو ذكر الرواي في الرواية أمرا يكذبه التاريخ فيظهر كذبه ويتبين للناس أن الحديث الذي نسبه إلى الرسول ﷺ ليس صحيحاً .

ومن أجل هذا قال سفيان الثوري : لما استعمل الرواة الكذب ، استعملنا

لهم التاريخ[١].

وقال حفص بن غياث[٢]: إذا اتهمتم الشيخ فحاسبوه بالسنين.

قال الخطيب: يعني احسبوا سنه وسن من كتب عنه. وإذا أخبر الراوي عن نفسه بأمر مستحيل. سقطت روايته[٣].

وقال عُفير بن معدان الكلاعي[٤]: قدم علينا عمر بن موسى حمص فاجتمعنا إليه في المسجد، فجعل يقول: حدثنا شيخكم الصالح، فلما أكثر قلت له: من شيخنا هذا الصالح؟ سمّه لنا نعرفه. قال: فقال: خالد بن معدان. قلت له: في أي سنة لقيته؟ قال: لقيته سنة ثمان ومائة قلت: فأين لقيته؟ قال: لقيته في غزاة أرمنينة. قال: فقلت: اتق الله يا شيخ، ولا تكذب، مات خالد بن معدان سنة أربع ومائة، وأنت تزعم أنك لقيته بعد موته بأربع سنين[٥].

وقد ذكر السخاوي عن الإمام أحمد: أنه لما ودع أبا الحسن بن الربيع قعد معه، وأخرج ألواحه وسأله أن يُملي عليه وفاة ابن المبارك، ففعل وأنها في سنة إحدى وثمانين، وأنه سئل عن مقصده، فقال: أريد أتعرف به الكذابين[٦].

---

(١) مقدمة ابن الصلاح/ ٣٤٣ ـ ٣٤٤ والكفاية/ ١٩٣.

(٢) هو حفص بن غياث بن طلق بن معاوية النخعي أبو بكر الكوفي (١١٧ ـ ١٩٤هـ). ثقة فقيه تغير حفظه قليلا في الأخير، قال ابن معين: ثقة، وقال العجلي: ثقة مأمون فقيه.
التقريب: ٨٧، التهذيب ٢/ ٤١٥.

(٣) الكفاية/ ١٩٣ ومقدمة ابن الصلاح/ ٣٤٤.

(٤) هو عفير بن معدان الحمصي المؤذن أبو عائذ (٠٠ ـ ١٦٦هـ). إمام صالح. قال أبو داوود: «شيخ صالح ضعيف الحديث» وروى عن عطاء وقتادة وسليم بن عامر وعنه أبو اليمان، والنفيلي.
ميزان الاعتدال ٣/ ٨٣ الجرح والتعديل ٧/ ٣٦ الكاشف ٢/ ١٧١.

(٥) ذكره الخطيب بإسناده في الكفاية صـ١٩٣.

(٦) الإعلان بالتوبيخ صـ٤٧ وذكره الخطيب في الجامع لأخلاق الراوي ٢/ ٢٥٦.

ومن نقد المتن بالتاريخ ما ذكره السخاوي :

أنه أظهر بعض اليهود كتابا ، وادعي أنه كتاب رسول الله ﷺ بإسقاط الجزية عن أهل خيبر ، وفيه شهادة الصحابة رضي الله عنهم ، وذكروا أن خط علي رضي الله عنه فيه وحمل الكتاب في سنة سبع وأربعين وأربعمائة إلى رئيس الروساء أبي القاسم علي وزير القائم .

فعرضه على الحافظ الحجة أبي بكر الخطيب ، فتأمَّله ، ثم قال : (هذا مزوَّر) فقيل له : من أين لك هذا؟ قال : فيه شهادة معاوية ، وهو إنما أسلم عام الفتح . وفتح خيبر كان في سنة سبع . وفيه شهادة سعد ابن معاذ ، وهو قد مات يوم بني قريظة قبل فتح خيبر بسنتين . فاستحسن ذلك منه واعتمده وأمضاه ولم يجز اليهود على ما في الكتاب لظهور تزويره[١] .

وقد ذكر العلامة ابن القيم : أن نفس الكتاب أُحضر إلى ابن تيمية رحمه الله وحوله اليهود يزفونه ويُجلونه . وقد غشى بالحرير والديباج فلما فتحه وتأمَّله . بزق عليه وقال : هذا كذب من عدة أوجه . وذكرها فقاموا من عنده بالذل والصغار .

وقال تناول هذا الحديث تلميذه ابن القيم رحمه الله بالنقد . فبين أن القرائن المقترنة به تدل على وضعه واختلاقه ، وكذبه من عشرة وجوه . ومن أبرز تلك الوجوه : الحقائق التاريخية التي أثبتت كونه مزورا[٢] .

ومنه ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله قال : ويروون عن عمر أنه قتل أباه قال ، وهذا كذب ، فإن أبا عمر مات في الجاهلية قبل مبعث الرسول ﷺ[٣] .

الاهتمام بالمتن واضح في رواية الحديث باللفظ :

١ ـ عند مراجعة الكتب المؤلفة في مصطلح الحديث قديما ، نجد أن

---

(١) الإعلان بالتوبيخ / ١٠ .
(٢) انظر المنار المنيف / ١٠٢ ـ ١٠٥ .
(٣) أحاديث القصاص ، صـ٨٦ ، ٨٧ .

أكثر الصحابة كانوا يتشددون في الرواية باللفظ والنص. وما كانوا يتساهلون حتى في الواو والفاء فكانوا يرون أن الراوي عليه أن يأتي بنفس اللفظ الذي تلقاه من شيخه دون تغيير ولا حذف ولا زيادة، عملا بقول النبي ﷺ: نضر الله إمرءا سمع منا حديثاً فأداها كما سمعها فرب مبلغ أوعى من سامع[١].

٢ ـ وقد اشتهر قول ابن عمر عندما سمع عبيد بن عمير يقول: قال رسول الله ﷺ: مثل المنافقين كمثل الشاة الرابضة بين الغنمين. فقال ابن عمر: ويلكم.. لاتكذبوا على رسول الله ﷺ إنما قال: مثل المنافقين كمثل الشاة العائرة بين الغنمين[٢].

٣ ـ وقد رُوي عن الإمام مالك أنه قال: أما ما كان من قول رسول الله ﷺ فإني أكره ذلك، وأكره أن يزاد أو ينقص[٣].

وفي عصر التابعين وأتباع التابعين ظل كثير من الرواة يؤدي حديث رسول الله ﷺ بلفظه ونصه.

٤ ـ وقد حكى الإمام أحمد عن عبدالرحمن بن مهدي أنه كان يحب أن يحدث بالألفاظ[٤].

٥ ـ وقد روى هذا أيضا عن القاسم بن محمد ومحمد بن سيرين ورجاء ابن حيوه[٥].

قالوا: لأن الحديث بالمعنى وعدم التمسك بألفاظ الرسول ﷺ قد يغير ما أراده. واستدلوا بأدلة أخرى ليس هذا محل ذكرها. وإنما المقصود هنا هو البيان: أن هذا التشدد في الرواية باللفظ كان الهدف منه هو الحِفَاظُ على المتن

---

(١) الكفاية/ ٢٦٧.
(٢) الكفاية/ ٢٦٨.
(٣) راجع المصدر نفسه صـ٢٨٨، ٢٨٩.
(٤) المصدر نفسه/ ٢٥٩.
(٥) الجامع لأخلاق الراوي ٢/ ٧٤.

وعدم فتح الطريق لتسرب التحريف إليه .

٦ ـ ولذلك نجد أن الذين لم يروا بأسا في رواية الحديث بالمعنى ، لم يتركوا الأمر على إطلاقه ، بل اشترطوا لذلك شروطا ، لابد من توفرها في الراوي ، حتى يجوز له الرواية بالمعنى وحتى تقبل روايته . وفي حالة انعدام أحد تلك الشروط سوف ترفض روايته .

٧ ـ ويبدو أن الشافعي هو أول من عُني بهذه القيود بيانا وتفصيلا : فقد أجاز الرواية بالمعنى ، ما لم يتغير المنى بتغيير اللفظ[١] ورأى أن يكون الراوي عاقلا يفهم معنى الحديث .

لأنه إذا كان الذي يحمل الحديث يجهل هذا المعنى ، كان غير عاقل للحديث ، فلم نقبل حديثه ، إذا كان يحمل ما لا يفعل أن كان ممن لا يؤدي الحديث بحروفه وكان يلتمس تأديته على معانيه ، وهو لا يعقل المعنى[٢] .

٨ ـ ويضيف الشافعي إلى هذا القيد قيدا آخر ، وهو أن يكون الراوي عالما بما يغير المعنى من الألفاظ ، أي يفهم الفروق بين الألفاظ ومعانيها وكذلك الأساليب ، لأنه إذا لم يكن كذلك ربما يغير المعنى بتغيير اللفظ أو الأسلوب فيحل الحرام ويحرم الحلال .

٩ ـ قال الشافعي مبينا الشرطين معا : ولا تقوم الحجة بخبر الخاصة حتى يجمع أمورا : منها :

أن يكون من حدث به ، عاقلا لما يحدث به عالما بما يحيل معاني الحديث من اللفظ ، وأن يكون ممن يؤدي الحديث بحروفه كما سمع لا يحدث به على المعنى .

١٠ ـ وليست جميع الأحاديث عند الشافعي تجوز فيها الرواية بالمعنى ،

---

(١) الرسالة صـ١٧٤ .

(٢) المصدر نفسه صـ٣٨١ .

وإنما ذلك خاص بغير أحاديث الأحكام لأن اختلاف اللفظ فيها يؤدي إلى تغيير المعنى واختلافه في غالب الأمر. قال رحمه الله: وكل ما لم يكن فيه حكم فاختلاف اللفظ فيه لا يحيل معناه[١].

وقد ضيق الشافعي بهذه الشروط من دائرة الأحاديث التي تجوز فيها الرواية بالمعنى، لأن أحاديث الأحكام بلا شك أكثر من الأحاديث الأخرى ولأن الرواة الفاهمين لأسرار اللغة العربية أقل من غيرهم.

١١ ـ ولهذا نجده في بعض الأحيان ينهى مطلقا عن الرواية بالمعنى، حتى يتسنى للناس أن ينهلوا من الحديث كما صدر من رسول الله ﷺ بلفظه ومعناه. قال: لا يجوز لأحد أن يختصر حديث رسول الله ﷺ فيأتي ببعض الحديث ويترك بعضه، يحدث بالحديث كما روى عنه بألفاظه، ليدرك كل مما سمع منها ما فهمه الله تبارك وتعالى[٢].

بعض الأمثلة لنقد المتن

وفيما يلي بعض الأمثلة الأخرى لنقد المتن:

١ ـ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ومنها (أي من أحاديث القصاص): من أكل مع مغفور له غفر له. قال: هذا ليس له إسناد عند أهل العلم، ولا هو في شيء من كتب المسلمين إنما يروونه عن سنان. وليس معناه صحيحا على الإطلاق، فقد يأكل مع المسلمين الكفار والمنافقون[٣].

---

(١) الرسالة صـ٣٧٠ ـ ٣٧١.

(٢) مناقب الشافعي للبيهقي ٢/ ٣٠. راجع لاستقصاء هذا الموضوع: المحدث الفاصل صـ٣٤٨ ـ ٣٥٠ والإلماع صـ١٨٧ وما بعدها والكفاية صـ٣١٤ ـ ٣١٦ والجامع لأخلاق الراوي ٢/ ٧١ ـ ٧٤ و٨٧ ـ ٩٠.

(٣) أحاديث القصاص/ ٩٢.

٢ ـ ومنها : سَبُّ صحابتي ذنب لا يغفر . قال رحمه الله : هذا كذب على النبي ﷺ . وقد قال الله تعالى : إن الله لا يغفر أن يُشرك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء[١] .

٣ ـ ومنها : الحديث المكذوب الذي نصه (اللهم إنك أخرجتني من أحب البقاع إلى فأسكني في أحب البقاع إليك) .
قال رحمه الله : هذا باطل كذب . بل ثبت في الترمذي وغيره أنه قال لمكة (والله إنك لأحب بلاد الله إلى الله . وقال : إنك لأحب البلاد إليَّ فأخبر : أنها أحب البلاد إلى الله وإليه[٢] .

٤ ـ ومنها حديث العقل : إن الله عز وجل لما خلق العقل قال له : أقبل فأقبل ثم قال له : أدبر ، فأدبر ، فقال : وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا أشرف منك . فبك آخذ وبك أعطي .
قال رحمه الله : هذا الحديث كذب موضوع باتفاق أهل العلم . والذين يروونه ، ذكروه في فضل عقل الإنسان . وأما ما يظن بعض الناس المراد به العقل الفعال فهذا قول من يقول من المعتزلة والملاحدة الذين يقولون بأن العقل الفعال هو المُبدِع لهذا العالم . وهذا مما هو مخالف لما اتفقت عليه الرسل مما هو مخالف لصريح العقل[٣] .

ومن أمثلته : ما ذكره السيوطي في تحذير الخواص :

٥ ـ قال ، وقال ابن عقيل : أخذ بعض الوعاظ يقول قال الله : يا موسى من تريد؟ قال : أخي هارون . يا محمد . من تريد؟ قال : عمي وأمي . يانوح ، من تريد؟ قال : ابني . يا يعقوب من تريد؟ قال : يوسف ثم قال : كلكم يريد مني . أين

---

(١) أحاديث القصاص / ٩٣ ، ٩٤ .
(٢) المصدر نفسه / ٨٢ ، ٨٣ .
(٣) المصدر نفسه / ٧٢ ، ٧٣ .

من يريدني؟ ثم احتد وصك الكرسي صكة وقال: يا قارىء إقرأ: يريدون وجهه[١] فقرأ القاري وضج المجلس وصعق قوم، وخرقت ثياب قوم بشعبذة ذلك. فاعتقد قوم أن ما ذكره لباب الحق وعين العلم. فحكى ذلك المجلس لحنبلي (يعني ابن عقيل نفسه) فأخذه من ذلك ما يأخذ العلماء من الغيرة على الله عز وجل من كلام الجهال به فاحتدّ وقال: سبحان الله وما الذي بين الطين والماء وبين خالق السماء من المناسبة حتى يكون بينه وبين خلقه إرادة له لا إرادة منه؟ يا متوهمين الأشكال والنفوس يا مصورين الباريء بصورة تثبت في القلوب. ما ذلك الله. ذاك صنم شكله الطبع والشيطان والتوهم للمحال فعبدتموه. ليس لله سبحانه وصف تميل إليه الطباع ولا تشتاق إليه النفوس، بل مباينة الالهية للحَدَثية أوجبت في النفوس هيبة وحشمة إذا ذكر الله وجلت قلوبهم. وإنما صور أقوام صورة تجد ولهم بها أنس فأقلقهم الشوق إليها. فنالهم ما ينال الهائم في العشق. وهذه الهواجس الرديئة يجب محوها عن القلوب. كما يجب كسر الأصنام انتهى[٢].

٦ - وروي عن النبي ﷺ أنه قال: من غل فاحرقوا متاعه واضربوه.

رواه أسد بن موسى وغيره عن الدرداء، وروى عن صالح بن محمد ابن زائدة عن سالم عن ابن عمر. وقال بعض رواة هذا الحديث فيه: فاضربوا عنقه وأحرقوا متاعه. وهو حديث يدور على صالح بن محمد بن زائدة. وهو ضعيف لا يُحتج به[٣].

وهو يعارضه الآثار التي هي أقوى منه.

---

(١) سورة الأنعام/ ٥٢ والكهف/ ٢٨.

(٢) تحذير الخواص/ ١٥٩ ـ ١٦١.

(٣) انظر التمهيد جـ٢ صـ٢١، ٢٢، ٢٣ وقال العجلي وأبو داوود والنسائي عن صالح المذكور: ليس بالقوي. وقال البخاري: منكر الحديث (تقريب التهذيب والخلاصة).

يعارضه قوله ﷺ: لايحل دم امرىء مسلم إلا بإحدى ثلاث. الحديث[١] وهو ينفي القتل في الغلول.

ورواية ابن الزبير عن جابر أن النبي ﷺ قال: «**ليس على الخائن ولا على المنتهب ولا على المختلس قطع**»[٢].

وقال ﷺ في الذي أخذ الشملة يوم خيبر: والذي نفسي بيده إن الشملة التي أخذها يوم خيبر من المغانم، لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه ناراً، ثم قال للذي جاء بالشراك أو الشراكين: شراك أو شراكان من نار[٣].

وفي هذا الحديث أيضا دليل على أن الغال لا يجب حرق متاعه، لأن رسول الله ﷺ لم يحرق الرجل الذي أخذ الشملة ولا متاعه.

كما أنه ثبت أن الرسول الله ﷺ ترك الصلاة على الرجل الذي غل الخرزات. ولكنه لم يحرق متاعه ولو كان حرق متاعه واجباً لَفَعله حينئذ ولو فعله لنقل ذلك في الحديث[٤].

٧ ـ وحديث طلحة بن يحيى عن عمته عائشة بنت طلحة، عن عائشة أم المؤمنين قال: أتي رسول الله ﷺ بصبي من صبيان الأنصار ليصلي عليه، فقلت: طوبى له عصفور من عصافير الجنة، لم يعمل سوءا قط، ولم يدركه ذنب. فقال النبي ﷺ: أو غير ذلك يا عائشة؟ إن الله عز وجل خلق الجنة. وخلق لها أهلا، وهم في أصلاب آبائهم، وخلق النار، وخلق لها خلقا وهم في أصلاب أبائهم، الله أعلم بما كانوا عاملين[٥].

---

(١) صحيح البخاري، الديات، باب رقم٦ وصحيح مسلم، القسامة/ ٢٥، ٢٦ وأبو داوود، الحدود/ ١.

(٢) سنن الترمذي: الحدود، باب١٨ والنسائي السارق باب١٣.

(٣) انظر التمهيد جـ٢ صـ٣.

(٤) المصدر نفسه جـ٢ صـ٢١، ٢٢، ٢٣.

(٥) انظر التمهيد جـ٦ صـ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١.

قال ابن عبدالبر :

هذا حديث ساقط ضعيف، مردود، للآثار التي تعارضه، وللإجماع، وطلحة بن يحيى ضعيف، لا يحتج به[١] وهذا الحديث مما انفرد به فلا يعرج عليه :

١ - روى أبو هريرة أن النبي ﷺ قال : «**لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار إلا تحلة القسم**»[٢] .

٢ - وروى ابن سيرين وغيره هذا الحديث عن أبي هريرة عن النبي ﷺ فقالوا فيه : «**من مات له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث كانوا له حجابا من النار**»[٣] .

٣ - وفي بعض ألفاظ حديث أبي هريرة هذا عن النبي ﷺ قال : «**ما من المسلمين من يموت له ثلاثة من الولد، لم يبلغوا الحنث، إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم، يجاء بهم يوم القيامة فيقال لهم : أُدخلوا الجنة، فيقولون : حتى يدخل آباؤنا فيقال لهم : أُدخلوا أنتم وآباؤكم بفضل رحمتي**»[٤] .

٣ - وقد روى أنس بن مالك عن النبي ﷺ مثله[٥] ففي هذه الأحاديث دلالة على أن أطفال المسلمين في الجنة لا محالة .

قال الحافظ ابن عبدالبر : وقد أجمع العلماء على ما قلنا من أن أطفال المسلمين في الجنة[٦] .

---

(١) انظر التقريب ١/ ٣٨٠ والتهذيب ٥/ ٢٧ والجرح ٢/ ١/ ٤٧٧ .
والحديث أخرجه مسلم في كتاب القدر (جـ٤ صـ٢٠٥٠) والنسائي في كتاب الجنائز، باب الصلاة على الصبيان جـ٤ صـ٥٧ وابن ماجة في المقدمة، حديث/ ٨٢ وغيرهم .

(٢) أخرجه البخاري في الجنائز، باب فضل من مات له ولد فاحتسب، ومسلم في البر والصلة باب/ ٤٧ . والترمذي، كتاب الجنائز باب/ ٦٤ والنسائي، باب من يتوفى له ثلاثة، وابن ماجة في كتاب الجنائز، باب/ ٥٧ كما أخرجه الإمام أحمد في المسند .

(٣) أخرجه النسائي ٤/ ٢٥ .

(٤) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المسلمين .

(٥) رواه الطبراني في الأوسط، انظر مجمع الزوائد ٣/ ١١ .

(٦) المتهيد جـ٦ صـ٣٤٨ .

٨ ـ حديث مالك عن ابن شهاب عن أنس بن مالك قال: كنا نصلي العصر ثم يذهب الذاهب إلى قباء، فيأتيهم والشمس مرتفعة (الموطأ أوقات الصلاة حديث٩).

هكذا في الموطأ، ليس ذكر النبي ﷺ.

رواه عبدالله بن نافع وابن وهب، في رواية يونس بن عبدالأعلى عنه وخالد بن مخلد. وأبو عامر العقدي.

كلهم عن مالك عن الزهري عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ كان يصلِّي العصر الحديث. وكذلك رواه عبدالله بن المبارك عن مالك عن الزهري وإسحاق بن عبدالله بن أبي طلحة جميعا عن أنس.

أن رسول الله ﷺ كان يصلِّي العصر، ثم يذهب الذاهب إلى قباء.

فهؤلاء رووا هذا الحديث عن مالك على خلاف لفظ الموطأ، أي رفعوا إلى النبي ﷺ، وهو الثابت عند أهل العلم بالحديث، وهذا شذوذ في المتن إذ أصبح المرفوع موقوفا.

وحديث مالك (بجميع رواياته المذكورة) في متنه شذوذ آخر: فإن معمراً وغيره من الحفاظ قالوا فيه: عن الزهري عن أنس أن رسول الله ﷺ كان يصلِّي العصر، ويذهب الذاهب إلى العوالي فيأتيه والشمس مرتفعة.

هكذا قال فيه جماعة من أصحاب ابن شهاب عنه، يذهب الذاهب إلى العوالي ـ وهو الصواب عند أهل الحديث ـ وقول مالك (عندهم) إلى القباء، وهم، لاشك فيه ولم يتابعه أحد عليه في حديث ابن شهاب هذا[1].

---

(١) انظر التمهيد جـ٦ صـ١٧٧، ١٧٨.

الباب الثاني / الفصل الأول

العلة في المتن: وفيه مبحثان:

المبحث الأول: حقيقة العلة في المتن

العلة قد تقع في السند.

وقد تقع في السند والمتن معا.

وقد تقع في المتن فقط.

الأمثلة.

العلة في المتن

ذكرت في الفصل الرابع من الباب الذي مضى، أن العلة قد تقع في الإسناد وهذا هو الكثير، وقد يقتصر أثرها على السند فقط. وربما تؤثر في المتن أيضا، وأمثلته كثيرة في الكتب التي تتعرض لبيان علل الحديث.

وقد ذكرت بعض تلك الأمثلة التي استخرجتها من بطون المراجع في مبحث العلة في السند.

وقد تقع العلة في السند والمتن معا، فيكون أثرها شاملا لهما.

وقد تكون العلة في المتن فقط، أي أن السند صحيح لم يتطرق إليه الخلل وإنما المتن هو الذي دخل إليه ما ليس منه.

وفيما يلي أحاول أن آتي بأمثلة تُثبت وجود العلة في السند والمتن معا، أو في المتن فقط، ليتبين كيف أن النقاد لم يتركوا موطنا يمكن أن يدخل منه الضعف إلى السّنة إلا وأتوا عليه بالبحث والتنقيب وبينوا كل ما أراد التسرب من ذلك الطريق إلى الحديث مما ليس منه:

١ ـ الحديث الذي رواه مسلم عن أبي هريرة: قال: **أخذ رسول الله ﷺ بيدي، فقال: خلق الله عز وجل التربة يوم السبت، وخلق فيها الجبال يوم الأحد. وخلق الشجر يوم الإثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء وبثّ فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم عليه السلام بعد العصر من يوم الجمعة**[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: إن هذا طَعَن فيه من هو أعلم من مسلم مثل يحيى بن معين ومثل البخاري وغيرهما. وذكر البخاري: أن هذا من كلام كعب الأحبار.

ثم قال: هذا هو الصواب، لأنه قد ثبت بالتواتر أن الله خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام، وثبت أن آخر الخلق كان يوم الجمعة. فيلزم أن يكون أول

---

(١) مسلم، المنافقين/ ٢٧ ومسند أحمد ٢/ ٣٢٧.

الخلق يوم الأحد.

وهكذا هو عند أهل الكتاب. وعلى ذلك تدل أسماء الأيام، وهذا هو المنقول الثابت في أحاديث وآثار أُخر.

ولو كان أول الخلق يوم السبت وآخره يوم الجمعة، لكان قد خلق في الأيام السبعة. هو خلاف ما أخبر به القرآن.

ثم قال: مع أن حذاق أهل الحديث يثبتون علة هذا الحديث من غير هذه الجهة، وأن رواية فلان غلط فيه لأمور يذكرونها[1].

فالحديث معلول في سنده ومتنه، وأثر العلة شامل لهما معا.

٢ ـ الحديث الذي رواه حفص بن عبدالله النيسابوري عن إبراهيم بن طهمان عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة، وسهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا استيقظ أحدكم من منامه فليغسل كفَّيه ثلاث مرات قبل أن يجعلهما في الإناء، فإنه لا يدري أين باتت يده ثم ليغترف بيمينه من إنائه. ثم ليصب على شماله فليغسل مقعدته**».

قال أبو حاتم الرازي: ينبغي أن يكون (ثم ليغترف بيمينه إلى آخر الحديث) من كلام إبراهيم بن طهمان، فإنه كان يصل كلامه بالحديث، فلا يميزه المستمع[2].

٣ ـ حديث ابن عمر عن النبي ﷺ قال: من أدرك ركعة من صلاة الجمعة وغيرها فقد أدرك.

قال أبو حاتم الرازي: هذا خطأ المتن والإسناد.

إنما هو الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: من أدرك من صلاة ركعة، فقد أدركها.

---

(١) مجموع الفتاوى جـ٨ صـ١٨، ١٩.

(٢) علل الحديث جـ١ صـ١٧٢، والحديث رواه بدون الزيادة التي ذكرها أبو حاتم: كل من البخاري، الوضوء / ٢٦. ومسلم، الطهارة / ٨٧ وأبو داوود، الطهارة / ٥٠ والترمذي، الطهارة/ ١٩ والنسائي، الطهارة/ ٧٢ وابن ماجة، الطهارة/ ٤٠ وغيرهم.

وأما قوله : من صلاة الجمعة ، فليس هذا في الحديث فوهم في كلَيهما[١] .

والحديث المُعلّ رواه بقية عن يونس عن الزهري عن سالم عن ابن عمر .

٤ ـ وحديث شعبة عن سلمة بن كهيل عن حجر أبي العنبس عن علقمة ابن وائل عن أبيه أن النبي ﷺ قرأ : غير المغضوب عليهم ولا الضالين . فقال : آمين ، وخفض بها صوته[٢] .

قال مسلم : أخطأ شعبة في هذه الرواية ، حين قال : وأخفى صوته . ثم ذكر حديث سفيان عن سلمة بن كهيل عن حجر بن عنبس عن وائل قال : سمعت النبي ﷺ ، قرأ : (ولا الضالين) قال : آمين ، يَمُدّ بها صوته . كما ذكر حديث علقمة عن أبيه قال سمعت رسول الله ﷺ يجهر بآمين .

وكذلك رواية سعيد وأبي سلمة أنهما أخبراه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : إذا أمّن الإمام فأمّنوا . فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له[٣] .

وحديث سفيان رواه الترمذي[٤] وقال : سمعت محمدا يقول حديث سفيان أصح من حديث شعبة في هذا . وأخطأ شعبة في مواضع من هذا الحديث .

وقال : وسألت أبا زرعة عن هذا الحديث ، فقال : حديث سفيان في هذا أصح من حديث شعبة .

ورواه أبو داود[٥] ، كما أن الدار قطني روى حديث عبدالجبار ابن وائل عن أبيه ،

---

(١) علل الحديث جـ١ صـ١٧٢ والنسائي ، الجمعة / ٩١ وابن ماجة ، الصلاة ١١٢٣ أما بدون زيادة من صلاة الجمعة فقد أخرجه البخاري مواقيت الصلاة ، باب ٢٩ ومسلم ، المساجد / ١٦١ ، ١٦٢ . وغيرهما .

(٢) الترمذي باب ما جاء في التأمين (جـ٢ صـ٢٨) .

(٣) كتاب التمييز / ١٣٣ ، ١٣٤ .

(٤) سنن الترمذي باب ما جاء في فضل التأمين (جـ٢ صـ٣٠) .

(٥) سنن أبي داوود ، الحديث / ٩٢٢ .

وفيه مدّ بها صوته[١].

٥ ـ وحديث أبي إسحاق عن الأسود عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ ينام وهو جنب، ولا يمسّ ماءا[٢].

وقد رواه الإمام أحمد في المسند. وفيه: حتى يقوم بعد ذلك فيغتسل[٣].

قال أبو حاتم: سمعت نصر بن علي يقول: قال أبي: قال شعبة: قد سمعت حديث أبي إسحاق أن النبي ﷺ كان ينام جنبا، ولكني أتقيه[٤].

وقال مسلم: هذه الرواية عن أبي إسحاق خاطئة. وذلك أن النخعي وعبدالرحمن ابن الأسود جاءا بخلاف ما روي أبو إسحاق.

ثم ذكر الإمام مسلم حديث النخعي عن الأسود عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا كان جنباً، فأراد أن يأكل أو ينام، توضأ وضوءه[٥].

وحديث عبدالرحمن بن الأسود عن أبيه عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يجنب، ثم يتوضأ وضوءه للصلاة، ثم ينام حتى يصبح[٦] وحديث أبي سلمة عن عائشة أن رسول الله ﷺ كان إذا أراد أن ينام، وهو جنب، يتوضأ وضوءه للصلاة قبل أن ينام[٧].

---

(١) ١/ ٣٣٤، ٣٣٥.
(٢) كتاب التمييز/ ١٣٤، ١٣٥ والعلل/ ١/ ٤٩.
(٣) ٦/ ٤٣.
(٤) العلل ١/ ٤٩.
(٥) مسلم، الحيض/ ٢٢ من طريق ابن أبي شيبه، وابن خزيمة ١/ ١٠٧ من طريق وكيع. وأبو داوود، الحديث ٢٢٤ من طريق شعبة.
(٦) رواه الإمام أحمد في مسند عائشة (انظر: تلخيص الحبير جـ١ صـ١٤١).
(٧) مسلم، الحيض/ ٢١ وابن خزيمة ١/ ١٧٠ وأبو داوود الحديث/ ٤٢٢.

الباب الثاني / الفصل الأول

المبحث الثاني:

القواعد التي اتبعها النقاد لإدراك العلة .

أجناس العلل التي ذكرها الحاكم .

الطريق إلى معرفة الأحاديث المعلّلة .

القواعد التي اتبعها النقاد لإدراك العلة

الأمر الذي تأكد لدى العارفين بهذا الشان أن أحكام المحدثين كانت مَبنية على قواعد موضوعية ثابتة، وضعوها بعد تجاربهم الدقيقة العميقة في مجال النقد، وقد ساعدهم على هذا فهمهم الثاقب وحفظهم الواسع ومعرفتهم التامة بمراتب الرواة والملكة القوية التي كانوا يتمتعون بها؛ القادرة على تمييز المتون والأسانيد ومعرفة الأسباب الخفية الغامضة القادحة في صحة الأسانيد والمتون التي ظاهرها السلامة.

ولكن ربما صعب عليهم التعبير عن تلك العلل بعبارة يفهمها عامة الناس، بل وحتى علماء هذا الشأن الذين لم يبلغوا شأوهم في مجال النقد. وهذا الذي بيّنه الإمام أبو داود السجستاني في رسالته إلى أهل مكة؟ حيث قال: إنّه ضرر على العامة أن يُكشف لهم كل ما كان من هذا الباب فيما مضى من عيوب الحديث لأن علم العامة يقصر عن مثل هذا[1].

ولنعم ما قالوا، إذ شبهوا ناقد الحديث بالصير في الذي يميز الدارهم الجياد من الستوق، فإنه يميز بين الدرهم والدرهم بما علم من القواعد والأسباب. ولكنه لا يقول لك: إن هذا الدرهم جيد لأدلة كذا وكذا. وهذا غير جيد لأسباب كذا وكذا.

فهذا هو الحال مع ناقد الحديث. يقول لك: إن هذا معلول، لما لديه من القواعد والأسباب ولكنه لا يستطيع في كثير من الأحيان أن يعبّر لك عن تلك العلل، لعدم استحضاره عبارة يعبّر بها، أو لعدم قابلية السامع أن يتفهم.

ولذلك عندما ذكر السخاوي قول عبدالرحمن بن مهدي (لم يكن له

---

(١) رسالة أبي داوود إلى أهل مكة صـ٣١.

حجة) عقب عليه فقال: يعني يعبر بها غالبا، وإلا ففي نفسه حجج للقول وللرفض[١].

والمتتبع لأقوال أئمة النقد وأحكامهم على الأحاديث المُعلَّلة يستطيع أن يستخرج القواعد التي تبعها النقاد لإدراك العلل.

فمن ذلك القواعد:

١ ـ تتبع الروايات المتعلقة بالحديث الواحد وجمعها والمقارنة بينها سنداً ومتناً حتى تُعرف العلة الموجودة فيها.

قال عبدالله بن المبارك: إذا أردت أن يصح لك الحديث فاضرب بعضها ببعض[٢].

وقال أبو داود: ربما يجيء الإسناد فيعلم من حديث غيره أنه غير متصل، ولا يتبينة السامع إلا بأن يعلم الأحاديث وتكون له فيه معرفة فيقف عليه. مثل ما يروى عن ابن جريج قال: أُخبرت عن الزهري. ويرويه البرساني محمد بن بكر بن عثمان البصري، عن ابن جريج عن الزهري. فالذي يسمع يظن أنه متصل، وهو لا يصح بتة، فإنما تركناه لذلك. هذا لأن أصل الحديث غير متصل ولا يصح وهو حديث معلول[٣].

ومثال ذلك: حديث يعلى بن عبيد الطنافسي عن سفيان الثوري عن عمر بن دينار عن ابن عمر عن الرسول ﷺ (البيعان بالخيار مالم يتفرقا).

فقد غلط يعلى على سفيان في قوله، عمرو بن دينار. لأن الأئمة الحفاظ من أصحاب سفيان رووه عن عبدالله بن دينار. لاعن عمرو بن دينار[٤].

---

(١) فتح المغيث ١/ ٢١٩ (بحث الحديث المعلل).
(٢) الجامع لأخلاق الراوي جـ٢ صـ٣٥٤.
(٣) رسالة أبي داوود/ ٣٤.
(٤) تدريب الراوي صـ١٦٣ بحث العلة في السند.

مثال آخر: سئل أبو زرعة عن حديث رواه معاذ بن هشام عن أبيه عن القاسم ابن عوف قال: أخبرني مرة بن هشام عن عبدالرحمن بن أبي يعلى عن معاذ بن جبل عن النبي ﷺ أنه قال: « **لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد. لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، من عظم حقه عليها** »[١].

ورواه حماد بن زيد عن أيوب عن القاسم عن عوف عن ابن أبي أوفي عن النبي ﷺ. قال أبو زرعه: أيوب أحفظهم.

قال أبو داود: إذا كان الحديث قد روي من وجهين صحيحين، فأحدهما أقوم إسناداً والآخر صاحبه أقدم في الحفظ، فربما كتبت ذلك[٢].

٢ ـ أن يخالف الراوي في روايته عن شيخ لمن هو أثبت الناس في ذلك الشيخ فتكون روايته معلولة.

مثاله: قول ابن أبي حاتم، سألت أبا زرعة عن حديث رواه جعفر عن ثابت عن عمر بن أبي سلمة عن أم سلمة أن النبي ﷺ تزوّجها الحديث.

قال أبي وأبو زرعة: رواه حماد بن سلمة عن ثابت عن ابن عمر بن أبي سلمة عن أبيه عن النبي ﷺ. وهذا أصح الحديثين، زاد فيه رجلا.

قال أبي: أضبط الناس لحديث ثابت وعلي بن زيد حماد بن سلمة بيّن خطأ الناس[٣].

٣ ـ أن يكون ما روي عن الراوي مخالفا لما في كتبه، أو أنه لا يوجد فيها، فتكون الرواية المخالفة معلولة.

مثاله: قول ابن أبي حاتم. سألت أبي عن حديث رواه ابن عُيينة عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن حسان بن بلال عن عمار عن النبي ﷺ في تخليل اللحية قال

---

(١) علل الحديث جـ١ صـ٤٢٦.

(٢) رسالة أبي داوود صـ٢٣.

(٣) علل الحديث جـ١ صـ٤٠٥.

أبي : لم يحدث بهذا أحد سوى ابن عُيينة عن ابن أبي عروبة . قلت : صحيح . قال : لو كان صحيحا لكان في مصنفات ابن أبي عروبة .

ولم يذكر ابن عُيينة في هذا الحديث ، وهذا أيضا ما يُوهنه[١] .

٤ ـ تصريح الشيخ بأنه لم تبلغه في باب مّا رواية . ثم يروى عنه حديث في هذا الباب فيكون هذا الحديث معلولا .

مثاله : قول ابن أبي حاتم : سألت أبي عن حديث رواه حماد بن خالد الخياط عن هشام بن سعيد عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت : لا طلاق إلا بعد نكاح . قال أبي : هذا حديث منكر . وإنما يُروى عن الزهري أنه قال : ما بلغني في هذا رواية عن أحد من السلف . ولو كان عنده عن عروة عن عائشة ، كان لا يقول ذلك؟[٢]

٥ ـ أن يكون الراوي لم يسمع من الشيخ وإنما حصل على كتاب له فروى من الكتاب ، فالحديث يكون معلولا .

مثاله : قول ابن أبي حاتم . سألت أبي عن حديث رواه معاذ بن هشام عن أبيه عن قتادة عن أبي قلابة عن خالد بن اللجلاج عن ابن عباس عن النبي ﷺ رأيت ربي عزَّ وجل . . وذكر الحديث في إسباغ الوضوء ونحوه .

قال أبي : هذا رواه الوليد بن مسلم عن ابن جابر قال : كنا مع مكحول ، فمر به خالد بن اللجلاج . فقال مكحول : يا إبراهيم حدثنا ، فقال : حدثنا ابن عايش الحضرمي عن النبي ﷺ .

قال أبي : وهذا أشبه ، وقتادة ، يقال إنَّه لم يسمع من أبي قلابة إلا أحرفا ، فإنه وقع إليه كتاب من كتب أبي قلابة . فلم يميزوا بين عبدالرحمن بن عايش وبين ابن عباس[٣] .

---

(١) المصدر نفسه جـ١ صـ٣٢ .

(٢) العلل جـ١ صـ٤٢٢ .

(٣) علل الحديث جـ١ صـ٢٠ .

٦ ـ أن يكون الحديث مخالفا لرواية الثقات .

ومثاله : قول ابن أبي حاتم : سألت أبي وسئل أبو زرعة عن حديث رواه حسين المروزي عن جرير بن حازم عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس : أن رجلا زوج ابنته ، وهي كارهة ففرّق النبي ﷺ بينهما .

قال أبي : هذا خطأ إنما هو كما رواه الثقات عن أيوب عن عكرمة أن النبي ﷺ قال : مرسل . منهم : ابن علية وحماد بن زيد أن رجلا تزوج . وهو الصحيح[١] .

٧ ـ أن يكون الحديث معروفا عن قوم هم أعلم به وأخبر ثم يأتي من يخالفهم فيصير حديثه معلولا .

ومثاله : قول ابن أبي حاتم : سألت أبي عن حديث رواه الثوري عن عبيدالله عن نافع عن ابن عمر قال : كتب عمر إلى أمراء الأجناد ألا يأخذوا الجزية إلا ممن جرت عليه المواسي[٢] .

قال أبي : ومنهم من يقول : عن نافع عن أسلم عن عمر . قلت لأبي : فأيهما الصحيح؟ قال : الثوري حافظ؟ وأهل المدينة أعلم بحديث نافع من أهل الكوفة[٣] .

٨ ـ أن يأبى سياق الحديث كونه من رسول الله ﷺ .

ومثاله : قول ابن أبي حاتم : سألت أبي عن حديث رواه معمر عن الزهري عن أبي سلمة عن جابر قال : إنما جعل رسول الله ﷺ الشفعة فيما لم يقسم فإذا قسم ووقعت الحدود فلا شفعة .

قال أبي : الذي عندي : أن كلام النبي ﷺ هذا القدر : إنما جعل النبي ﷺ الشفعة فيما لم يقسم قط . ويشبه أن يكون بقية الكلام هو كلام جابر (فإذا قسم

---

(١) المصدر نفسه جـ١ صـ٤١٧ .

(٢) أي من نبتت عانته وبلغ الحلم .

(٣) العلل جـ١ صـ٣١٠، ٣١١ .

ووقعت الحدود فلا شفعة) والله أعلم .

قلت له : وبما استدللت على ما تقول : قال : لأنا وجدنا في الحديث : إنما جعل النبي ﷺ الشفعة فيما لم يقسم . تم المعنى (فإذا وقعت الحدود) فهو كلام مستقل .

ولو كان الأخير عن النبي ﷺ كان يقول : إنما جعل النبي ﷺ الشفعة فيما لم يقسم وقال : إذا وقعت الحدود .

فلما لم نخبر ذكر الحكاية عن النبي ﷺ في الكلام الأخير استدللنا : أن استقبال الكلام الأخير من جابر ، لأنه هو الراوي عن رسول الله ﷺ هذا الحديث .

وكذلك نقص حديث مالك عن ابن شهاب عن سعيد وأبي سلمة أن النبي ﷺ قضى بالشفعة فيما لم يقسم ، فإذا وقعت الحدود فلا شفعة .

فيحتمل في هذا الحديث أن يكون الكلام الأخير كلام سعيد وأبي سلمة . ويحتمل أن يكون كلام ابن شهاب[1] .

٩ ـ أن يحصى الناقد الشيوخ الذين سمع منهم الراوي ، فتكون رواياته عنهم متصلة وصحيحة وعن غيرهم مرسلة أو منقطعة ، لعدم اللقاء والسماع .

ومثاله : ما ذكره ابن المديني عن قيس بن أبي حازم . فقد أحصى من روى عنهم قيس وسمع منهم من الصحابة . وما ذكره عن الحسن البصري ، فقد ذكر من سمع منهم من الصحابة ومن لم يسمع منهم . كما ذكر الذين رووا عنه ومن لم يثبت سماعهم منه .

وبهذا يمكن الحكم في الأحاديث التي ورد في أسانيدها اسم الحسن البصري كراوٍ من رواته .

فإذا ثبت السماع بينه وبين الشيخ الذي فوقه والراوي الذي بعده علمنا أنها رواية متصلة وصحيحة . وإن كان غير ذلك عرفنا أنها مرسلة منقطعة[2] .

---

(١) علل الحديث جـ١ صـ٤٧٨ .

(٢) راجع العلل لابن المديني صـ٥٣ ـ ٥٥ .

١٠ ـ حُذاق النقاد من الحُفَّاظ، لكثرة ممارستهم للحديث ومعرفتهم بالرجال وأحاديث كل واحد منهم يفهمون أن هذا الحديث يشبه حديث فلان ولا يشبه حديث فلان. فيعلّلون الأحاديث بذلك. ولا يعبرون عنه بعبارة، وإنما يرجع فيه الناقد إلى مجرد الفهم والمعرفة التي خصه الله بها عن سائر أهل العلم.

قال ابن حبان: عبدالله بن عبدالملك يروي عن يزيد بن رومان وأهل المدينة العجائب. لا يَشبه حديثُه حديث الثقات[١].

قال ابن رجب: سعيد بن سنان. يقال: سنان بن سعيد. يروي عن أنس، ويروي عنه أهل مصر.

قال أحمد: تركت حديثه. حديثه حديث مضطرب. وقال: يشبه حديثه حديث الحسن، لا يشبه أحاديث أنس. ومراده أن الأحاديث التي يرويها عن أنس مرفوعة إنما تشبه كلام الحسن البصري أو مراسيله.

وقال الجوزجاني: أحاديثه واهية لا تشبه أحاديث الناس عن أنس[٢].

أجناس العلل التي ذكرها الحاكم:

ولقد تعرض الحاكم لذكر عشرة من أجناس العلل، ولخّصها السيوطي في «التدريب» وجعل من كل منها قاعدة للكشف عن العلة.

وأرى من باب إتمام الفائدة أن أذكرها في هذا المكان، من دون سرد الأمثلة اكتفاء بما ذكره الحاكم رحمه الله، مع العلم بأن بعضا منها قد دخل تحت القواعد التي ذكرتها سابقا:

الأول: أن يكون السند ظاهره الصحة، وفيه من لا يعرف بالسماع ممن روى عنه.

الثاني: أن يكون الحديث مرسلا من وجه رواه الثقات الحفاظ، ويسند من

---

(١) كتاب المجروحين لابن حبان ٢/ ١٧.

(٢) شرح علل الترمذي صـ٥٠٦ تحقيق صبحي جاسم الحميد.

وجه ظاهره الصحة.

الثالث: أن يكون الحديث محفوظا عن صحابي، ويُروى عن غيره لاختلاف بلاد رواته. كرواية المدنيين عن الكوفيين.

الرابع: أن يكون محفوظا عن صحابي، ويروى عن تابعي يقع الوهم بالتصريح بما يقتضي صحبته بل لا يكون معروفا من جهته.

الخامس: أن يكون روي بالعنعنة وسقط منه رجل، دل عليه طريق أخرى محفوظة.

السادس: أن يختلف على رجل بالإسناد وغيره، ويكون المحفوظ عنه ما قابل الإسناد.

السابع: الاختلاف على رجل في تسمية شيخه أو تجهيله.

الثامن: أن يكون الراوي عن شخص أدركه وسمع منه، ولكنه لم يسمع منه أحاديث معينه، فإذا رواها عنه بلا واسطة فعِلَّتها أنه لم يسمعها منه.

التاسع: أن تكون طريقة معروفة، يروي أحد رجالها حديثا من غير تلك الطريق، فيقع من رواه من تلك الطريق ـ بناء على الجادة ـ في الوهم.

العاشر: أن يروى الحديث مرفوعا من وجه، وموقوفا من وجه[1].

الطريق إلى معرفة الأحاديث المُعلَّلة:

ذكر المحدثون أن الطريق إلى معرفة الأحاديث المعللة. هو أن يجمع بين طرق الحديث وينظر في اختلاف رواته. ويعتبر بمكانتهم من الحفظ ومنزلتهم في الاتقان والضبط[2]، وهو الذي كان دأب الأئمة النقاد عند النظر في الأسانيد والمتون. ولأجل هذا، نجدهم التزموا بكل ما من شأنه تحقيق هدفهم المذكور،

---

(١) راجع معرفة علوم الحديث صـ١١٣ـ١١٩ وتدريب الراوي سـ١٦٧ـ١٦٩ والباعث الحثيث صـ٦٧ ـ ٧١.

(٢) انظر الجامع لأخلاق الراوي ٢/ ٣٥٤.

ودعوا الآخرين إلى الالتزام به.

١ ـ فقد دعوا تلاميذهم إلى كتابة الطرق المختلفة للحديث الواحد، حتى يتبين الخطأ من الصواب: قال العباس بن محمد الدوري، سمعت يحيى بن معين يقول: لو لم نكتب الحديث من ثلاثين وجها ما عقلناه.

وقال أحمد بن حنبل: الحديث إذا لم تجمع طرقه لم تفهمه، والحديث يفسر بعضه بعضا.

وقال علي بن المديني: الباب إذا لم يجمع طرقه لم يتبين خطؤه[١].

٢ ـ وحرصوا على سماع الحديث الواحد من جماعة، حتى يكون الواحد شاهداً للآخر أو عليه: قال مجاهد[٢] بن موسى: من المحدثين من يستحب أن يسمع الشيء الواحد من الشيخين والأكثر، ويرى أن ذلك الفعل أصوب، وإلى ثبوت المروي وصحته أقرب.

وقال يزيد بن زريع[٣]: أحب أن أسمع الحديث من الشيخين فيكونا كالشاهدين[٤].

٣ ـ وكتبوا عن الأقران والأكابر والأصاغر، حتى يزدادوا علما وبصيرة ولا يفوتهم الصحيح ولا يخفي عليهم الضعيف والمشبوه.

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي ٢/ ٢٧٠.

(٢) هو مجاهد بن موسى ابن فروخ الخوارزمي أبو علي الختلي (٠٠ ـ ٢٤٤هـ). ثقة، وثقه النسائي، وابن أبي حاتم، وحسنه الترمذي.
الكاشف ٣/ ١٢١ خلاصة التذهيب ٣٦٩.

(٣) هو يزيد بن زُرَيع أبو معاوية البصري العيشي (١٠١ ـ ١٨٢هـ). محدث البصرة في عصره. قال أحمد: كان ريحانة البصرة، ما أتقنه وما أحفظه. وقال ابن سعد: كان ثقة حجة كثير الحديث.
التقريب: ٣٨٢ التهذيب: ١١/ ٣٢٤.

(٤) الجامع لأخلاق الراوي ٢/ ٢٧٣.

قال وكيع: لا يكون الرجل عالما، حتى يسمع ممن هو أسن منه، وممن هو مثله وممن هو دونه[١].

وقيل لأحمد بن حنبل: مالك على قدره، يسمع من نظرائه قال: وما عليه، يزداد به علما، ولم يضره[٢].

٤ ـ وكتبوا عن الحافظ والأحفظ والثقة والأثبت، حتى يتمكنوا من الخروج بنتيجة علمية دقيقة فيقبلوا ممن هو أهل للقبول منه ويرفضوا من هو أدنى في الحفظ والاتقان: قال ابن المبارك: إذا أردت أن يصح لك الحديث، فاضرب بعضها ببعض.

وقال محمد بن يحيى[٣]: رأيت لعلي بن علي المديني كتاباً على ظهره مكتوب(المائة والنيف والستين من علل الحديث)[٤].

هذه أقوال أئمة هذا الشأن، وفيها وغيرها مثلها دلالة قاطعة على أن أولئك الجهابذة النقاد عملوا كل ما كان في وسع الإنسان أن يعمل، واتخذوا جميع التدابير التي كان يمكن للعقل البشري أن يتخذها لحماية الحديث النبوي من الدخيل.

فهم كانوا يجمعون الطرق المختلفة وينظرون في اختلاف الرواة وفي ضبطهم واتقانهم، فكان يقع في نفسهم أن الحديث معلول فيحكمون بعدم صحته أو يترددون فيتوقفون فيه.

وفيما يلي بعض الأمثلة التي تبين كيف أنّهم طبّقوا هذه الضوابط للوصول

---

(١) المصدر نفسه ٢/ ٢٧٤.

(٢) المصدر نفسه ٢/ ٢٧٥.

(٣) هو محمد بن يحيى بن أبي سمينه مهران البغدادي أبو جعفر التمار (٠٠ ـ ٢٣٩هـ). قال أحمد بن الحسين الصوفي: محمد بن يحيى ثقة. وقال أبو حاتم: صدوق. وذكره ابن حبان في الثقات.
خلاصة التذهيب/ ٣٦٣ التهذيب ٩/ ٥١٠ تهذيب الكمال خ/ صـ١٢٨٥.

(٤) الجامع لأخلاق الراوي ٢/ ٣٥٤.

إلى هدفهم المنشود :

١ ـ حديث سليمان التيمي عن قتادة عن يونس بن جبير عن حطان عن أبي موسى عن النبي ﷺ « **إنما جعل الإمام ليؤتم به** » قال فيه : (وإذا قرأ فانصتوا) قال ابن رجب : لم يذكر هذه اللفظة أحد من أصحاب قتادة الحُفَّاظ[١] .

وقال الدار قطني : هذه اللفظة لم يتابع سليمان التيمي فيها عن قتادة . وخالفه الحفاظ فلم يذكروها . قال : وإجماعهم على مخالفته يدل على وهمه[٢] .

وقد رواه مسلم بدون : (وإذا قرأ فانصتوا)[٣] .

ورواه البخاري ومسلم أيضا عن أنس وعائشة وأبي هريرة بغير بلفظ : وإذا قرأ فأنصتوا[٤] .

وقد روى أبو داود حديث أبي هريرة مع زيادة قوله : وإذا قرأ فأنصتوا .

وقال : ليست بمحفوظة ، والوهم عندنا من أبي خالد[٥] .

٢ ـ حديث جعفر بن برقان عن الزهري عن سالم عن أبيه : نهى رسول الله ﷺ عن لبستين : الصماء ، أن يلتحف الرجل في الثوب الواحد يرفع جانبيه على منكبيه ، وليس عليه ثوب غيره . وأن يحتبي الرجل في الثوب الواحد ليس بين فرجه وبين السماء شيء ، يعني سترا . ونهانا رسول الله ﷺ عن نكاحين : أن تزوج المرأة على عمتها ولا على خالتها . ونهانا رسول الله ﷺ عن مطعمين : الجلوس على مائدة يُشرب عليها الخمر ، وأن يأكل الرجل وهو منبطح على وجهه . ونهانا عن بيعتين : بيع المنابذة والملابسة وهي بيوع كانوا يتبايعون بها في الجاهلية .

---

(١) شرح العلل ٢/ ٦٣٢ .
(٢) انظر نيل الأوطار ٢/ ٢٤٠ .
(٣) مسلم ، الصلاة جـ١/ ٣٠٣ الحديث ٦٢ .
(٤) البخاري ، الصلاة ١/ ١٨٧ ومسلم ، الصلاة ١/ ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ١١٣ .
(٥) نيل الأوطار ٢/ ٢٤٠ .

قال ابن رجب : لا يتابع عليه من حديث الزهري[١] .

وقال عبدالله بن أحمد[٢] : سألت أبي عن جعفر بن برقان ، فقال ، في حديث الزهري يخطيء[٣] .

وقال ابن معين : هو ضعيف في الزهري .

وقال أيضا : جعفر بن برقان ثقة فيما روى عن غير الزهري ، وأما ما روى عن الزهري فهو فيه ضعيف . وليس هو مستقيم الحديث عن الزهري .

وقال ابن نمير : هو ثقة . أحاديثه عن الزهري مضطربة[٤] .

وقد عرف الأئمة هذا كله عن جعفر بعد أن سبروا أحاديثه التي يرويها عن الزهري ، فتأكد لديهم أنه مضطرب في رواياته عن الزهري ، فتكون معلولة بهذا . والله أعلم .

---

(١) شرح العلل ٢/ ٦٣٧ .

(٢) هو عبد الله بن الإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني أبو عبد الرحمن (٢١٣ ـ ٢٩٠هـ) . ثقة ثبت ، قال أبو بكر الخلال : كان عبد الله رجلا صالحا صادق اللهجة كثير الحياء وقال أبو الحسن بن المناوي : لم يكن في الدنيا أحد أروى عن أبيه منه لأنه سمع منه المسند وهو ثلاثون ألفا .
التقريب ١٦٧ التهذيب ٥/ ١٤٠ المنهج الأحمد : ١/ ٢٩٤ .

(٣) شرح العلل ٢/ ٦٣٥ .

(٤) المصدر نفسه ٢/ ٦٣٥ .

الباب الثاني / الفصل الثاني

مخالفة الثقات (الشذوذ في المتن)

وفيه أربعة مباحث:

١ ـ المبحث الأول : الإدراج في المتن .

الأمثله

٢ ـ المبحث الثاني : القلب في المتن .

الأمثلة

٣ ـ المبحث الثالث : الاضطراب في المتن .

الأمثلة

المبحث الرابع : التصحيف في المتن .

الأمثلة

مخالفة الثقات (الشذوذ في المتن)

عند الحديث عن الشذوذ في السند قلت : إن الشذوذ قد يكون في السند وقد يكون في المتن .

والشذوذ في المتن : يعني مخالفة الراوي الفرد لمن هو أحفظ منه وأضبط أو لجماعة في نقل المتن بالزيادة أو النقصان ، أو بالقلب في المتن أو يكون المتن الذي جاء به الفرد مضطربا أو مُصحَّفا .

وقد تعرض الأئمة النقاد للأحاديث التي خالف فيها الراوي الفرد الأضبط منه والحفظ ، أو خالف جماعة ، وبينوا ما فيها من المخالفة والشذوذ وذكروا الزيادة والنقصان ، وكشفوا ما فيها من القلب أو الاضطراب ، أو التصحيف أو الأنواع الأخرى من عيوب المتن .

وهذه الأنواع كلها موجودة في كتب المصطلح الأولى ، ومشروحة أهميتها في مجال نقد الحديث . وهذا إن دلَّ على شيء ، فقد دل على اهتمام النقاد بالمتن .

وسوف أحاول فيما يلي ، أن أذكر بعض الأمثلة للأنواع المشار إليها مستخرجا إياها من بطون كتب الحديث ، ليتبين اجتهاد المحدثين ودقتهم في هذا الباب ، أعني نقد المتن ، إذ لم يخطر في قلب الإنسان طريق لنقد الحديث إلا وقد سلكوه ، وقاعدة لكشف العلل والعيوب إلا وقد أجروها .

وهذا أقصى ما يستطيع إنسان أن يفعله ، وهو الذي يكلف به الإنسان ولذلك جاءت السنة نقية خالصة من الشوائب . وصدق الله سبحانه إذ قال : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾[1] .

---

(١) سورة الحجر / ٩ .

الإدراج في المتن

ومن أمثلة

١ ـ الحديث الذي رواه سعيد بن جبير، قال: حدثنا ابن عباس عن النبي ﷺ. وفيه: معهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب. ثم قال: هم الذي «لا يرقون» ولا يسترقون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون. الحديث[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: هذه الزيادة (ولا يرقون) وهم من الراوي، لم يقل النبي ﷺ «ولا يرقون». وقد قال النبي ﷺ، وقد سئل عن الرقي: من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه[٢] وقال ﷺ: لا بأس بالرقي ما لم يكن فيه شرك[٣].

وقال شيخ الإسلام: وأيضا فقد رقي جبريل النبي ﷺ ورقى النبي ﷺ أصحابه. كما في البخاري من حديث عائشة وأنس وابن مسعود وغيرهم[٤].

٢ ـ وقال ابن أبي حاتم، سألت أبي عن حديث رواه بقية عن أبي وهب الأسدي عن أيوب عن ابن سيرين عن أبي هريرة قال: نهى رسول الله ﷺ عن تلقي الجلب، فإن اشتراه مشتر، فإن صاحب السلعة بالخيار، إذا دخل المطر ما بينه وبين نصف النهار. فسمعت أبي يقول: ليس في شيء من الحديث: إذا دخل المصر فإن صاحبه بالخيار ما بينه وبين نصف النهار[٥].

قلت: هذا مدرج في متن الحديث.

٣ ـ وروى الخطيب من طريق أبي قطن وشبابه عن شعبة عن محمد بن زياد عن

---

(١) رواه مسلم في الإيمان/ ٣٧٤.
(٢) رواه مسلم أيضاً، السلام/ ٦١، ٦٢، ٦٣ والإمام أحمد ٣/ ٣٠٢، ٣٣٤، ٣٨٢، ٣٩٣.
(٣) المصدر نفسه، السلام/ ٦٤ وأبو داوود، الطب/ ١٨.
(٤) راجع فتح المجيد ٦٦، ٦٧.
(٥) علل الحديث ١/ ٣٩٣.

أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: **أسبغوا الوضوء، ويل للأعقاب من النار**[١].

فعبارة: « أسبغوا الوضوء » في أول الحديث ليست من كلام الرسول ﷺ الذي لم يزد على أن قال: ويل للأعقاب من النار. ولكن أبا هريرة أدرج العبارة السابقة، فوهم أبو قطن وشبابه في روايتهما لها عن شعبة، وظناها من قول الرسول ﷺ لا من قول أبي هريرة.

وقد عرف هذا من الروايات الكثيرة الأخرى الخالية من عبارة: أسبغوا الوضوء. وأجدر تلك الروايات بالعناية والاهتمام ما جاء في صحيح البخاري عن آدم عن شعبة عن محمد بن زياد عن أبي هريرة قال: أسبغوا الوضوء فإن أبا القاسم ﷺ قال: ويل للأعقاب من النار.

وقد ذكر الحافظ السيوطي نقلا عن الخطيب: أن الحديث بروايته الأخيرة قد رواه الجم الغفير عن أبي هريرة كرواية آدم[٢].

٤ ـ وحديث البراء أنه رأى النبي ﷺ حين افتتح الصلاة رفع يديه حتى حاذى بهما إلى أذنيه ثم لم يعد إلى شيء من ذلك حتى فرغ من صلاته[٣].

قوله: (ثم لم يعد إلى آخره) مدرج من زيادة يزيد بن أبي زياد، نبّه عليه ابن عُيينة أخرجه الشافعي في «الأم[٤]»وقد سمعه الحفاظ منه قديما بدونها: هشيم وخالد بن الطحان وابن ادريس عند أبي داود والثوري وشعبة وأسباط بن محمد عند أحمد[٥].

---

(١) ابن ماجة الوضوء ١/ ١٥٤ وقد ذكره السيوطي في المدرج إلى المدرج صـ١٨.
(٢) انظر توضيح الأفكار ٢/ ٥١ والتدريب/ ١٧٥.
(٣) أخرجه أبوداوود، الصلاة / ٢٧٩١ رقم ٥٧٢. وقال: هذا الحديث ليس بصحيح. والدار قطني، السنن ١/ ٢٩٣ من دون لفظ (ثم لم يعد) وقال: وهو الصواب.
(٤) الام ١/ ٩٠.
(٥) انظر المدرج إلى المدرج للسيوطي/ ١٩.

٥ ـ وروى أبو جعفر الطحاوي[١]: حدثنا يونس بن عبدالأعلى، أنبأنا ابن وهب، أن مالكا حدثه عن عبدالله بن أبي بكر عن عمرة ابنة عبدالرحمن عن عائشة أم المؤمنين. أنها قالت: كان فيما أنزل من القرآن: عشر رضعات يحرمن، ثم نسخن بخمس معلومات، ثم توفي رسول الله ﷺ وهن مما يقرأ من القرآن. قال أبو جعفر، وهذا مما لا نعلم أحدا رواه كما ذكرنا، غير عبدالله بن أبي بكر. وهو عندنا وهم منه. أعني ما فيه مما حكاه عن عائشة أن رسول الله ﷺ توفي، وهن مما يقرأ من القرآن. لأن ذلك لو كذلك لكان كسائر القرآن. ولجاز أن يقرأ به في الصلوات. وحاشا لله أن يكون كذلك. أو يكون قد بقي من القرآن ما ليس في المصاحف التي قامت بها الحجة علينا. إلى أن قال: ولكن حقيقة هذا الحديث عندنا ـ والله أعلم ـ ما قد رواه من أهل العلم عن عمرة، من مقداره في العلم وضبطه له فوق مقدار عبدالله بن أبي بكر وهو القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه. ثم قال: حدثنا محمد بن خزيمة حدثنا حجاج بن منهال حدثنا حماد بن سلمة عن عبدالرحمن بن القاسم عن القاسم بن محمد عن عمرة عن عائشة قالت: كان مما نزل من القرآن ثم سقط: لا يحرم من الرضاع إلا عشر رضعات. ثم نزل بعده: أو خمس رضعات. قال أبو جعفر: وقد تابع القاسم بن محمد على إسقاط حديث عبدالله بن أبي بكر إمام من أئمة زمنه وهو يحيى بن سعيد الأنصاري. ثم روى أبو جعفر حديثه بإسناده إليه.

قال أبو جعفر: فهذا أولى مما رواه عبدالله بن أبي بكر، لأنَّ محالا أن تكون عائشة تعلم أنه قد بقي من القرآن شيء لم يكتب في المصاحف ولا تنبه على

---

(١) هو أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزدي أبو جعفر الطحاوي (٢٣٩ ـ ٣٢١هـ). فقيه، قال ابن يونس: وكان ثقة ثبتا فقيها، وقال أبو إسحاق الشيرازي انتهت إليه رياسة أصحاب أبي حنيفة بمصر.
تذكرة الحفاظ: ٣/ ٨٠٨ طبقات الحفاظ: ٣٣٩.

ذلك من أغفله[١].

٦ ـ وحديث أبي هريرة: من كان مصليا بعد الجمعة فليصل أربعا. فإن عجل به شيء فليصل ركعتين في المسجد وركعتين إذا رجع[٢].

قال السيوطي: وهم فيه عبدالله بن إدريس الأودي[٣] والمرفوع منه إلى قوله أربعا. والباقي مدرج من كلام أبي صالح[٤] بينه أبو خيثمة زهير بن حرب النسائي الإمام الحافظ، أخرجه أبو داود[٥] وحماد بن سلمة أخرجه ابن حبان[٦] ونص على أن الإدراج من ابن إدريس.

٧ ـ وحديث زياد بن سعد عن ابن شهاب عن سالم عن ابن عمر أنه كان يمشي بين يدي الجنازة، وكان رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر يمشون أمامها. أخرجه الترمذي[٧].

قوله: « وكان رسول الله ﷺ » ليس من قول ابن عمر بل مدرج من قول ابن شهاب، بينه معمر، أخرجه الترمذي. ونص على أنه مدرج والنسائي في السنن[٨].

٨ ـ وحديث ابن مسعود: **أن النبي ﷺ أخذ بيده فعلّمه التشهد: التحيات لله والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته. السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين. أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله. فإذا**

---

(١) راجع مشكل الآثار ٣/ ٦.

(٢) أخرجه مسلم / ٨٨١ بلفظ: إذا صلّى أحدكم الجمعة فليصل بعدها أربعا، وابن ماجة كتاب إقامة الصلاة، حديث ١١٣٢.

(٣) ثقة ثبت مات سنة ١٩٢ هـ وله ترجمة في تهذيب التهذيب ٥/ ١٤٤.

(٤) أبو صالح السمان ذكر أنه مدني تابعي ثقة كثير الحديث مات سنة ١٠١ هـ. انظر تهذيب التهذيب ٣/ ٢٢٠.

(٥) ١/ ٣٠٤ رقم ١١٣١.

(٦) موارد الظمآن صـ١٥٢ رقم ٥٨٠.

(٧) الترمذي، الجنائز ١/ ٣٣٠.

(٨) مجتبى النسائي، باب مكان الماشي من الجنائز ٤/ ٥٦.

قلت ذلك فقد تمت صلاتك، فإن شئت فقم، وإن شئت فأقعد[١].

قوله: فإذا قلت ذلك إلى أخره مدرج، من قول ابن مسعود، وليس من المرفوع. بيّنه شبابة بن سوار أخرجه الدارقطني، وعبدالرحمن بن ثابت ابن ثابت. أخرجه أبو يعلى والطبراني في الأوسط[٢].

٩ ـ وحديث فضالة بن عبيد: **أنا زعيم ـ والزعيم الحميل ـ من آمن بي وأسلم وهاجر في سبيل الله، ببيت في ربض الجنة**[٣].

قوله: والزعيم الحميل، مدرج من تفسير ابن وهب، قاله ابن حبان[٤].

١٠ ـ وحديث أنس: **كان رسول الله يصلي العصر والشمس مرتفعة حية، فيذهب الذاهب إلى العوالي فيأتيهم والشمس مرتفعة وبعض العوالي من المدينة على أربعة أميال أو نحوه**[٥].

قوله: وبعض العوالي إلى آخره، مدرج من كلام الزهري وبيّنه عبدالرزاق.

القلب في المتن

لقد مرَّ في مبحث محترزات الضبط: أن المقلوب هو الحديث الذي انقلب فيه على أحد الرواة لفظ في المتن، أو اسم رجل أو نسبه في الإسناد. وعرفنا هناك ما قد يحصل في السند من القلب. وقد يكون القلب في المتن.

---

(١) أخرجه بدون المدرج البخاري ١/ ٢٢١، ٢١٢ ومسلم ١/ ٣٠٢ وبقية الستة. والرواية المدرجة، رواها أبو داود في السنن: الصلاة ١/ ٣٥٠ رقم ٩٧٠ والدارقطني في سننه ١/ ٣٥٣ وأحمد في المسند ١/ ٣٧٦.

(٢) انظر المدرج إلى المدرج صـ٢٠.

(٣) أخرجه النسائي الجهاد ٦/ ٢١ وابن حبان ١٥٨٧ ـ موارد.

(٤) التدريب/ ١٧٦ والمدرج/ ٤٥.

(٥) أخرجه البخاري، مواقيت الصلاة ١/ ١٤٥، سنن البيهقي ١/ ٤٤٠ وانظر لمزيد من الأمثلة: المدرج إلى المدرج للسيوطي وكتاب التمييز للإمام مسلم وتدريب الراوي بحث المدرج وتوضيح الأفكار ٢/ ٥١ وما بعده وكتاب التمهيد لابن عبد البر ومشكل الآثار للطحاوي.

ومن أمثلته :

حديث : «**سبعة يظلهم الله تحت ظله يوم لا ظل إلا ظله**»[١] .

فقد جاء في هذا رواية : «**ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم يمينه ما تنفق شماله**»[٢]

وهذا قد انقلب على القاضي : ويشبه أن يكون الوهم فيها من الناقلين عن مسلم لا من مسلم ، بدليل إدخاله بعده حديث مالك رحمه الله وقال : بمثل حديث عبيد ، وبين الخلاف في قوله ، وقال : رجل معلق بالمساجد إذا خرج منه حتى يعود . فلو كان ما رواه مخالفا لرواية مالك لنبّه عليه كما نبّه على هذا[٣] .

٢ ـ وحديث أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : «إذا سجد أحدكم فلا يبرك كما يبرك البعير ، وليضع يديه قبل ركبتيه»[٤] .

قال ابن القيم[٥] : إن حديث أبي هريرة مما انقلب على بعض الرواة متنه وأصله ولعله : وليضع ركبتيه قبل يديه[٦] .

٣ ـ وحديث عبدالله بن عثمان بن خيثم عن أبي الطفيل قال : طاف معاوية بالبيت ومعه ابن عباس . فكان معاوية يستلم الأركان كلها . فإذا استلم

---

(١) رواه البخاري ، الجماعة ، باب من جلس في المسجد ١/ ١٢٩ .

(٢) مسلم ، الزكاة ، فضل إخفاء الصدقة ٣/ ٩٣ .

(٣) انظر شرح النووي على مسلم ٧/ ١٢٢ .

(٤) أخرجه أبو داوود ١/ ٢٢٢ (كيف يضع يديه قبل ركبتيه) والنسائي على الوجهين ٢/ ١٦٣ .

(٥) هو محمد بن أبو بكر بن أيوب بن سعد الزراعي الدمشقي أبو عبد الله شمس الدين المعروف بابن قيم الجوزية (٦٩١ ـ ٧٥١هـ) . فقيه ، أصولي ، مجتهد ، متكلم ، مصلح ، ومشارك في غير ذلك . لازم ابن تيمية وسجن في قلعة دمشق . كان حسن الخلق محبوبا عند الناس . قال : ابن كثير : كان ملازما للاشتغال ليلا ونهاراً ، كثير الصلاة والتلاوة وحسن الخلق .
الأعلام ٦/ ٥٦ معجم المؤلفين ٩/ ١٠٦ مقدمة زاد المعاد ١/ ٥ مقدمة كتاب الفوائد (ر) .

(٦) زاد المعاد ١/ ٥٧ .

الركنين الذين في الحِجر قال له ابن عباس : إن رسول الله ﷺ لم يكن يستلم هذين . فقال له معاوية : إنه ليس من البيت شيء مهجور . وجعل ابن عباس يتخافتها كلما استلم ويقول : إن رسول الله ﷺ لم يستلم هذين ويقول له معاوية ، إنّه ليس في البيت شيء مهجور[١] .

وقد روى هذا الخبر قتادة عن أبي الطفيل ، فقلب القصة فيه ، قال قدم معاوية وابن عباس ، فطاف ابن عباس ، فاستلم الأركان كلها . فقال معاوية : إنما استلم رسول الله الركنين اليمانيين . وقال ابن عباس : ليس شيء من أركانه مهجورا .

قال ابن عبدالبر : رواية عبدالله بن عثمان بن خيثم أثبت من رواية قتادة ، لأن مجاهدا روى عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ . أنه لم يستلم إلا الركنين اليمانيين . وأنه أنكر على معاوية استلامه الركنين الآخرين[٢] .

٤ ـ وحديث أبي هريرة في محاجة الجنّة والنار في تفسير قوله تعالى : « هل من مزيد » وأما النار فينشىء الله لها من يشاء ، وأما الجنة فلا يظلم ربك أحدا .

والإنشاء إنما هو للجنة ، لا للنّار .

انقلب هذا على بعض الرواة ، وإنما هو : وأما الجنة فينشىء الله لها من يشاء . وأما النار فلا يظلم ربك أحدا .

وبهذا اللفظ الذي لا انقلاب فيه خرجه الشيخان من حديث أبي هريرة وخرجاه كذلك غير مقلوب من حديث أنس من غير اختلاف (كما وقع في الأول) .

وكذلك قال الله تعالى « وما كُنّا مُعَذِّبينَ حتى نَبعَثَ رَسُولاً » ومن ينشئه للنار يعذبه من غير بعثة رسول إليه ولا تكليف ، ولا يجوز عليه لقوله : ولا يظلم

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في المصنف ٥/ ٤٥ حديث ٨٩٤٤ .

(٢) انظر التمهيد ١٠ صـ٥٢ ، ٥٣ .

ربك أحدا[١]

٥ ـ وحديث أنيسة مرفوعا: «**إذا أذّن ابن أم مكتوم فكلوا واشربوا، وإذا أذن بلال فلا تأكلوا ولا تشربوا**». رواه أحمد وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما[٢].

والمشهور من حديث ابن عمر وعائشة: «**إن بلالا يؤذن بليل فكلوا واشربوا، حتى يؤذن ابن أم مكتوم**»[٣].

٦ ـ وحديث أبي هريرة مرفوعا: «**إذا أمرتكم بأمر فأتوه وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه ما استطعتم**». رواه الطبراني.

فإن المعروف ما في الصحيحين: «**ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم**»[٤].

الاضطراب في المتن

من الأمثلة:

١ ـ حديث ابن عباس قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إن أمي ماتت وعليها صوم. أفأصوم عنها؟ فقال: **أرأيت لو كان عليها دين أنت تقضيه؟ قال: نعم. قال: فدين الله أحق أن يقضي.**

هذا حديث قد اختلف فيه على الأعمش في إسناده ومتنه:

فقال فيه جماعة من رواته عنه بإسناده عن ابن عباس قال: جاءت إمرأة إلى

---

(١) انظر صحيح البخاري، التوحيد / ٢٥ والتفسير، سورة رقم ٥٠ وفتح الباري التفسير جـ١٣ صـ٤٣٧ والتفسير صـ٥٩٥ وانظر كذلك الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية جـ١٣ صـ٢٢٤ وتوضيح الأفكار ٢/ ١٠٦.

(٢) انظر موارد الظمان صـ٢٢٤ وصحيح ابن خزيمة الصلاة (١/ ٢١٠).

(٣) رواه البخاري، الصيام ٣/ ٣٧ ومسلم، الصيام ٢/ ٧٦٨.

(٤) راجع البخاري كتاب الاعتصام باب / ٢ ومسلم، الحج، ٤١٢ والنسائي، مناسك / ١ وابن ماجه، المقدمة / ١ مسند أحمد ٢/ ١٩٦، ٢٤٧، ٢٥٨، ٣١٣، ٣٥٥، ٤٢٨، ٤٩٥، ٥٠٨.

النبي ﷺ فقالت: إنّ أختي ماتت وعليها صيام. وبعضهم يقول في حديث ابن عباس هذا: إن إمرأة جاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت: إن أُمّي ماتت وعليها صوم.

وروى مالك عن ابن شهاب عن عبيدالله بن عبدالله بن عتبه بن مسعود عن ابن عباس: إن سعد بن عبادة استفتى رسول الله ﷺ فقال: إن أُمّي ماتت وعليها نذر لم تقضه فقال رسول الله ﷺ: «**إقضه عنها**»[١].

وفي رواية أخرى لمالك عن ابن عباس: أن سعدا قال: يا رسول الله: أينفع أُمّي أن أتصدق عنها. وقد ماتت؟ قال: «**نعم**». قال فما تأمرني؟ قال: **اسق الماء**[٢] وفي هذا كله ما يدل على أن هذا الحديث ليس ذلك الحديث، وأن الرجل المذكور فيه ليس سعد بن عبادة. وهل الذي جاء إلى الرسول ﷺ رجل أو إمرأة والتي ماتت أخت السائل أو أمه. وهل المتوفّي كان عليه صوم أو نذر آخر، أو لم يكن عليه شيء وإنما أراد السائل أن يتصدق عنه. وقد كان ابن عباس يفتي بخلافه. ولأجل هذا كله قال ابن عبدالبر: إنّ هذا الحديث مضطرب[٣].

٢ ـ وحديث ابن عباس أيضا قال: مَرّ رسوال الله ﷺ بشاة ميتة كان أعطاها مولى لميمونة زوج النبي ﷺ. فقال: «**ألا انتفعتم بجلدها**»، فقالوا: يا رسول الله، إنها ميتة، فقال رسول الله ﷺ: «**إنما حرم أكلها**».

فإن ابن عُيينه كان يقول مرارا كذلك، أي عن ابن عباس: ومرارا يقول فيه: عن ابن عباس عن ميمونة. وفيه: ودباغ إهابها طهورها. فكان ابن عُيينه مرة يذكر الدباغ فيه ومرة لا يذكره.

---

(١) الموطأ، ما يجب من النذور في المشي/ ١ والحديث أخرجه البخاري الوصايا/ ١٩ ومسلم، النذر/ ٢٦.

(٢) أخرجه الدارقطني في الغرائب، والمحفوظ ما رواه مالك في الموطأ (انظر نيل الأوطار ٨/ ٢٦٤).

(٣) انظر التمهيد جـ٩ صـ٢٧ وما بعدها.

ولأجل هذا قال محمد بن يحيى النيسابوري: لست أعتمد في هذا الحديث على ابن عُيينة لاضطرابه فيه[١].

٣ ـ وحديث رافع بن خديج: «**إن رسول الله ﷺ نهى عن كراء الأرض**». قال حنظلة (راوي الحديث عن رافع) فسألت رافع بن خديج بالذهب والورق؟ قال: أما الذهب والورق فلا بأس.

فإن هذا الحديث مضطرب الألفاظ ومختلف المعاني ـ وقد روي نص هذا الحديث من وجوه يختلف بعضها عن البعض[٢].

١ ـ فقد روى رفاعة عن رافع قال قال رسول الله ﷺ: «**من كانت له أرض فليزرعها، أو ليُزرعَها أخاه، أو ليدعها**».

٢ ـ وروى سالم أن رافع بن خديج أخبر عبدالله بن عمر، أن عميه وكانا شهدا بدرا، أخبراه «**أن رسول الله ﷺ نهى عن كراء المزارع**».

وروى نافع عن ابن عمر مثله.

٣ ـ وروى ابن رافع بن خديج عن أبيه سمعه يقول: «**نهى رسول الله ﷺ عن إجارة الأرض**».

٤ ـ وفي رواية عن رافع قال قال رسول الله ﷺ، «من كانت له أرض فليزرعها أو ليزرعها أخاه، ولا يُكريها بثلث ولا ربع ولا طعام مسمى».

٥ ـ وقال زيد بن ثابت: يغفر الله لرافع بن خديج، أنا ـ والله ـ أعلم بالحديث منه إنما آتاه رجلان من الأنصار قد اقتتلا فقال النبي ﷺ: هذا شأنكم، فلا تكروا المزارع فسمع قوله: لا تكروا المزارع.

٦ ـ وقال عبدالله بن عمر: كنا نخابر، ولا نرى بذلك بأسا، حتى زعم

---

(١) المصدر السابق جـ٩ صـ٤٩، ٥٠.

(٢) انظر التمهيد جـ٣ صـ٣٢، وانظر الموطأ في كراء الأرض / ١ والبخاري الإجارة / ٢٢، الحرث ومسلم البيوع / ٨٦، ٨٧، ٩٩، ١٠٨، ١١٥، أبو داوود، البيوع / ٣٠، ٣١ وابن ماجة الرهون / ٨.

رافع بن خديج أن رسول الله ﷺ نهى عنه، فتركنا ذلك من أجله.

٧ ـ وقال سعد بن أبي وقاص: كان الناس يكرون المزارع بما يكون على السواقي، وبما ينبته الماء حول البئر. فنهانا رسول الله ﷺ عن ذلك.

٨ ـ وروى نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ أعطى خيبر اليهود على أن يعملوها ويزرعوها ولهم شطر ما خرج منها.

ورواية أخرى عنه مثله، وفيها: بشطر ما يخرج منها من زرع أو تمر. فترى أن أحاديث رافع مضطربة الألفاظ مختلفة المعاني.

ولذلك قال سالم بن عبدالله بن عمر: أكثر رافع بن خديج، ولو كان لي مزرعة أكريتها. وفي لفظ أرض «بدل مزرعة».

وهذا الذي يظهر من كلام زيد بن ثابت أن رافعا لم يسمع الحديث كله.

ولذلك قال أحمد بن حنبل: أحاديث رافع في كراء الأرض مضطربة.

وقال آخرون: أحاديث رافع في هذا الباب، لا يثبت منها شيء يوجب أن يكون حكما، لاختلاف ألفاظها واضطرابها.

وحديث نافع عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ أعطى خيبر اليهود على أن يعملوها ويزرعوها ولهم شطر ما خرج منها: أيضا دليل على أن ما رواه رافع وهو النهي عن كراء الأرض مطلقا، فيه غلط واضطراب[1].

٤ ـ والحديث الذي روي عن أنس بن مالك في الجهر بالبسملة عند افتتاح الصلاة: فقد روى مالك في الموطأ عن حميد الطويل عن أنس بن مالك (موقوفا) قال: قمت وراء أبي بكر وعمر وعثمان. فكلهم كان لا يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم، إذا افتتح الصلاة، وروته طائفة عن مالك (في غير الموطأ) فرفعته وذكر فيه النبي ﷺ ولكن ليس ذلك بمحفوظ فيه عن مالك.

وقد ذكر الحافظ ابن عبدالبر تلك الروايات المرفوعة، مع بيان ما فيها من الاضطراب

---

(١) راجع التمهيد جـ٣ صـ٣٢ وما بعدها.

في متن الحديث. ثم قال: هذا ما بلغنا من الاختلاف على مالك في إسناد هذا الحديث ولفظه. ثم قال: وقد روى هذا الحديث عن أنس قتادة وثابت البناني وغيرهما، كلهم أسنده وذكر فيه النبي ﷺ.

إلا أنهم اختلف عليهم في لفظه اختلافا كثيرا مضطربا متدافعا:

منهم من يقول فيه: كانوا لا يقرؤن بسم الله الرحمن الرحيم. منهم من يقول: كانوا لا يجهرون ببسم الله الرحمن الرحيم. ومنهم من قال: كانوا لا يتركون بسم الله الرحمن الرحيم. ومنهم من قال: كانوا يفتتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين.

وقال: وهذا اضطراب لا تقوم معه حجة لأحد من الفقهاء.

وقد روي عن أنس أنه سُئل عن هذا الحديث فقال: كَبرنا ونسينا[١].

٥ ـ وحديث فاطمة بنت قيس المرفوع قالت: سألت ـ أو سئل ـ النبي ﷺ عن الزكاة، فقال: «**إن في المال لحقا سوى الزكاة**»[٢].

بإثبات حق في المال غير الزكاة.

رواه ابن ماجه عنها بلفظ: ليس في المال حق سوى الزكاة[٣].

وإسنادهما واحد عن شريك عن أبي حمزة عن الشعبي عنها.

قال الزين: فهذا الاضطراب لا يحتمل التأويل[٤].

٦ ـ وحديث رواه سليمان بن عتيق قال: سمعت عمر يقول: «**صلاة في المسجد الحرام خير من مائة صلاة فيما سواه**».

---

(١) راجع التمهيد جـ٢ صـ٢٢٨ ـ ٢٣٠ وشرح النووي على مسلم ٤/ ١١١ وتدريب الراوي صـ١٦٣ ـ ١٦٦.

(٢) رواه الترمذي باب ٢٧ من الزكاة، وانظر تحفة الأحوذي جـ٣ كتاب الزكاة باب ٢٧.

(٣) ابن ماجه، الزكاة/ ٣.

(٤) توضيح الأفكار ٢/ ٤٧، ٤٨.

وفي رواية أخرى له قال: سمعت عبدالله بن الزبير يقول: سمعت عمر ابن الخطاب يقول: صلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة صلاة في مسجد النبي ﷺ.

وفي رواية أخرى قال ابن عتيق: سمعت ابن الزبير على المنبر يقول سمعت عمر ابن الخطاب يقول: صلاة في المسجد الحرام أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد، إلا مسجد رسول الله ﷺ، فإنما فضله عليه بمائة صلاة. لذا قال ابن عبدالبر: حديث سليمان بن عتيق هذا لا حجة فيه، لأنه مختلف في إسناده ولفظه وقد خالفه من هو أثبت منه[1].

التصحيف في المتن

وقد اهتم بهذا النوع أيضا حتى لا يتغير معنى الحديث ومفهومه. وهذا من نقد المتن بلا شك. وقد جمع المحدثون من هذا النوع طرائف وغرائب. وألفوا فيه رسائل وكُتباً.

وسأذكر فيما يلي بعض الأمثلة مما ذكره المحدثون النقاد ليتم الاستدلال على أن النقاد فتشوا علل الأحاديث وما يطرأ عليها من العيوب الأخرى حتى جاءت السنة النبوية نقية خالصة من الشوائب:

١ ـ روى أبو الحسن الدارقطني قال: قرأ عبدالواحد بن علي ابن حشيش الوارق علي أبي بكر النجار حديث كعب بن مالك قال: كنت أول من عرف وجه رسول الله ﷺ يوم أُحد، رأيت عتيبة بن هزان تحت المغفر (وَمرَّ في الحديث، ولم يشك، فقلت له: ويحك، إنما هو: فرايتُ عينية تُزهران. فضحك الناس منه حينئذ)[2].

---

(١) انظر التمهيد جـ٦ صـ٢٠.

(٢) الجامع لأخلاق الراوي ١/ ٢٢٧.

٢ ـ وروى سفيان نا الزهري أخبرني عروة بن الزبير عن عائشة قالت : دخل عليّ رسول الله ﷺ ذات يوم مسرورا ، فقال : ألم تر أن (مُجَزّز[١]) المدلجي دخل عليَّ فرأى زيدا وأسامة وعليهما قطيفة . وقد غطيا رؤوسها وبدت أقدامهما ، فقال : إن هذه الأقدام بعضها من بعض .

قال سفيان : وسمعت ابن جريج يحدث به عن الزهري فقال فيه : ألم تر أن مُجَزِزا المدلجي . فقلت : يا أبا الوليد : إنما هو مجزز المدلجي فأنكر[٢] .

٣ ـ وقال سليمان[٣] بن فليح : حضرت مجلس هارون الرشيد ، ومعنا أبو يوسف . فذكر سباق الخيل . فقال أبو يوسف : سابق رسول الله ﷺ من الغابة إلى بنية الوداع . فقلت : يا أمير المؤمنين صحف والله ، إنما هو الغاية إلى ثنية الوداع . وهو في غير هذا أشد تصحيفا[٤] .

٤ ـ روى عبدالله بن أحمد بن حنبل قال : سمعت عبيدالله بن عمر القواريري يقول : سأل غلام حماد بن زيد ، فقال : يا أبا إسماعيل حدثك عمرو عن جابر أن النبي ﷺ نهى عن الخبز قال : فتبسم حماد فقال : يا بني إذا نهى رسول الله ﷺ عن الخبز فمن أين تعيش الناس ، إنما هو نهى النبي ﷺ عن

---

(١) بضم الميم وكسر الزاي المثقلة وحكى فتحها وبعدها زاي أخرى .

(٢) الجامع لأخلاق الراوي ١/ ٢٢١ والحديث رواه البخاري ، فضائل الصحابة ٣٧٣١ ، والفرائض ، القائف حديث / ٦٧٧٠ ، ٦٧٧١ ومسلم ، الرضاع ٦٢٠ وأبو داوود ، الطلاق ١/ ٥٢٦ ، والترمذي ، كتاب الولاء والهبة / ٥ والنسائي ، الطلاق ، القافة ٦/ ١٨٤ ، ٢٢٦ وابن ماجه كتاب الأحكام باب / ٢١ وأحمد في المسند ٦/ ٨٢ .
لسان الميزان ٣/ ١٠١ الجرح والتعديل ٤/ ١٣٥ .

(٣) قال ابن أبي حاتم : روى عنه محمد بن فليح سئل أبو زرعه عنه فقال لا أعرفه . قلت لعل محمد بن فليح روى عن أبيه فليح بن سليمان فانقلب على الراوي .

(٤) الجامع لأخلاق الراوي / ٢٢٢ والحديث رواه البخاري ، الصلاة / ٤١ ، والجهاد / ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ والاعتصام / ١٦ ومسلم ، الإمارة / ١٤٣ والموطأ ، الجهاد / ٢ ، ١ وأبو داوود الجهاد حديث ٢٥٧٥ والترمذي الجهاد / ٢٢ والنسائي في الخيل ٦/ ٢٢٦ .

الخِبْرِ[١].

٥ ـ روى علي بن عمر الحافظ قال: أملى أبو بكر الصولي في الجامع حديث عمر بن ثابت عن أبي أيوب عن النبي ﷺ قال: من صام رمضان وأتبعه ستا من شوال. فكأنما صام الدهر.
فقال الصولي: وأتبعه شيئا من شوال (الشين والياء)[٢].

٦ ـ حدث أبو حفص[٣] بن شاهين في أماليه عن النبي ﷺ أنه قال: يوشك أن تسير الظعينة بلا خفير. فصحف فيه فقال: بلا خفين[٤].

٧ ـ ومن التصحيف في المتن أنه لما مات محمد بن يحيى الذهلي، أجلس للتحديث شيخ يعرف بمحمش فحدث أن النبي ﷺ قال: يا أبا عمير، ما فعل البعير؟
يريد ما فعل النُغير[٥].

---

(١) لعل المقصود من الخبر: المخابرة. فقد ذكر لفظ الخبر بمعنى المخابرة عند مسلم حيث قال ابن عمر: كنا لا نرى بالخبر بأسا. حتى كان عام أول فزعم رافع: أن النبي ﷺ نهى عنه، فتركناه من أجله. انظر مسلم ١/ ٦٧٣، البيوع، كراء الأرض وانظر جامع الأصول ١١/ ٤١، وهي بكسر الخاء وسكون الباء.

(٢) الجامع لأخلاق الراوي ١/ ٢٢٦، ٢٢٧ والحديث رواه مسلم في الصيام وأبو داوود والترمذي. انظر جامع الأصول ٦/ ٣١٩، ٣٢٠ حديث ٢٢٥٩.

(٣) عمر بن أحمد بن عثمان بن أحمد البغدادي المعروف بابن شاهين أبو حفص (٢٩٧ـ ٣٨٥هـ). محدث حافظ، مؤرخ، واعظ. قال محمد بن أبي الفوارس. كان ابن شاهين ثقة مألوفا، قد جمع وصنف ما لم يصنف أحد.
تاريخ بغداد ١١/ ٢٦٥ تاريخ التراث العربي ١/ ٣٤٣.

(٤) الجامع لأخلاق الراوي ١/ ٢٢٧ والحديث رواه البخاري، المناقب ٦١٠، ٦١١ من فتح الباري، والترمذي، تفسير القرآن باب ٢ وم سورة فاتحة الكتاب حديث ٢٩٥٣ وأحمد ٤/ ٢٥٧، ٣٧٨ مع بعض الاختلاف في العبارات.

(٥) معرفة علوم الحديث/ ١٤٦ واختصار علوم الحديث/ ١٩٣.

٨ ـ ومنه ما رواه زكريا بن مهران قال: صحف بعضهم: لا يورث حميل إلا ببينة فقال: لا يرث جميل إلا بثينة[١].

٩ ـ وصحف بعضهم حديث: زرغبا تزود حبا: تزوَعنا تزدادا حنا.
ثم قص قصة طويلة: أنّ قوما ما كانوا يؤدون عشر غلاتهم ولا يتصدقون، فصارت زرعهم كلها حناء[٢].

١٠ ـ ومن أطراف ما يروى في تصحيف المتون أن رجلا جاء إلى بيت الليث بن سعد فقال كيف حدثك نافع عن النبي ﷺ في الذي يشرب في أبيه القصة؟ فقال الليث: ويحك. إنما هو في الذي يشرب في آنية الفضة. يجرجر في بطنه نار جهنم[٣].

١١ ـ ومن غريب ما يرويه الخطيب في هذا الباب عن أبي موسى محمد بن المثنى العنزي، أنه قال يوما يفخر بقبيلته: نحن قوم لنا شرف، نحن من عنزة قد صلى النبي ﷺ إلينا، لما رُوى أن النبي ﷺ صلّى إلى عنزة. توهم أنه صلى إلى قبيلتهم، وإنما العنزة التي ﷺ هي حِربة كانت تحمل بين يديه فتنصب فيصلي إليها[٤].

١٢ ـ ومن هذا النوع ما حدثه أبو الفضل[٥] بن أبي طاهر قال: صحف رجل في

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي ١/ ٢٢٥.
(٢) معرفة علوم الحديث/ ١٤٨ وقارن بالتدريب/ ١٩٦.
(٣) الجامع لأخلاق الراوي ١/ ٢٢٣، ٢٢٤.
(٤) الجامع لأخلاق الراوي ١/ ٢٢٦ والحديث رواه البخاري، الصلاة ٩٣، ٩٤ وفي الوضوء وفي الصلاة في الثياب وفي الآذان وفي الأنبياء وفي اللباس. ورواه مسلم الصلاة ١/ ٢٠٦ وأبو داوود الصلاة حديث/ ٦٨٨ والنسائي الطهارة ١/ ٨٧ وانظر جامع الأصول ٥/ ٥٢٢ حديث ٣٧٤٥.
(٥) هو أحمد بن أبي طاهر أبو الفضل الكاتب طيفور الخراساني (٢٠٤ ـ ٢٨٠هـ). كان أحد البلغاء الشعراء الرواة، ومن أهل الفهم وكان جميل الأخلاق ظريف المعاشرة.

قول النبي ﷺ: عم الرجل صنو أبيه، فقال: عم الرجل ضيق أبيه[١].

١٣ ـ وقال ابن عبدالبر: حدثنا عبدالوارث بن سفيان قال: حدثنا قاسم ابن أصبغ قال: حدثنا بكر بن حماد قال: حدثنا مسدد بن مسرهد قال حدثنا معتمر بن سليمان عن خالد الحذاء قال: أنبأنا أبو قلابة عن أبي أسماء (هو عمر بن مرثد الرحبي) عن عبادة بن الصامت أنهم أرادوا بيع آنية من فضة إلى العطاء فقال عبادة بن الصامت، قال رسول الله ﷺ: **الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والتمر بالتمر والشعير بالشعير والملح بالملح، يدا بيد مثلا بمثل. من زاد أو ازداد فقد أربى.**

قال أبو عمر: أخطأ المعتمر في قوله: إن الآنية بيعت إلى العطاء وإنما بيعت في أعطيات الناس، لا إلى العطاء.

لما روى أبو الأشعث قال: غزونا وعلى الناس معاوية، فغنمنا غنائم كثيرة. فكان فيما غنمنا آنية من فضة، فأمر معاوية رجلا ببيعها في أعطيات الناس. فتنازع الناس في ذلك، فبلغ عبادة بن الصامت ذلك فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ. وإن كره معاوية، أو قال: رغم معاوية[٢].

١٤ ـ ومثل حديث: **نهى النبي ﷺ عن الحِلق قبل الصلاة في الجمعة.**

صححه كثير من المحدثين ورواه (الحَلْق).

قال الخطابي: قال لي بعض مشائخنا: لم أحلق رأسي قبل الصلاة نحوا

= تاريخ بغداد ٤/ ٢١١ الاعلام ١/ ١٤١.

(١) الجامع لأخلاق الراوي ١/ ٢٢٤ والحديث رواه مسلم، الزكاة ٢/ ٥٦، ٥٧ من شرح النووي وأبو داود جـ٢/ ١١٥ حديث ١٦٢٣ والترمذي، المناقب ٥/ ٦٥٢، ٦٥٣ وأحمد ١/ ٩٤، ٢/ ٣٢٢، ٤/ ١٦٥.

(٢) التمهيد جـ٤ صـ٧٧.

من أربعين سنة بعدما سمعت هذا الحديث[١] .

❄❄❄❄❄❄
❄❄❄❄

(١) انظر إصلاح خطأ المحدثين / ١٢ ، ١٣ .

الباب الثاني / الفصل الثالث

١ ـ الحكم على الحديث بالوضع من غير طريق البحث في الإسناد .
٢ ـ لمن هذه المكانة العظمى؟
٣ ـ أشهر أمارات الوضع .
٤ ـ من أمارات الأحاديث الموضوعة في السند .
٥ ـ من أمارات الوضع في المتن .

الحكم على الحديث بالوضع من غير طريق البحث في الإسناد

في بداية هذا الباب (الباب الثاني) كتبت كلمة إضافية عن اهتمام المحدثين بنقد متن الحديث وأشبعت الموضوع بياناً أرجو أن يكون وافيا إن شاء الله .

وذكرت تحت الرقم (٤) أن العلماء اهتموا بمعرفة الأحاديث الموضوعة بناء على ضوابط علمية وقواعد ثابتة من دون أن ينظروا في السند وأحوال رجاله .

١ ـ وقد قال ابن الصلاح : وقد يفهمون الوضع من قرينة حال الراوي أو المروي : فقد وُضِعت أحاديث طويلة يشهد بوضعها ركاكة ألفاظها ومعانيها[١] .

٢ ـ وقال ابن دقيق العيد[٢] : كثيرا مايحكمون بذلك أي بالوضع باعتبار أمور ترجع إلى المروي وألفاظ الحديث[٣] .

٣ ـ وقال أبو الحسن علي بن محمد الكناني[٤] : منها قرينة في المروي كمخالفة لمقتضى العقل بحيث لا يقبل التأويل . ويلتحق به ما يدفعه الحِس

---

(١) مقدمة ابن الصلاح : النوع الحادي والعشروة ، معرفة الموضوع صـ٨٩ .

(٢) هو محمد بن علي بن وهب بن مطيع أبو الفتح المعروف بابن دقيق العيد (٦٢٥ ـ ٧٠٢هـ) . قاضي من أكابر العلماء بالأصول ، مجتهد ، وكان من أذكياء زمانه ، واسع العلم مديما للسهر حافظا متقنا .
تذكرة الحفاظ للذهبي ٤/ ١٤٨١ طبقات الحفاظ / ٥١٦ .

(٣) فتح المغيث للسخاوي ، الموضوع ، جـ١ صـ٢٤٩ .

(٤) هو علي بن محمد بن عبد الرحمن بن عراق الكناني (٩٠٧ ـ ٩٦٣هـ) فقيه متصوف . ولد في دمشق ورحل إلى الحجاز فتولى الإمامة بالمدينة وتوفى فيها . له تنزية الشريعة .
الأعلام ٥/ ١٢ الرسالة المستطرفة/ ١٥٠ .

والمشاهدة أو العادة[١].

٤ ـ وقال عمر بن بدر الموصلي: لم يقف العلماء عند نقد الحديث من حيث سنده، بل تعدوا إلى النظر في متنه، فقضوا على كثير من الأحاديث بالوضع، وإن كان سنده سالماً إذا وجدوا في متونها عللا تقضي بعدم قبولها[٢].

وللقارىء أن يراجع ما ذكره في هذا الخصوص كل من الإمام مسلم في «كتاب التمييز[٣]» والخطيب عند بيان القوانين التي ذكروها لمعرفة الوضع[٤] وشيخ الإسلام ابن تيمية في «منهاج السنة[٥]» والنواب صديق حسن في «الحطة[٦]» والقاسمي في قواعد التحديث[٧] حتى يعرف مدى اهتمام نقاد الحديث بالضوابط التي غرضها نقد المتون.

ولا غرو فقد ثبت من الرسول ﷺ ما دعاهم إلى هذا النوع من الاهتمام قال ﷺ: إذا سمعتم الحديث تعرفه قلوبكم وتلين له أشعاركم وأبشاركم وترون أنه منكم قريب فأنا أولاكم به، وإذا سمعتم الحديث عني تنكره قلوبكم وتنفر منه أشعاركم وأبشاركم، وترون أنه منكم بعيد، فأنا أبعدكم منه[٨] وقال في مناسبة أخرى، ما حدثتم عني ما تنكرونه فلا تأخذوا به فإني لا أقول المنكر ولست من أهله[٩].

---

(١) تنزيه الشريعة المرفوعة، حقيقة الموضوع صـ٦.
(٢) المغني عن الحفظ، والكتاب صـ١٠.
(٣) كتاب التمييز صـ٢١، ٢٢.
(٤) الكفاية صـ١٩٠ ـ ١٩٤.
(٥) منهاج السنة جـ٤ صـ١١٨.
(٦) الحطة في ذكر الصحاح الستة صـ١٨٧.
(٧) قواعد التحديث صـ١٥٠، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٧٠.
(٨) مسند أحمد. حديث أبي أسيد الساعدي جـ٣ صـ٤٩٧.
(٩) تنزية الشريعة صـ٧.

وهو الظاهر من أقوال الصحابة. وقد مرَّ هذا المبحث ضمن مباحث نقد المتن، فلا حاجة إلى إعادته[١].

لمن هذه المكانة العُظمى؟

ولكن هذه المكانة العُظمى لم يكن أهلا لها كل من تَطفّل على مائدة الحديث، ولم يسلم قول كل من هبّ ودبّ، لأن هذا الدرب خطير والأمر جسيم، فلا يُسمح لكل مدع أن ينتقد الأحاديث ويضع إشارات الوضع على أحاديث من دون أن يخالط هذا الفن لحمه ودمه.

وهذا الذي وضّحه الإمام ابن القيم عندما قال رحمه الله: وإنما يعلم ذلك من تضلع في معرفة السنن الصحيحة واختلطت بلحمه ودمه وصار له فيها ملكة، وصار له اختصاص شديد بمعرفة السنن والآثار ومعرفة سيرة الرسول ﷺ وهديه فيما بأمر به وينهى عنه ويخبر عنه ويدعو إليه. ويحبه ويكرهه ويشرعه للأمة، بحيث كأنه مخالط للرسول ﷺ كواحد من أصحابه. فمثل هذا يعرف من أحوال الرسول ﷺ وهديه وكلامه وما يجوز أن يخبر به وما لا يجوز، مالا يعرفه غيره. وهذا شأن كل متبع مع متبوعه فإن للأخص به، الحريص على تتبع أقواله وأفعاله من العلم بها والتمييز بين ما يصح أن يُنسب إليه وما لا يصح، ما ليس لمن لا يكون كذلك. وهذا شأن المقلدين مع أئمتهم. يعرفون أقوالهم ونصوصهم ومذاهبهم والله أعلم[٢].

وهو الذي أشار إليه ابن دقيق العيد عندما قال: فحاصله يرجع إلى أنه حصلت لهم لكثرة محاولة ألفاظ النبي ﷺ هيئة نفسانية ومَلَكَة قوية يعرفون بها ما يجوز أن يكون من ألفاظ النبوة وما لا يجوز[٣].

---

(١) انظر مدخل الباب الثاني / الصحابة اهتموا بنقد المتن.

(٢) المنار المنيف / ٤٤.

(٣) فتح المغيث، بحث الموضوع جـ١ صـ٢٤٩.

وقال الإمام البلقيني[١] شبيها بهذا القول: إن لنقاد الحديث مَلَكَة يعرفون بها الموضوع. وشاهده: أن إنسانا لو خدم إنسانا سنين، وعرف ما يحبه ويكره، فجاء إنسان ادعي أنه يكره شيئا يعلم ذلك أنه يحبه، فبمجرد سماعه يبادر إلى تكذيب من قال: أنه يكرهه[٢] وقديما قال الربيع بن خثيم[٣]: إن للحديث ضوءا كضوء النهار تعرفه وظلمة كظلمة الليل تنكره[٤].

وقال ابن الجوزي: الحديث المنكر يقشعر له جلد الطالب للعلم، وينفر منه قلبه في الغالب[٥].

أشهر أمارات الوضع

وفيما يلي ذكر أشهر الأمارات التي وضعها نقاد الحديث لمعرفة الأحاديث الموضوعة.

ومعلوم أن تلك الأمارات قد تكون في السند وقد تكون في المتن. والمقصود هو الوصول إلى الهدف، ألا وهو كشف الأباطيل مما نُسب إلى ذات النبي ﷺ فأقول، وبالله التوفيق:

---

(١) هو عمر بن رسلان بن نصير بن صالح الكناني البلقيني (٧٢٤ ـ ٨٠٥هـ). مجتهد حافظ للحديث. من العلماء بالدين، وكان كثير البحث في وقت السماع.
ذيل تذكرة الحفاظ ٤٠٦ الأعلام ٥/ ٤٦.

(٢) محاسن الاصطلاح للبلقيني، صـ٣١٥.

(٣) هو الربيع بن خثيم بن عائذ بن عبدالله أبو يزيد الكوفي (٠٠ ـ ٦٣هـ). تابعي ثقة من أصحاب ابن مسعود رضي الله عنه، قال له: والله، لو رآك رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحبك وقال ابن حبان: في الثقات «أخباره في الزهد والعبادة أشهر من أن يحتاج إلى الإغراق في ذكره.
التقريب ١٠١ التهذيب ٣/ ٢٤٢.

(٤) تدريب الراوي صـ١٧١.

(٥) الموضوعات لابن الجوزي ١/ ١٠٣.

من أمارات الأحاديث الموضوعة في السند

١ ـ إن الراوي الذي يحدث بحديث عن شيخه، إذا سئل عن مولده ذكر تاريخا يعلم وفاة ذلك الشيخ قبله. ولم يعرف ذلك الحديث عند غيره. ولمعرفة هذا النوع، قسم النقاد الرواة إلى طبقات وجمعوا عنهم كل شيء حتى لا يخفى عليهم من أحوالهم شيء[١].

٢ ـ أن يكون الراوي معروفا بالكذب، وقد استقصى الجهابذة الكذابين حتى لا يخفى على الأمة أحد منهم[٢].

وقد ساق ابن الجوزي والسيوطي أمثلة كثيرة من هذا النوع[٣].

٣ ـ أن يعترف الراوي بكذبه. مثل الذي وضع الأحاديث في فضائل السور، فقد قال: إني رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقه أبي حنيفة ومغازي محمد بن إسحاق، فوضعت هذه الأحاديث حسبة[٤].

٤ ـ أن لا يوجد الحديث في كتب الشيخ الموثقة ولا عند تلاميذه الثقات وإنما يرويه أحد الكذابين مخترعا سنده وناسبا إياه إلى ذلك الشيخ[٥].

قال ابن المبارك: إني لأكتب الحديث عن معمر قد سمعته من غيره. قال عبدالرزاق الصنعاني: وما يحملك على ذلك؟ قال: أما سمعت قول الراجز: قد عرفنا خيركم من شركم. يعني أعرف ما ينسب حقيقة إلى معمر مما يفتري عليه المفترون، أو يخطىء فيه المخطئون[٦].

---

(١) انظر الكفاية صـ١١٩ والإعلان بالتوبيخ صـ٩ وانظر المثال في الميزان ٣/ ٤٨٤، ٤٨٥ واللسان ٥/ ٨٠، ٨١.

(٢) انظر تحذير الخواص صـ١٣٠ ـ ١٣١.

(٣) الموضوعات صـ٤٧ واللآلي المصنوعة جـ٢ صـ٤٧٣.

(٤) المنار المنيف صـ١١٤، ١١٥ وفتح المغيث ١/ ٢٥٠، ٢٥١ وتدريب الراوي صـ١٨٠.

(٥) انظر تاريخ العربي لفؤاد سزكين صـ١٠٩، ١١٠.

(٦) مقدمة الكامل لابن عدي صـ٢٣٤، ٢٣٦.

وقد تكون أمارات في المتن يعرف بها النقاد أنه موضوع على الرسول ﷺ وهي التي يسمّيها النقاد: قرائن في المروي، ومن أهمها:

١ ـ ركاكة ألفاظ المروي: بحيث يدرك الملم باللغة العربية أنّها ليست من أسلوب النبي ﷺ.

قال المُلا علي القاري: ومنها ركاكة ألفاظ الحديث وسماجتها بحيث يمجها السمع ويدفعها الطبع[١].

٢ ـ سماجة ألفاظ الحديث، بحيث يكون مشتملا على سخافات وسماجات يصان عنها الفضلاء.

قال ابن القيم: ويسمج معناها للفَطِن[٢].

مثل: أربع لا يشبعن من أربع، أرض من مطر، وأنثى من ذكر، وعين من نظر، وأذن من خبر[٣].

٣ ـ ما يناقض صريح القرآن الكريم، ومثاله لا يدخل الجنة ولد الزنا، ولا شيء من نسله إلى سبعة آباء الجنة. وأيضا: يُحشر أولاد الزنا في صورة القردة والخنازير[٤].

وهذا غير صحيح لأنه معارض لقوله تعالى ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾﴾[٥].

٤ ـ ما يناقض السنّة الصريحة مناقضة بينة: قال ابن القيم: كل حديث يشتمل

---

(١) الموضوعات الكبير لمُلا علي القاري.
(٢) المنار المنيف، فصل ٢٣.
(٣) الموضوعات لمُلا علي القاري، باب الهمزة.
(٤) تذكرة الموضوعات للفتني، حدود الردة والزنا.
(٥) سورة الأنعام/ ١٦٤.

على فساد أو ظلم أو عبث أو مدح باطل أو ذم حق أو نحو ذلك، فرسول الله ﷺ منه بريء[١].

ومن ذلك تقدير عمر الدنيا، وأنها سبعة آلاف سنة ونحن في الألف السابعة[٢] فقد وردت أحاديث صحيحة مناقضة لها.

ومنها قول النبي ﷺ: «**لا يعلم متى تقوم الساعة، إلا الله**».

٥ ـ ما يناقض الإجماع:

ومثاله: كل حديث ينص على وصاية على رضي الله عنه، أو على خلافته لأنه يخالف ما أجمعت عليه الأمة من أنه ﷺ لم ينص على تولية أحد بعده.

٦ ـ كل حديث يخالف العقل أو الحس أو المشاهدة.

قال ابن الجوزي: فكل حديث رأيته يخالف المعقول أو يناقض الأصول فأعلم أنه موضوع[٣].

ومن هذا القبيل ما رواه أحد الوضاعين من أن سفينة نوح عليه السلام طافت بالبيت وصلت خلف المقام ركعتين[٤].

٧ ـ كل حديث يخالف الحقائق التاريخية التي جرت في عصر الرسول ﷺ مثل دخول النبي ﷺ حماما بالجحفة، لأنه لم يكن زمن رسول الله ﷺ حمامات[٥].

٨ ـ كل حديث فيه خبر عن أمر جسيم تتوفر أسباب نقله، ثم لا ينقله منهم إلا واحد. مثل حصر العدد للحجاج عن البيت، فإن العادة الجارية أن تتظافر الأخبار في مثل ذلك. ومثل حديث النص على خلافة علي فإن الدواعي

---

(١) المنار المنيف/ ٥٧.

(٢) الموضوعات الكبير لمُلا علي القاري، فصل: ومنها مخالفة الحديث.

(٣) الموضوعات لابن الجوزي جـ١ صـ١٠٦.

(٤) اللآلي المصنوعة جـ٢ صـ٢٧٨.

(٥) المصنوع في معرفة الحديث الموضوع/ ٧٠.

توفرت على نقله ولم ينقله غير واحد[١].

٩ ـ اشتمال الحديث على إفراط في الثواب العظيم على الفعل الصغير، مثل من صلى الضحى كذا وكذا ركعة أعطى ثواب سبعين نبيا[٢].

١٠ ـ اشتمال الحديث على المبالغة بالوعيد الشديد على الأمر الحقير. مثل: ما من رجل يدخل بصره في منزل قوم إلا قال الملك الموكل به أف لك آذيت وعصيت ثم يوقد النار عليه إلى يوم القيامة[٣].

وكما قلت سابقا، إلى جانب هذه القواعد تكونت عند نقاد الحديث ملكة خاصة ساعدتهم على معرفة ما هو من كلام النبي ﷺ وما ليس من كلامه.

❄❄❄❄❄❄
❄❄❄❄

(١) منهاج السنة جـ٣ صـ١١٨.
(٢) المنار المنيف صـ٥٠.
(٣) الفوائد المجموعة، كتاب الحدود صـ٢٠٦.

الباب الثاني / الفصل الرابع

كتاب (المنار المنيف) وضوابط معرفة الموضوع

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول :

جودة المبحث وشموله ودقَّته

المبحث الثاني

أهم القواعد المجملة التي ذكرها ابن القيم رحمه الله

المبحث الثالث

تنبيه العلماء أنه لم يثبت في باب كذا وكذا أي حديث .

بعض الكتب الخاصة ببيان القواعد التفصيلية .

القواعد التفصيلية التي ذكرها ابن القيم رحمه الله

كتاب (المنار المنيف) وضوابط معرفة الوضوع

اعتبر العلماء العلامة ابن القيم رحمه الله من خواص الذين عُنوا بدراسة الضوابط الإجمالية والتفصيلية لمعرفة الأحاديث الموضوعة من غير النظر في السند ورجاله.

وكتاب (المنار المنيف) من خير ما أُلِّف في هذا الموضوع ومن أجمعها علما وأغزرها ضوابط لمعرفة الحديث الوضوع، دون أن ينظر في سنده.

فقد درس ابن القيم رحمه الله كتاب الإمام ابن الجوزي المسمى (بالموضوعات) وغيره من الكتب التي تبحث في الأحاديث الموضوعة واستخلص منها ضوابط وكليات وأمارات تدل على الحديث الموضوع في كل باب من أبواب الفقه وغيره.

وقد جاء كتابه جوابا على سؤالين:

الأول: حول أحاديث معيَّنة إلا أنها لا تتعلق بما نحن بصدده.

وأما الثاني: فقد سُئل رحمه الله، هل يمكن معرفة الحديث الموضوع بضابط من غير أن يُنظر في سنده. فجاء كتابه هذا جوابا على السؤال وهو المقصود بالنسبة لموضوعنا.

وقد جعل جوابه في قسمين:

القسم الأول: يحتوي على بيان ضوابط مجملة يمكن بموجبها الحكم على الحديث بالوضع. وقد ذكرتها بالإجمال عند ذكر الأمارات في المتن التي بها يعرف النقاد أن الحديث موضوع على الرسول ﷺ[1] وسأذكرها حسب ما ذكره ابن القيم رحمه الله تكميلا للفائدة.

---

(١) راجع المبحث الأول من الفصل الثالث من الباب نفسه.

وأما القسم الثاني : فقد أتى فيه بكليات عامة وضوابط تفصيلية تتناول كل كلية منها مسألة معينة .

وقد سُلِّم له غالب هذه الكليات ولم يستدرك بها عليه إلا في النادر وغالب ما استدرك عليه ، فيه نظر ، لأنه محكوم عليه بالضعف ، والنزاع بين كونه موضوعا أو ضعيفا لا يبلغ درجة الاستدراك .

وسيأتي تفصيله في المبحث القادم إن شاء الله .

أهم القواعد التي ذكرها ابن القيم رحمه الله

وهو كما ذكرت على نوعين :

الأول : القواعد المجملة التي يعرف بها كون الحديث موضوعا : وقد ذكرها ابن القيم ثلاث عشرة قاعدة ، مع ذكر الأمثلة لكل قاعدة ، حتى يتضح لدراسي هذا الفن تطبيق تلك القواعد على الأحاديث الواهية الأخرى التي لم يذكرها ابن القيم .

وفيما يلي بيان تلك القواعد :

١ ـ أن يكون الحديث مشتملا على المجازفات التي لا يقول مثلها رسول الله ﷺ مثل حديث : من صلى الضحى كذا وكذا ركعة ، أُعطى ثواب سبعين نبيا .

قال المؤلف : وكأن هذا الكذّاب (الخبيث) لم يعلم أن غير النبي لو صلَّى عمر نوح عليه السلام لم يعط ثواب نبي واحد[1] .

٢ ـ أن يكون الحس يُكذِب الحديث .

مثل حديث : إذا عطس الرجل عند الحديث فهو دليل صدقه .

قال : فإن الحس يشهد بوضعه ، لأنا نشاهد العطاس والكذب يعمل عمله ولو عطس مائة ألف رجل عند حديث يروى عن النبي ﷺ لم يحكم بصحته

---

(١) المنار المنيف صـ٥٠ .

بالعطاس، ولو عطسوا عند شهادة زور لم تصدق[١].

٣ ـ أن يكون الحديث سمجا، بحيث يسخر منه.

مثل حديث: عليكم بالملح، فإنه شفاء من سبعين داءا[٢].

٤ ـ أن يكون الحديث مناقضا لما جاءت به السنة الصريحة مناقضة بينة.

فكل حديث يشتمل على فساد، أو ظلم، أو عبث، أو مدح باطل، أو ذم حق، أو نحو ذلك. فرسول الله ﷺ منه بريء.

من هذا الباب: أحاديث مدح من اسمه محمد أو أحمد، وأن كل من يسمى بهذه الأسماء لا يدخل النار[٣].

٥ ـ أن يدعي أحد على النبي ﷺ أنه فعل أمرا ظاهرا وشهد الصحابة، ثم اتفقوا على كتمانه.

مثل زعم الرافضة: بأنه ﷺ أوصى إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه بمحضر من الصحابة، ثم اتفق الكل على كتمان ذلك وتغييره ومخالفته[٤].

٦ ـ أن يكون الحديث باطلا في نفسه. والنبي ﷺ لا يأتي بالباطل.

مثل حديث: إذا غضب الله تعالى أنزل الوحي بالفارسية، وإذا رضي أنزله بالعربية[٥].

٧ ـ أن يكون كلامه لا يشبه كلام الأنبياء، فضلا عن كلام الرسول ﷺ الذي هو وحي يوحى، بل لا يشبه كلام الصحابة.

مثل حديث ثلاثة تزيد في البصر: النظر إلى الخضرة، والماء الجاري،

---

(١) المنار المنيف صـ٥١.
(٢) المصدر نفسه صـ٥٤، ٥٥.
(٣) المصدر نفسه صـ٥٦، ٥٧.
(٤) المصدر نفسه صـ٥٧.
(٥) المصدر نفسه صـ٥٩.

والوجه الحسن.

قال: وهذا الكلام مما يجل عنه أبو هريرة، وابن عباس. بل سعيد ابن المسيب والحسن، بل أحمد ومالك رحمهم الله[١].

٨ ـ أن يكون في الحديث تاريخ كذا وكذا.

مثال قوله: إذا كانت سنة كذا وكذا وقع كيت وكيت. وإذا كان شهر كذا وكذا وقع كيت وكيت.

قال: وأحاديث هذا الباب كلها كذب مفترى[٢].

٩ ـ أن يكون الحديث بوصف الأطباء والطرقية أشبه وأليق.

مثل حديث: الهريسة تشد الظهر. وحديث أكل السمك يوهن الجسد[٣].

١٠ ـ أن يكون الحديث مما تقدم الشواهد الصحيحة على بطلانه.

مثل حديث عوج بن عنق الطويل، الذي قصد واضعه الطعن في أخبار الأنبياء، فإن في هذا الحديث: أن طوله كان ثلاثة آلاف ذراع وثلاث مائة وثلاثة وثلاثين وثلثا الخ. وهذا تكذبه الأدلة من القرآن والأحاديث الثابتة[٤].

١١ ـ مخالفة الحديث صريح القرآن.

مثل حديث مقدار الدنيا، وأنها سبعة آلاف سنة ونحن في الألف السابعة.

قال: وهذا من أبين الكذب، لأنه لو كان صحيحا لكان كل أحد عالما أنه قد بقي للقيامة من وقتنا هذا مئتان وواحد وخمسون سنة[٥] والله تعالى

---

(١) المنار المنيف صـ٦١، ٦٢.

(٢) المصدر نفسه صـ٦٣، ٦٤.

(٣) المصدر نفسه صـ٦٤.

(٤) المصدر نفسه صـ٧٦، ٧٧ راجع الأصل وتعليق المحقق لمزيد من التفصيل.

(٥) يعني باعتبار السنة التي كان فيها ابن القيم عند كتابة هذه الأسطر.

يقول: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾ الآية[١]. وقال تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾[٢].

١٢ ـ ركاكة ألفاظ الحديث وسماجتها، بحيث يمجها السمع، ويدفعها الطبع، ويسمج معناها للفطن.

مثل حديث: أربع لا تشبع من أربع: أنثى من ذكر، وأرض من مطر، وعين من نظر وأذن من خبر[٣].

١٣ ـ أن يقترن بالحديث من القرائن التي يعلم بها أنه باطل.

مثل حديث: وضع الجزية عن أهل خيبر، وهذا كذب من عدة وجوه. ثم ذكر رحمه الله: الوجوه العشرة التي يثبت بها كذب الحديث المذكور[٤].

أما النوع الثاني من القواعد، وهي الضوابط التفصيلية، فسيأتي بيانها إن شاء الله في آخر المبحث القادم، لكونها ألصق بذلك المكان.

تنبيه العلماء أنه لم يثبت في باب كذا وكذا أيّ حديث

قبل قليل ذكرت، أنه كان من نتيجة استقراء المحدثين للأحاديث النبوية وسَبْر دواوينها ونقد ألفاظها والوقوف على أحوال رواتها ومعرفة صحيحها من ضعيفها، أن وضعوا قواعد تفصيلية لمعرفة الأحاديث الموضوعة في كل باب أو مسألة، من غير حاجة إلى الرجوع إلى سندها والكشف عن أحوال رواتها.

وقد وفَّر هذا النوع من الكليات الجهد على الباحث من تقصيِّ الأحاديث في مظانها للحكم عليها، لأنها مكَّنته من الإطلاع على أكبر قدر من الأحاديث التي لا تصح نسبتها إلى الرسول ﷺ، كما أنها نبهت إلى المواضع التي تركزت

---

(١) الأعراف/ ١٨٧.

(٢) لقمان/ ٣٤، راجع صـ٨٠ من المنار.

(٣) المنار المنيف ٩٩، ١١٠.

(٤) راجع صـ١٠٢، ١٠٥ من المنار.

فيها جهود الكذابين، والأبواب والمعاني التي كثر فيها الوضع.

ولا يخفى أن هذا النوع من الكليات العامة، المقصود منها تمييز المتون المكذوبة على الرسول ﷺ من التي صدرت منه ﷺ في حقيقة الأمر.

ففيه الرد القاطع على الذين زعموا أن المحدثين لم ينتقدوا المتون وانحصرت جهودهم في الأسانيد وتدقيقها وتمحيصها.

وقد خصّص بعض العلماء التأليف في هذا النوع من الكليات والضوابط:

١ ـ من أقدمها: (كتاب الأباطيل)[١] للجورقاني[٢]. فقد جمع في هذا الكتاب الأحاديث الموضوعة والضعيفة من الأباطيل والناكير وبيَّن علله، ثم سرد في مقابلها الصحاح والمشاهير لبطلانها.

وقد ذكر المؤلف بعد المقدمة ١٧ كتابا، وتحت كل كتاب عدة أبواب، وهي نقل وتكثر في الكتب المختلفة، وقد تأثر بمنهجه ابن الجوزي في الموضوعات[٣].

٢ ـ وكتاب المغني من الحفظ والكتاب لأبي حفص الموصلي[٤]

وقد ذكر في مقدمته: (وبعد، فإني صنفت في الموضوعات مصنفات لم أسبق إليها. ولا دللت عليها. ومن أبدعها هذا الكتاب « المغني عن الحفظ والكتاب » إذ لا متن فيه ولا اسناد، ولا تكرر فيه الأحاديث ولا تعاد. وإنما جعلت ترجمة الأبواب تدلُّك على الخطأ من الصواب).

---

(١) طبع تحت اشراف الجامعة السلفية بالهند، بتحقيق الشيخ عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي.

(٢) هو الإمام الحافظ الناقد أبو عبدالله الحسين بن إبراهيم بن الحسين ابن جعفر الجورقاني الهمداني. اشتغل بالتصيف والتأليف في علوم الحديث وألف عدة مؤلفات. توفي في ١٦ رجب من سنة ٥٤٣ هـ.

(٣) راجع مقدمة المحقق لكتاب الأباطيل صـ٧٧، ٧٨، ٧٩.

(٤) هو العلامة أبو حفص عمر بن بدر بن سعيد الوراني الموصلي الحنفي ضياء الدين عالم الحديث. ولد بالموصل. وله مصنفات عديدة في الحديث منها كتاب المغني وغيره. توفي سنة اثنين وعشرين وستمائة بدمشق.

وقد راعي المصنف في كتابه ترتيب كتب الجوامع، حيث بدأه بكتاب الإيمان وختمه بكتاب الأشربة. وقد اشتمل الكتاب على ثلاثة وثمانين بابا.

وقد لفت كتاب المغنى هذا نظر العلماء فتتبّعوا أثر مؤلفه من مؤيد وناقد. فقد قال فيه السخاوي: وعليه مؤاخذات كثيرة، وإن كان له في كل باب من أبوابه سلف من الأئمة خصوصا المتقدمين.

٣ ـ ومن خير ما أُلّف في هذا الموضوع هو كتاب (المنار المنيف) للعلامة ابن القيم رحمه الله، فقد أجاد في تتبع تلك القواعد وجمعها في هذا الكتاب.

ولم يستدرك عليه إلا في قليل مما أورد في كتابه.

وفيما يلي: بيان تلك القواعد: قال رحمه الله:

١ ـ كل أحاديث الديك كذب إلا حديثاً واحداً. وهو حديث: **إذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله فإنَّها رأت ملكا**[(١)].

٢ ـ كل حديث فيه: يا حُميراء، أو ذكر الحُميراء، فهو كذب مُختَلق[(٢)].

٣ ـ كل حديث فيه ذكر حسان الوجوه، أو الثناء عليهم، أو الأمر بالنظر إليهم،

---

(١) المنار المنيف صـ٥٦ وقد صح حديث آخر وهو: لا تسبوا الديك فإنه يوقظ للصلاة. رواه أبو داوود في باب ما جاء في الديك والبهائم. ورواه الإمام أحمد في المسند: مسند زيد بن خالد الجهني.

(٢) هذه الكلية فيها نظر، فقد صحت ثلاثة أحاديث عند العلماء جاء فيها ذكر الحميراء: الأول: خذوا شطر دينكم من الحميراء (الإجابة لا يراد ما استدركته عائشة على الصحابة صـ٦١، ٦٢) والثاني قالت عائشة رضي الله عنها: دخل الحبشة المسجد يلعبون فقال لي: يا حميراء، أتحبين أن تنظري إليهم «الإجابة صـ٦١، ٦٢».

والثالث: حديث أم سلمة رضي الله عنها قالت: ذكر النبي ﷺ خروج بعض أمهات المؤمنين فضحكت عائشة. فقال: أنظري يا حميراء ألا تكوني أنت، ثم التفت إلى عليّ وقال: إن وليت من أمرها شيئا. فارفق بها (المستدرك للحاكم، ٣/ ١١٩).

أو التماس الحوائج منهم، أو أن النار لا تمسهم: فكذب مختلق، وافك مفترى[١].

وقال رحمه الله في صفحة ١٢٥: ومن ذلك: حديث طلب الخير من الرحماء ومن حسان الوجوه. قال العقيلي: ليس في هذا الباب شيء يثبت عن النبي ﷺ.

٤ ـ أحاديث التواريخ المستقبلة كلها كذب مفترى[٢].

٥ ـ كل حديث في طنين الأذن كذب[٣].

٦ ـ أحاديث العقل كلها كذب.

قال أبو الفتح الأزدي[٤]: لا يصح في العقل حديث: قاله: أبو جعفر العقيلي وأبو حاتم بن حبان البستي[٥].

٧ ـ الأحاديث التي يذكر فيها الخضر وحياته، كلها كذب، ولا يصح في حياته حديث واحد[٦].

٨ ـ كل حديث في الصخرة كذب مفترى[٧].

---

(١) المنار المنيف صـ٦٣.

(٢) المنار المنيف صـ٦٤.

(٣) المصدر نفسه صـ٦٥ وانظر تعليق الشيخ أبو غده. فقد اعترض على هذه الكلية بثبوت حديث أبي رافع مولى رسول الله ﷺ. نقله من الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ١٣٨. وقال: رواه الطبراني في المعاجم الثلاثة، والبزار باختصار كثير. وإسناد الطبراني في الكبير حسن.

(٤) هو محمد بن الحسين أبو الفتح بن يزيد الأزدي الموصلي (٣٧٤هـ). حافظ من أهل الموصل صنف كتبا في علوم الحديث، وأثنى عليه محمد بن جعفر بالحفظ وحسن المعرفة بالحديث.

(٥) المنار المنيف صـ٦٦، ٦٧.

(٦) المصدر نفسه صـ٦٧.

(٧) قيل: إن هذا التعميم غير سديد، للحديث الذي رواه ابن ماجة في سننه في كتاب الطب في باب الكماة والعجوة (٢/ ١١٤٣) قال رافع بن عمر والمزني سمعت رسول الله ﷺ يقول: العجوة=

٩ ـ أحاديث صلوات الأيام والليالي. كلها كذب[١].
مثل صلاة يوم الأحد وليلة الأحد ويوم الاثنين وليلة الاثنين إلى آخر الأسبوع.
١٠ ـ أحاديث صلاة الرغائب ليلة أول جمعة من رجب كلها كذب مختلق على رسول الله ﷺ[٢].
١١ ـ كل حديث في ذكر صوم رجب، وصلاة بعض الليالي فيه: فهو كذب مفترى[٣].
١٢ ـ أحاديث صلاة ليلة النصف من شعبان، لا يصح منها شيء[٤].
١٣ ـ أحاديث ذم الحبشة والسودان كلها كذب[٥].
١٤ ـ أحاديث ذم الترك، أحاديث ذم الخصيان، وأحاديث ذم المماليك[٦].
١٥ ـ أحاديث الحمام لا يصح منها شيء[٧].
١٦ ـ أحاديث اتخاذ الدجاج، ليس فيها حديث صحيح[٨].
١٧ ـ أحاديث ذم الأولاد، كلها كذب من أولها إلى آخرها[٩].
١٨ ـ أحاديث الاكتحال يوم عاشوراء، التزين، التوسعة الصلاة فيه وغير ذلك

= والصخرة من الجنة (راجع صفحة ٨٧).
(١) المنار المنيف صـ٩٥.
ميزان الإعتدال ٣/ ٥٢٣ تاريخ بغداد ٢/ ٢٤٣.
(٢) المنار المنيف صـ٨٥.
(٣) المصدر نفسه صـ٩٦.
(٤) المصدر نفسه صـ٩٨، ٩٩.
(٥) المصدر نفسه صـ١٠١.
(٦) المصدر نفسه صـ١٠١.
(٧) المصدر نفسه صـ١٠٦.
(٨) المصدر نفسه صـ١٠٨.
(٩) المصدر نفسه صـ١٠٩.

من فضائل، لا يصح منها شيء، ولا حديث واحد، ولا يثبت عن النبي ﷺ منه شيء، غير أحاديث صيامه وما عداها فباطل[١].

١٩ ـ لا يصح في فضل معاوية بن أبي سفيان عن النبي ﷺ[٢].

٢٠ ـ ما وضعه الكذابون أيضا في ذمهما عن رسول الله ﷺ وما يروى من ذلك كله، كذب مختلق[٣].

٢١ ـ كل حديث في ذم معاوية كذب[٤].

٢٢ ـ كل حديث في ذم عمرو بن العاص فهو كذب[٥].

٢٣ ـ كل حديث في ذم بني أمية فهو كذب[٦].

٢٤ ـ كل حديث في مدح المنصور والسفاح، والرشيد فهو كذب[٧].

٢٥ ـ كل حديث في مدح بغداد أو ذمّها والبصرة والكوفة ومرو وعسقلان والإسكندرية ونصيبين وأنطاكية فهو كذب[٨].

٢٦ ـ كل حديث في تحريم ولد العباس على النار فهو كذب[٩].

٢٧ ـ كل حديث في مدح أهل خراسان الخارجين مع عبدالله بن علي ولد العباس، فهو كذب[١٠].

---

(١) المنار المنيف صـ١١١.
(٢) المنار المنيف صـ١١٦.
(٣) المنار المنيف صـ١١٦.
(٤) المصدر نفسه صـ١١٧.
(٥) المصدر نفسه صـ١١٧.
(٦) المصدر نفسه صـ١١٧.
(٧) المصدر نفسه صـ١١٧.
(٨) المصدر نفسه صـ١١٧.
(٩) المصدر نفسه صـ١١٧.
(١٠) المصدر نفسه صـ١١٧.

٢٨ ـ كل حديث فيه: أن مدينة كذا وكذا من مدن الجنة، أو من مدن النار، فهو كذب[١].

٢٩ ـ وكل حديث فيه: أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، فكذب مختلق[٢].

٣٠ ـ وكل حديث في التنشيف بعد الوضوء، فإنه لا يصح[٣].

٣١ ـ أحاديث الذكر على أعضاء الوضوء كلها باطل ليس فيها شيء يصح[٤].

٣٢ ـ حديث: لو لا كذب السائل ما أفلح من رده[٥].

قال العقيلي[٦]: ليس في هذا الباب شيء يثبت عن النبي ﷺ.

٣٣ ـ أحاديث التحذير من التبرم بحوائج الناس، ليس فيها شيء صحيح قال: قال العقيلي: وقد روي في هذا الباب أحاديث ليس فيها شيء يثبت[٧].

٣٤ ـ أحاديث اتخاذ السراري: قال: قال العقيلي: لا يصح في السراري عن النبي ﷺ شيء[٨].

٣٥ ـ أحاديث مدح العزوبة كلها باطل[٩].

٣٦ ـ أحاديث النهي عن قطع السدر. قال: قال العقيلي: لا يصح في قطع

---

(١) المنار المنيف صـ١١٧.

(٢) المنار المنيف صـ١١٩.

(٣) المصدر نفسه صـ١١٩.

(٤) المصدر نفسه صـ١٢٠.

(٥) المصدر نفسه صـ١٢٥.

(٦) هو محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي المكي أبو جعفر (٠٠ ـ ٣٢٢هـ). حافظ عالم بالحديث، قال سلمة بن القاسم: كان العقيلي جليل القدر عظيم الخطر ما رأيت مثله، وقال الحافظ أبو الحسن بن سهل: ثقة جليل القدر عالم بالحديث مقدم في الحفظ.
تذكرة الحفاظ ٣/ ٨٣٤ الرسالة المستطرفة/ ١٤٤ طبقات الحفاظ/ ٣٤٨.

(٧) المنار المنيف صـ١٢٧.

(٨) المنار المنيف صـ١٢٧.

(٩) المنار المنيف صـ١٢٧.

السدر شيء[١].

وقال الإمام أحمد: ليس فيه حديث صحيح.

٣٧ ـ أحاديث مدح العدس والأرز والباقلاء والباذنجان والرمان الزبيب والهندباء والكراث البطيخ والجزر والجبن والهريسة. وفيها جزء كله كذب من أوله إلى آخره[٢].

٣٨ ـ أحاديث النهي عن الأكل في السوق، كلها باطلة.

قال: قال العقيلي: لا يثبت في هذا الباب شيء عن النبي ﷺ[٣].

٣٩ ـ أحاديث فضائل الأزهار كلها كذب[٤].

٤٠ ـ أحاديث الحناء وفضله والثناء عليه، فيه جزء لا يصح منه شيء[٥].

٤١ ـ حديث: لا يدخل الجنة ولد زنا.

قال: قال ابن الجوزي: ورد في ذلك أحاديث ليس فيها شيء يصح[٦].

٤٢ ـ أحاديث النهي عن سب البراغيث. قال: قال العقيلي: لا يصح في البراغيث عن النبي ﷺ شيء[٧].

٤٣ ـ حديث: من أهديت إليه هدية وعنده جماعة فهم شركاؤه.

قال: قال العقيلي: لا يصح في هذا الباب شيء[٨].

٤٤ ـ أحاديث الأبدال والأقطاب والأغواث والنقباء والنجباء والأوتاد كلها

---

(١) المنار المنيف صـ١٢٧.
(٢) المنار المنيف صـ١٢٨.
(٣) المنار المنيف صـ١٣٠.
(٤) المنار المنيف صـ١٣٠.
(٥) المنار المنيف صـ١٣١.
(٦) المنار المنيف صـ١٣٣.
(٧) المنار المنيف صـ١٣٦.
(٨) المنار المنيف صـ١٣٥.

باطلة على رسول الله ﷺ[١].

٤٥ ـ أحاديث المنع من رفع اليدين في الصلاة عند الركوع والرفع منه كلها باطلة[٢].

وقد وُجدت مثل هذه القواعد الكلية في كتب العلل للإمام أحمد والمديني والرازي، وفي« المجروحين» لابن حبان و«الكامل» لابن عدي و«الضعفاء الكبير» للعقيلي و«الموضوعات» لابن الجوزي و«مقدمة التفسير» لابن تيمية رحمهم الله، وغيرها من كتب الأئمة الناقدين.

وقد ذكرت سابقا أن هذه القواعد نتيجة علمية دقيقة لاستقراء تام للأحاديث الصحيحة والموضوعة. وهي ترشد بلا شك إلى معرفة الأحاديث الموضوعة بمجرد النظر فيها، من غير أن ينظر في أسانيدها.

وفي هذه الجهود العلمية الجبارة التي تنقطع دونها أعناق كثير من الأدعياء على العلم، لدلالة كافية على أن المتن قد حظي من المحدثين من العناية والنقد بمثل ما حظي به السند، بل أكثر وأشمل، حتى أصبحت الأحاديث النبوية نقية من كل دخيل وخالصة من كل ما علق بها من الأكاذيب والأباطيل.

وصدق الله جلَّ وعلا ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾.

❋❋❋❋❋❋
❋❋❋❋

(١) المنار المنيف صـ١٣٦.
(٢) المصدر نفسه صـ١٣٧.

الباب الثالث

مزاعم المستشرقين وأتباعهم
في عدم اهتمام المحدثين بنقد المتن ودحضها

الفصل الأول: مزاعم المستشرقين والرد عليها

وفيه مباحث:

توطئة

نشأة الاستشراق وتدرجه

الاستشراق في خدمة التبشير والاستعمار

أهداف الاستشراق

١ ـ الهدف الديني التبشيري

٢ ـ الحقد ضد الإسلام

٣ ـ المحاربة للشريعة الإسلامية

٤ ـ الحقد ضد القرآن

٥ ـ التشويه لصورة السنّة النبوية

٦ ـ تحريف السيرة النبوية

٧ ـ تحريف التاريخ الإسلامي

من هم المستشرقون؟

مؤلفات المستشرقين المليئة بالأحقاد

سطحية الدراسات الاستشراقية

موقف المستشرقين من السنّة

استفادتهم من المعتزلة في آرائهم حول السنة

اعتمادهم على الضعيف الشاذ

اعتمادهم على المنهج المعكوس

استنادهم في نقد الحديث إلى الروايات في كتب السيرة والفقه

اتهامهم الصحابة والمحدثين بوضع الأحاديث

إدعائهم بأن الموضوعات اختلطت بالصحاح

❄❄❄❄❄❄

❄❄❄❄

المستشرقون

توطئة

قبل أن أبدا الكلام في الشبهات التي أثارها المستشرقون حول الحديث النبوي عامة، وحول نقد المتن خاصة، أرى من الضرورة أن تكون لنا نظرات في مفهوم الاستشراق ونشأته. ومن هم المستشرقون وماهي أهدافهم، وما هي أفكارهم الأساسية عن الإسلام ومبادئه ورسوله ﷺ وما مدى الضغائن والأحقاد التي كانوا يحملونها ولا يزالون، في قلوبهم نحو كل ما هو إسلامي.

لأنه لا يمكن لنا أن نفهم الشبهات على حقيقتها إلا إذا عرفنا هذه الأشياء، فإن الحقيقة التي انكشفت لي بعد دراسة كل ما يتعلق بالاستشراق أن كثيرا من الشبه التي يثيرها المستشرقون تتبخر وتنمحي بدون جهد علمي في الرد عليها، عندما يعرف المسلم الصادق في دينه، حقائق هؤلاء المستشرقين وأهدافهم الخبيثة، وأنهم أعداء حاقدون، خطف نور الإسلام أبصارهم وامتلأت قلوبهم بغضا وحسدا، فجاؤا إلى دراسته مبيتين الحقد والضغينة لنبيه، والشر لكتابه وسنن نبيه، لأنه من المفاهيم البدهية، أن العدو لا يأتي منه إلا العداء وأن الشرير لا يقدم إلا الشر، وأن اليهودي البغيض الحاقد على الإسلام لا يرتجي منه إلا الظلم والحيف[1].

---

(١) انظر لزاما «السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي» والاستشراق المستشرقون للداعية الكبير الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله. فقد كان له الفضل الكبير بعد الله في كشف حقائق الاستشراق ونوايا المستشرقين. وقد أصبح الفصل الخاص بالرد على مزاعم جولد زيهر في كتابه «السنة ومكانتها» مرجعا لكل من أراد بعده رحمه الله أن يرد على جولد زيهر وأتباعه كما أن كتابه «الاستشراق والمستشرقون» رغم صغر حجمه، لا مناص من الرجوع إليه لكل من يريد أن يعرف ما يُحبك الآن من المؤامرات ضد الإسلام في الجامعات الأوروبية باسم الدرسات الشرقية.

ولهذا كله رأيت أن اللبنة الأولى للرد على شبهاتهم هي كشف حقيقتهم وبيان أهدافهم وتجلية سوء نيتهم المبطن، حتى لا أضطر إلى كثير من التعليلات غير الضرورية في الرد عليهم، بل يكفيني العلم بحقيقتهم للقول في كثير من المواضع الواضحة أنها دسائس يهودية أو مسيحية تبشيرية.

فأقول، وبالله التوفيق:

الاستشراق:

هو (بالمفهوم العام) دراسة الحياة الحضارية للأمم الشرقية، من حيث لغتها وآدابها وعلومها ومعتقداتها وعادات أهلها وتقاليدهم، وإذا كان له اتصال بالإسلام وعلومه فهو محاولة فكرية (ضالّة) لفهم الإسلام، عقيدة وحضارة وتراثا، لإنكار المقومات الثقافية والروحية في ماضي هذه الأمة والتنديد والاستخفاف بها[١].

هذا هو الاستشراق على حقيقته، إذا كان متصلا بالإسلام ونبيه وهديه وعلومه. وعبثا حاول المستشرق ميكائيل انجلو جويدي أن يعرف الاستشراق ويصفه بأنه جهود علمية مطلقة مع كل ما للعلم الحديث من مقتضيات وموجبات وروح طلقة وأنه جهود نقدية محللة ناخلة، مغربلة تتجلى فيها روح النقد العلمي المقارن دون مراعاة أو محاباة لأي عامل من عوامل الأثرة والغرض[٢] لأن الواقع أن الاستشراق يتنكر عند بحثه في الإسلام لهذا المنهج. فتعمل المحاباة العاطفية فعلها، بصورة تكاد تكون دائمة وثابتة. فيضطرب البحث ويختل ويحيد عن الصواب[٣]. وأعمال المستشرقين عموما، أقوى دليل على هذا، فإنها لا تتسم

---

(١) المبشرون والمستشرقون في موقفهم عن الإسلام. للدكتور محمد البهي صـ١ من منشورات الجامع الأزهر، مطبعة الأزهر.

(٢) مصادر الدراسية الأدبية. يوسف أسعد داغر ٢/ ٧٧١.

(٣) الطريق إلى مكة لمحمد أسد ٢٠٩ الطبعة الأولى، بيروت ١٩٥٦م.

بالصفاء والموازنة والروح العلمية المنصفة. والمباحث القادمة خير كفيل لإبراز هذه الحقائق.

نشأة الاستشراق وتدرجه:

يقولون: إن الاستشراق عملية قديمة، بدأت منذ عدة قرون، من قوم متعصبين للنصرانية واليهودية أشد التعصب، أرادوا أن يعرفوا مصادر المسيحية من اللغة العربية.

فيرى الشيخ أحمد محمد جمال: أنه بدأ في القرن العاشر الميلادي[١] ويرى الدكتور عبدالجليل شلبي: أنه بدأ في أعقاب الحروب الصليبية التي استمرت زهاء قرنين (١٠٩٧ ـ ١٢٩٥ م)[٢].

ويرى الدكتور السباعي رحمه الله: أنه بدأ في إبان عظمة الأندلس ومجدها حيث قصد بعض الرهبان الأندلس وتثقفوا في مدارسها وترجموا القرآن والكتب العربية إلى لغاتهم، وتتلمذوا على علماء المسلمين في مختلف العلوم[٣].

ويقول على محمد جريشة وزميله: إن الاستشراق بدأ في الأندلس في القرن الثالث عشر الميلادي حين اشتدت حملة الصليبيين الأسبان على المسلمين[٤].

ثم أسست المعاهد للدراسات العربية وترجمت الكتب العربية إلى اللاتينية فلما وصل القرن السادس عشر إلى النهاية، الذي هو قرن الإصلاح الديني في الغرب بدأ اتصال الغرب المسيحي بالشرق الإسلامي اتصالا اقتصاديا في صُوره العديدة، وأخذ الغرب في استعمار العالم الإسلامي والاستيلاء على ممتلكاته

---

(١) مفتريات على الإسلام له صـ١٠، الطبعة الثالثة، مطبوعات الشعب القاهرة ١٣٩٥هـ.

(٢) صور استشراقية له صـ٢٥ وما بعدها نشر مجمع البحوث الإسلامية ١٣٨٩هـ.

(٣) الاستشراق والمستشرقون صـ١٥، الطبعة الأولى.

(٤) أساليب الغزو الفكري لهما صـ١٨ نشر دار الاعتصام بالقاهرة.

وموارد الثروة فيه، فرأوا من أسباب استقرارهم أن يعملوا من أجل تخلف المسلمين بشتى الوسائل وأن يشككوا في دينهم وعقيدتهم، لينفسوا عن أحقادهم الصليبية، بعد أن فشلوا في حروبهم المتوالية على العالم الإسلامي.

فهم قبل كل شيء اتجهوا إلى القرآن الكريم وهاجموا عليه، وقالوا عنه: إنه ليس إلا مجموعة من ترهات محمد ﷺ وشيء قليل مما استفاده من التوراة والإنجيل. قال جلادستون وهو يخطب: إننا لن نستطيع الاستقرار في الشرق ما دام فيه هذا الكتاب (يعني القرآن الكريم)[١].

وجاوا بأكاذيب، ليس بعدها كذب، عن الرسول ﷺ وأصحابه، وعن الحديث النبوي والتاريخ الإسلامي كله.

يقول المستشرق الألماني رودي بارت (سنة ١١٤٣ م) إن الهدف من الكتابات الاستشراقية كان إقناع المسلمين بلغتهم ببطلان الإسلام واجتذابهم إلى الدين المسيحي[٢].

وقد أيَّد الحقيقة المذكورة المستشرق الانجليزي مونتجمري وات عندما قال: إن المفكرين الأوربيين عمدوا إلى تشويه حقائق الإسلام، فعرضوا الإسلام وتاريخ المسلمين في صورة منفرة[٣].

وتحت شعار هذه الدراسات الاستشراقية الخبيثة وما ادعوه من منهجية علمية كاذبة أرادوا إصابة مقاتل هذه الأمم الإسلامية.

ولإشباع رغبتهم الجامحة في النيل من الإسلام أنشأوا كرسيين للغة العربية في جامعتي اكسفورد وكمبرج، حتى يدربوا الأشخاص على تحقيق أغراضهم

---

(١) جلادستون، زعيم الأحرار البريطاني ومن مشاهير الخطباء في القرن التاسع عشر وكان من ألد أعداء الخلافة الإسلامية (انظر الغزو الفكري صـ٣٦).

(٢) الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية للمستشرق المذكور صـ١١ نقله إلى العربية: مصطفى ماهر. نشر دار الكتاب العربي.

(٣) محاضرة ألقاها المذكور في جامعة الكويت عام ١٩٧١م.

من تشويه حقائق الإسلام وتنفير الناس من منابعه.

وفي القرن التاسع عشر جاء تطور كبير في الدرسات الاستشراقية وازداد عدد المعتنين بالعلوم الشرقية وأنشئت كراسي جديدة في كثير من الجامعات الأوربية. كما أن المستشرقين أخذوا في إصدار مجلات متخصصة في شئون الشرق وديانـاته وعلومه وبالأخص فيما يتعلق بالإسلام والمسلمين.

والذي زاد الطين بلة أن المستشرقين تسللوا إلى الدوائر العلمية والجامعات في الدول الإسلامية، بل إلى المجامع العلمية في القاهرة ودمشق وبغداد. ومن الذين شغلوا عضوية المجامع العلمية، هاملتون جيب، ومرجيليوث ونيكولسون من الإنجليز وما سينيون وجي سو من فرنسا وحبر يغني وجويدي من إيطاليا، وهوت مان الهولندي، وهارت مان الألماني[1].

وبالإضافة إلى هذا أقام الإحتلال الغربي كليات دفع إليها بمستشرقيه وصنائعه والمفتونين بأفكار الغرب ليناقشوا أخطر قضايا الإسلام تحت شعار العلم وحرية الفكر وجِدّية المناهج[2].

وقد جاءت الصهيونية إلى ميدان الاستشراق لتبث السموم ضد الإسلام في كتاباتها. ومن أشهر المستشرقين اليهود: جولد زيهر ويوسف شاخت ويندلي جوزي ويوري إيفانوف وغيرهم.

الاستشراق في خدمة التبشير والاستعمار

إن انتشار الإسلام بسرعة، ودخول كثير من النصارى في دين الله جعل رجال الكنيستين الشرقية والغربية في ذهول وجنون. ولم يجدوا سبيلا لإيقاف هذا السيل الإسلامي الجارف فلجأوا إلى محاولات دنيئة لتشويه صورة الإسلام وإلصاق التهم الباطلة به وبنبيِّه وبكتابه وسنته.

---

(١) الاستشراق والتبشير صـ٦١ ـ ٦٢ لإبراهيم خليل.

(٢) الغزو الفكري للدكتور عبد الستار فتح الله صـ٩٠، ٩١.

فترجموا القرآن الكريم وحرفوا معانيه وغيروا تعاليمه وألفوا كتبا في سيرة النبي ﷺ وتاريخ الخلفاء الراشدين والصحابة والأمويين والعباسيين، ليفتحوا عهدا جديدا للغزو الفكري الموجه ضد الإسلام.

وبذلك نزل كثير من أساقفة الكنيسة الكاثوليكية إلى ميدان الاستشراق بقصد التبشير. وقرر الفاتيكان تعليم اللغة العربية بجانب اللغة اليونانية والدراسات الشرقية في مدارس أسبانيا ومدارس الأديرة والكاتدرائيات[١].

وهكذا، الاستعمار استخدم الاستشراق بكل معنى الكلمة. فكلما قوى في دولة، أحسن إلى المستشرقين الموجودين فيها، ورحَّب بهم أمناء أسرار ومترجمين وانتدبهم للعمل في سلكي الجيش والدبلوماسية. وولاهم كراسي اللغات الشرقية في كبرى الجامعات والمدارس الخاصة والمكتبات العامة والمطابع الوطنية[٢].

ومن الثابت أن كثيرا من المستشرقين عُيِّنوا خبراء ومستشارين في وزارات الخارجية ببلادهم مثل جولد زيهر وماسينيون وغيرهما[٣].

والمستشرقون خدموا الاستعمار والتبشير خدمة عظيمة بواسطة المؤتمرات التي كانوا يتخذون فيها العديد من القرارات والتوصيات[٤].

وهم الذين عقدوا مؤتمراً عالمياً للكنائس في جاكرتا بأندونيسيا سنة ١٩٧٥ حلَّ خلاله ثلاثة آلاف مبشر ضيوفا على بيوت المسلمين هناك.

---

(١) المستشرقون جـ١ صـ١١٤ ـ١١٦ (نجيب العقيقي) والكاتيدرائية: هي الكنيسة الكبيرة (CATHEDRAL).

(٢) المستشرقون جـ٣ صـ١١٤٩.

(٣) المصدر نفسه جـ٢ صـ٥٦١.

(٤) انظر الغارة على العالم الإسلامي صـ٤٩، ١٠١، ١٤١ وأساليب الإستعمار/ ٣٢.

أهداف الاستشراق

كثير من المسلمين ممن يشغلون بالدراسات والتحقيق في مجال الثقافة الإسلامية أو التاريخ الإسلامي، يرون أن المستشرقين قد أسدوا إلى المسلمين معروفا، وأثروا المكتبة الإسلامية بدراساتهم الأكاديمية، ولكنهم يغفلون أو يجهلون أن المستشرقين لم يفعلوا ذلك بدافع علمي محض ولكنهم بحثوا ـ على طول الخط ـ عن مواطن ضعف أو مواقع نقص، وتظاهروا بالإخلاص والسهر على البحث والدراسة ليكون ذلك هو اللون السائد على جميع أعمالهم، بيد أن الواقع يكذب ذلك، اللهم إلا من تناوله العطف الإلهي خلال عمله الاستشراقي واهتدى إلى نور الإسلام فلم يدّس ولم يحرف ولكنهم قليلون.

ولأجل هذا نجد طائفة كبيرة من المستشرقين شانهم عند الكتابة عن الإسلام شأن من لا يرى في مدينة ذات بهجة ونضارة، ونظام ونظافة إلا مزابل ومراحيض ومستنقعات، كما هو دأب مفتش الأوساخ والمياه المصروفة في البلديات وأمانات العواصم فيرفع بذلك تقرير إلى الجهات المختصة. لا يجد فيها القارىء ـ بطبيعة الحال ـ إلا الحديث عن العفوفات والأوساخ[1].

فالهدف الأساسي من الدارسات الإسلامية التي يقومون بها لم يكن إلا طعن في الإسلام والحط من مكانته وتشويه صورته الحقيقة حتى لا يتأثر به المجتمع الأوروبي المسيحي الذي كانوا خائفين عليه من الدخول في الإسلام.

وفيما يلي أحاول أن أذكر بعض أهدافهم الرئسية. لنرى جميعا كيف أنهم لم يقصدوا إلا الشر للإسلام وأهله. ليسهل علينا الحكم فيما بعد على آرائهم حول السنَّة إن شاء الله.

---

(١) الإسلام والمستشرقون لأبي الحسن الندوي، مجلة البعث الإسلامي صـ١٣، ١٤.

١ ـ الهدف الديني التبشيري:

لم يكن هَمُّ المستشرقين إلا الطعن في الإسلام وتشويه محاسنة وتحريف حقائقه، ليثبتوا للعالم المسيحي أن الإسلام دين لا يستحق الإنتشار، ثم تطور هذا الهدف فيما بعد إلى محاولة تشكيك المسلمين أنفسهم في عقيدتهم بزعزعة المثل العليا للإسلام في نفوس أبنائه من ناحية، وإثبات تفوق الحضارة الغربية وعظمتها من ناحية أخرى.

فأصبح المستشرقون يمارسون الاستشراق بروح العداء للإسلام وتعاليمه ونبيه ﷺ. وأخذوا يصورون الإسلام بأنه دين جامد لا يصلح لعصر التطور[١].

٢ ـ الحقد ضد الإسلام:

ومن أخطر جنايات الاستشراق ودعاياته الكاذبة ضد الإسلام: تصويره بصورة الدين الوثني المتخلف المنحرف ومقته البالغ للإسلام والمسلمين كأنه من المسلمات البديهية، بلا فهم ولا تمييز.

ولقد كانت جنايته على قيم هذه الأمة ومُثُلها أفدح من جنايته على الأموال والثروات[٢].

٣ ـ المحاربة للشريعة الإسلامية:

ومن أخطر ما ارتكبه الاستشراق من الجرائم في حق الإسلام أنه ألقى في روع كثير من المنتسبين إلى الإسلام ومثقفيهم بالثقافات الغربية أنّ الإسلام دينٌ مثلُ دين أوربا، وربطوا في أذهانهم تخلف المسلمين المادي بالإسلام وهذا

---

(١) راجع المستشرقون لعلي حسني الخربوطلي صـ٨٣ والتبشير والاستعمار لعمر فروخ / ٢٤ ـ ٢٥.

(٢) الغزو الفكري للدكتور عبدالستار فتح الله صـ٢٦ ـ ٢٧.

عكس الواقع ونقيض الحقيقة على طول الخط.

وقد انعكس هذا كله على تصرف هؤلاء المثقفين نحو دينهم العظيم، إذ أرادوا أن يستبدلوا بالإسلام القوانين الوضعية التي لا خير فيها للأمة الإسلامية[١].

٤ ـ الحقد ضد القرآن:

عندما نراجع ما كتبه الاستشراق عامة، نجد أن هناك إجماعا على الوقوف في وجه القرآن وانكار كونه من الله تعالى، والقول بأنه من عمل محمد ﷺ، تعصبًا ضد القرآن والنبي الذي أنزل عليه.

فيردد جولد زيهر اليهودي وبلا شير في كتابه (معضلة محمد) وغيرهما أن القرآن ليس من عند الله، ويشيرون إلى رحلات النبي ﷺ إلى الشام وغيرها. كما أنهم يدّعون أن القرآن حُرِّف بعد وفاة النبي ﷺ. وأن حالات الوحي التي كان يجهد فيها النبي ﷺ لم تكن إلا نوبات من الصرع، وأن الحروف المفردة في أوائل بعض سور القرآن إنما هي اختصارات لأسماء مالكي النسخ التي استخدمها زيد ابن ثابت لجمع القرآن في مصحف واحد. وهكذا، إذا راجع الإنسان المسلم ما كتبه المستشرقون عن القرآن لوجد أنه مجموعات لأقاويل وأكاذيب رموها في وجه الإسلام بدون دليل أو برهان، وأنهم لم يفهموا القرآن ولم يجيدوا اللغة العربية وأدابها وقواعدها إلا نزر يسير منهم، وهم أيضا أساؤا إليه بالأغاليط والأكاذيب سدا للبشرية من الهدى الذي يحتوي عليه[٢].

٥ ـ التشويه لصورة السنة النبوية:

يعتبر جولد زيهر رأس الحية بالنسبة لإثارة الشبه حول السنة بواسطة كتابه

---

(١) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر جـ١ صـ٢٥٩ والغزو الفكري صـ٤٥ ـ ٤٦.

(٢) انظر المستشرقون والقرآن الكريم، أنور الجندي صـ٧٤ ـ ٩١ من مجلة البعث الإسلامي العدد الخاص عن الاستشراق رمضان وشوال ١٤٠٢هـ.

(دراسات إسلامية) الذي ألفه باللغة الألمانية.

ثم جاء بعده « شاخت » الذي استفاد من جولد زيهر وبسط قوله وشرح أفكاره في كتاباته. وسيأتي بيان ما كان عليه من الحقد ضد الإسلام وكيف أنهما تركا المصادر الأصلية للأحاديث النبوية والتجاءا إلى كتاب الأغاني وكتاب الحيوان للدميري وكُتب القَصص ليجعلاها مصادر لدراسة الحديث النبوي. وهل يرجى من اليهود إلا مثل هذا.

ثم تبعهما مستشرقون آخرون. وكانت شبهتهم تتنوع حسب هواهم فحينا طعنوا في حجية السنة، وحينا آخر ادعوا تأخر كتابة الأحاديث إلى قرن أو أكثر.

ومنهم من أثار الشك في الأسانيد وقيمتها العلمية. ومنهم من قال: إنّ المحدثين لم يعنوا إلا بالأسانيد فقط ولم ينظروا إلى المتن. وشبه كثيرة أخرى سيأتي بيانها ودحضها إن شاء الله في مكانها.

والمهم هنا البيان أنهم لم يكن غرضهم العلم والمعرفة وإنما كان هدفهم إثارة البلبة الفكرية في أذهان المسلمين بأكاذيب مختلفة وأقوال مثل أقوال البليد الذي يرمي القول على عواهنه من دون أن يفكر في الدليل أو البرهان[1].

تحريف السيرة النبوية:

لقد كانت شخصية الرسول ﷺ محورا لأبشع المسبات والشتائم عند المستشرقين، زعموا أن الرسول الله ﷺ التقى ببحيرا الراهب وتلقى عنه التعاليم الدينية مدة من الزمن. وتعرضوا لتعدد الزوجات كي ينفذوا منه إلى الطعن في شخصية الرسول ﷺ والتشكيك في رسالته الخالدة، وتصويره بصورة الميل إلى إشباع الرغبة الجنسية، مع أن الرسول ﷺ لم يعدد زوجاته إلا بعد الأربعين

(١) الستة في مواجهة الأباطيل / ٣٨، ٣٩.

لغايات تتعلق بالدعوة الإسلامية[١].

٧ ـ تحريف التاريخ الإسلامي:

لا يعرف حد لما يقوم به المستشرقون من تحريف للتاريخ الإسلامي وتشويه لمبادىء الإسلام وثقافته وإعطاء المعلومات الخاطئة عنه وعن أهله. وهم كذلك يجتهدون بكل الوسائل لينتقصوا من الدور الذي أداه الإسلام في تاريخ الثقافة الإنسانية[٢] فالواقع أن المستشرقين لبثوا قرونا يدققون ويمحصون مزاعمهم عن الإسلام حتى يهدموا ما بناه جمهور علماء المسلمين.

من هم المستشرقون؟

تبين مما مضى أن المستشرقين: هم طوائف وأصناف من دول وأجناس مختلفة تعمل في ميادين الدراسات الشرقية من علوم وآداب خاصة بالعالم العربي والإسلامي والصين والفرس والهند.

لكن غلب إطلاق هذا اللفظ على المسيحين واليهود الذين أرادوا أن يتثقفوا في الدراسات الإسلامية واللغة العربية.

وهم أغلبهم متعصبون للغرب وديانته وحضارته وأعداء مغرضون للإسلام ونبيّه. ومنهم من تعصب للغرب وديانته ووطنيته وجنسه دون أدنى تحفظ، وزعم أن العرب ليس لهم أدنى فضل على الحضارة الإنسانية.

والمبشرون منهم خاصة تعمدوا إلى تشويه الإسلام وإظهار المسلمين على الصورة التي تُذكي عند المتعصبين الجهلاء في البلاد الأوربية والأمريكية جذوة التعصب. ويرى الدكتور حسين مؤنس أن أشد المستشرقين تعصبا ضد

---

(١) المستشرقون والسيرة النبوية، أنور الجندي صـ٩٧ وما بعدها من مجلة البعث الإسلامي، العدد الخاص عن الاستشراق.

(٢) دفاع عن العقيدة والشريعة للشيخ محمد الغزالي صـ١٣ ـ ١٤.

الإسلام ورسوله هم الفرنسيون. فهو يقول:

إنه من النادر أن تقرأ لمستشرق فرنسي شيئا طيبا عن حياة الرسول ﷺ. لأنه حتى لو وجد شيئا طيبا، فإن لسانه لا يطيعه في كتابته. ولو قاله، فإنه يتحفظ في قوله تحفظا بالغا، حتى يخيل إليك أنه يخشى الوقوع في النار. ويرى أن الاستشراق والاستعمار والتبشير أشبه بالحلقات الثلاث المتداخلة التي يتخذها التعاون شارةً له دلالةً على قوة التماسك[١].

أما المستشرقون اليهود فقد كانوا من أبرعهم في الهجوم على الإسلام والمكر له، وذلك بأنهم استعملوا أسلوبا أشد مكرا وأسوأ سبيلا، وهو محاولة الدخول في الموضوعات من باب التقدير والمدح حتى يخدعوا القارىء، ويكسبوا ثقته، ثم لا يلبثوا بعد ذلك أن يثيروا شبهات خفية متتالية في إطار هذا التقدير العام الكاذب[٢].

وهم من أخطر المغرضين جميعا، لما ملكوه من وسائل الدعاية التي قد لاتتهيأ لغيرهم من فئات المستشرقين، فهم يلجأون إلى الدعاية المقنعة غير المباشرة والحملات التي يشنونها في أرجاء العالم بأسماء غيرهم هي في الواقع سلاحهم الذي يعولون عليه. لأن جمهور القراء يصغون إليها ولا يتهمون قائليها في أكثر الأحيان. وقد عرف الصهاينة في عصرنا الحاضر مواطن القوة التي تسخرها الدعاية فاستولوا على الكثير من أدواتها وبرعوا في تسخيرها وإخفاء مراميها[٣].

وهذا يعني أبدا أننا ننكر وجود قلة من هؤلاء المستشرقين الذين راحوا يبحثون عن الحقيقة، وهدتهم أبحاثهم الموضوعية إلى التعرف على مبادىء الدين الإسلامي المثالية والاعتراف بما للحضارة الإسلامية من فضل على

---

(١) انظر كتاب: الإسلام والثقافة العربية للأستاذ أنور الجندي صـ١٠٦.

(٢) أضواء على الاستشراق صـ٩ ـ ٥٢.

(٣) الرسول في كتابات المستشرقين/ صـ١٣، ١٤.

الإنسانية. ومن هؤلاء من اعتنق الإسلام وأخلص له.

وفي السطور الآتية سوف أتعرض لذكر عدد من المستشرقين البارزين الذين كان لهم دور كبير في الدس والحقد على الإسلام والمسلمين. لنعرف جميعا نماذج من هؤلاء المستشرقين الذين استهدفوا الرسول وسننه. وهذا كله للوصول إلى الهدف الذي ذكرته سابقا، ألا وهو التسهيل على القارىء في فهم الشبهات التي أثاروها ضد السنن النبوية، لأن المعروف بين المثقفين في العالم كله أن معرفة حقيقة الكاتب وخلفياته تساعد كثيرا على فهم ما يذكر من الآراء في كتاباته.

١ ـ جولدزيهر: GOLDZIHER

يهودي من مجر. ولد سنة ١٨٥٠م وهلك في سنة ١٩٢١م. درس في مدارس اللغات الشرقية ببرلين وليبزج وليدن وفيينا ولودابست ورحل إلى سوريا سنة ١٨٧٣م وتتلمذ على العلامة الشيخ طاهر الجزائري، ثم نزح إلى مصر حيث تضلع في العربية على شيوخ الأزهر.

اتجه إلى الإنتاج العلمي في ميدان الاستشراق، وأصبح واسع الإطلاع وكثير الإنتاج. وقد مكنه ذلك من الدس على الإسلام في كتاباته. وقد عرف بعدائه للإسلام وبخطورة كتاباته عنه.

قال الشيخ محمد الغزالي: إنه قرأ كثيراً من الأصول والمصنفات الإسلامية لكنه، منذ قرأ وكتب، لم يحمل بين جنبيه إلا فؤاد مترعا بتكذيب الإسلام فهو يدس إصبعه في كل شيء ليتخذ من أي شيء دليلا على أن محمداﷺ كاذب وقرآنه مفتعل وسنته مختلقة، والإسلام كله منذ جاء إلى أن بلغنا مجموعة مفتريات.

وقد ألَّف كتابا عن (الظاهرية ومذهبهم وتاريخهم) ثم دراسات إسلامية في جزئين وقد أصبح هذا الكتاب في دائرة الاستشراق إنجيلا مقدسا. كما ألَّف كتابه (محاضرات في الإسلام) الذي نقله إلى العربية الدكتور محمد يوسف

موسى والأستاذ عبدالعزيز عبدالحق. وقد أفرغ فيه كل ما كان في أحشائه من ضغائن وأحقاد ضد الإسلام. ومن كتبه (مذاهب المسلمين في تفسير القرآن) وهو من محرري دائرة المعارف الإسلامية[١].

٢ ـ جوزيف شاخت JOSEPH SCHACHT

من المستشرقين المتعصبين ضد الإسلام والمسلمين. ولد سنة ١٩٠٢م. وتخرج في جامعتي برتسيلاّ وويسبيك. عُيِّن محاضر للدراسات الإسلامية في جامعة اكسفورد سنة ١٩٤٨م، وأستاذا بجامعة الجزائر سنة ١٩٥٢م وانتخب عضوا في مجامع وجمعيات ونواد علمية كثيرة. منها المجمع العلمي العربي بدمشق. وله كتب كثيرة عن الإسلام، وهو من محرري دائرة المعارف الإسلامية، ودائرة معارف العلوم الإجتماعية، وهو الذي حمل في العصر الحاضر رسالة جولد زيهر في الدس على الإسلام والكيد له وتشويه حقائقه. وله مؤلف في تاريخ التشريع الإسلامي، كُلُّه دس وتحريف على أسلوب شيخه جولد زيهر، وهو كتابه: أصول التشريع المحمدي (THE ORIGINS OF MOHAMMADAN JURISPRUDENCE) زعم فيه أنه لا يوجد حديث واحد صحيح، وخاصة من الأحاديث الفقيهة. وفاق شاخت سلفه جولد زيهر، إذ جعل من نظرة زيهر التشكيكية نظرة متيقنة في عدم صحة الأحاديث، وأصبح لكتابه أثر عميق في تفكير دارسي الحضارة الإسلامية في الغرب[٢].

---

(١) راجع الدراسات للدكتور محمد مصطفى الأعظمي ص/ي ودفاع عن العقيدة والشريعة صـ٥، ١٠ وبعدها. والاستشراق والمستشرقون صـ٣٣، ٥٧. وأضواء على الاستشراق صـ١١٢ ـ ١١٦.

(٢) انظر مقدمة الخولي على أصول الفقة لشاخت صـ١١ ودراسات للدكتور الأعظمي ص/ث والاستشراق والمتشرقون للدكتور مصطفى السباعي رحمه الله صـ٤٠، ٥٦.

٣ ـ مرجليوث١٨٥٨م ـ ١٩٤٠مD.S.MARGOLIOTH

يهودي من انجلترا متعصب ضد الإسلام، عُيّن أستاذ العربية بجامعة اكسفورد. وقد انتخب عضوا في المجمع العلمي العربي بدمشق. وله مؤلفات وبحوث وتحقيقات كثيرة.

ومن كتبه: التطورات المبكرة في الإسلام. ومحمد ومطلع الإسلام. والجامعة الإسلامية. وله مزاعم عجيبة ومضحكة ضد الرسول ﷺ والقرآن الكريم والحديث النبوي. من مزاعمه حول الحديث النبوي: أنه لم يدون إلا بعد تسعين سنة من وفاة الرسول ﷺ. وهو الذي يرى أن الآيات القرآنية التي تحكي مجيء إبراهيم إلى مكة واستيطان ذريته بجوار البيت بعدما بناه هو وابنه اسماعيل مفتعلة دعت إلى افتعالها رغبة الرسول في تأليف اليهود وإثبات صلة قرابة بينهم وبين العرب.

وقد رد عليه الشيخ محمد الغزالي رداً مفحما[1].

٤ ـ هاملتون جيب ١٨٩٥ ـ ١٩٦٥مH.A.D.GIBB

إنجليزي من مواليد الإسكندرية بمصر، وخليفة مرجليوث في جامعة اكسفورد وعضوا المجمع العلمي العربي بدمشق، والمجمع اللغوي بالقاهرة.

ومن كبار محرري وناشري دائرة المعارف الإسلامية. له كتابات كثيرة فيها عمق وخطورة. وقد تحدث عن بنية الفكر الديني في الإسلام فقال: (إنما هي معظم ما كان لدى العرب في جاهليتهم من العقائد الغيبية والطقوس الشكلية النابعة من اعتقادهم في الأرواح. فقد تأمل محمد ﷺ فيها فغيَّر ما أمكنه تغييره. ثم عمد إلى الباقي الذي استعصى عليه التخلص منه، فألبسه حلة الدين الإسلامي،

---

(١) انظر كتابه: دفاع عن العقيدة والشريعة ص/ ٤٧ والمستشرقون جـ٢ صـ٥١٨ ـ ٥٢٠ وتاريخ تدوين الحديث بالأردية صـ٩٠.

ودعم هذه العقائد والرموز بهيكل من الأفكار والمواقف الدينية الملائمة. ولما كان محمد يريد أن يشمل دينه الشعوب الأخرى غير العربية أدخل ذلك كله ضمن منهج القرآن. كما أن تضخم كتلة الحديث كان نتيجة لقوة التيار الديني في القرون الأولى، حيث استمد محمد أكثر عناصر حديثه من التراث الديني المسيحي بل البوذي[١].

٥ ـ زويمر S.M.ZWEIMER

مستشرق مبشر، اشتهر بعدائه الشديد للإسلام. رئيس إرسالية التبشير العربية في البحرين. أول من ابتكر فكرة عقد مؤتمر عام لجمع إرساليات التبشير البروتستانتية، للتفكير في مسألة نشر الإنجيل بين المسلمين. وقد عقد المؤتمر الأول في القاهرة في عام ١٩٠٦م. وهو الذي قدم خريطة باسم خريطة تنصير العالم الإسلامي في هذا العصر وألَّف كتاب (العالم الإسلامي اليوم) من أخطر كتب التبشير. وقد أسس (مجلة العالم الإسلامي) الإنجليزية. وتولى إدارتها.

وتقديرا لجهوده التبشرية أنشأ الأمريكيون وقفا باسمه على دراسة اللاهوت وإعداد المبشرين[٢].

هذه هي حالة معظم المستشرقين، فهم أعداء ألداء للإسلام وأهله بعضهم خدموا أهدافهم جهرا وعلنا والبعض الآخر من وراء الستار. وإن مدح أحدهم الإسلام في بعض أموره، أو أيَّد إحدى القضايا الإسلامية فهو تمهيد للإعماء، ليقول كلمته المسمومة ويلقيها في أذهان المسلمين من دون أن يشعروا بها.

---

(١) الاستشراق والمستشرقون صـ٣٣ وأضواء على الاستشراق صـ٩٨ وما بعدها مفتريات على الإسلام صـ٣٥.

(٢) الاستشراق والمستشرقون ص/ ٣٤ والتبشير والاستشراق ص/ ١٤٨ ـ ١٥٠، ١٥٢ ـ ١٥٦ و١٦٢ ـ ١٨٤ و١٩٠ ـ ١٩٤.

فكايتاني الإيطالي وشبرنجر الانجليزي[١]. وفينسنك الألماني والفرد جيدم الإنجليزي وأربري الإنجليزي كلهم عُرفوا بعدائهم للإسلام.

والمستشرق يندلي جوزي، يهودي ماركسي. وبارون كارا دي فو، وهنري لامنس السيوعي فرنسيان شديدا التعصب ضد الإسلام ورسوله وكتابه.

وهكذا فيليب حتى اللبناني المسيحي ونيكولوسون الانجليزي. إذا نظرت إلى كتبهم تجدها مليئة بالحقد والضغينة والكره ضد الإسلام.

وهذا السير وليم مور يقول: إنّ السنة ليست إلا نتيجة المحادثات عن محمد، وأن المحدثين لم يُعنوا بنقد المتن[٢].

ويقول نيكولاس بي أجنائدس: إن المحدثين تجاهلوا تماما المحتوى[٣].

ويقول غليوم: إن الأحاديث الموضوعة اختلطت بالصحيحة حتى لم يمكن التمييز بينهما[٤].

فالعداء للإسلام طبيعتهم والكذب والبثت عادتهم. فهم يركزون كل جهودهم على كشف مواضع الضعف في تاريخ المسلمين ومجتمعهم ومدنيتهم ويختلقون الأكاذيب حول ديانتهم وشريعتهم.

مؤلفات المستشرقين المليئة بالأحقاد

والكتب التي ألفوها عن الإسلام أكبر شاهد على ضغائنهم ضد الإسلام. وأرى أن أذكر هنا أسماء بعض تلك الكتب المليئة بالأحقاد المشوهة لصورة الإسلام المضيئة حتى يطلع عليها من أراد أن يتأكد من صحة ما ذكرته حتى الآن.

---

(١) هو الذي يقول عن الوحي إن الحالات العصبية التي كانت تنتاب النبي ﷺ قد ورثها عن أمه (انظر دائرة المعارف جـ٢/ ٦٣٠ مادة آمنة).

(٢) راجع تاريخ الحديث صـ١٥٦ وما بعدها.

(٣) لمحات عن الحديث النبوي بالإنجليزية صـ٤٩، GLIMPSES.PP.49

(٤) لمحات عن الحديث النبوي بالإنجليزية، صـ٥٢.

١ ـ دائرة المعارف الإسلامية .
٢ ـ موجز دائرة المعارف الإسلامية .
٣ ـ دائرة معارف الدين والأخلاق .
٤ ـ دائرة معارف العلوم الإجتماعية .
٥ ـ دراسة في التاريخ (القسم المتصل بالإسلام ورسوله) تأليف أرنولد توينبي .
٦ ـ حياة محمد ، تأليف سير وليم ميود .
٧ ـ الإسلام ، تأليف ألفرد جيوم .
٨ ـ الإسلام بالفرنسية تأليف هنري لامنس .
٩ ـ الإسلام (قسم العقيدة) تأليف زويمر .
١٠ ـ الدراسات الإسلامية .
١١ ـ العقيدة والشريعة في الإسلام . تأليف جولد زيهر .
١٢ ـ مذاهب التفسير الإسلامي .
١٣ ـ عقيدة الإسلام تأليف فينسنك .
١٤ ـ التطورات المبكرة في الإسلام تأليف مرجليوث .
١٥ ـ الاتجاهات الحديثة في الإسلام ، تأليف هـ ، أ ، د ، جب .
١٦ ـ أصول التشريع المحمدي تأليف شاخت .
١٧ ـ كتب مونتجمرن وات في السيرة النبوية .
١٨ ـ تاريخ العرب والإسلام تأليف فيليب حتى .

سطحية الدراسات الإستشراقية

يقول الأستاذ أحمد فارس الشدياق : إن هؤلاء الأساتذة (المستشرقين) لم يأخذوا العلم عن شيوخه ، وإنما تطفلوا عليه تطفلا ، وتوثبوا فيه توثيباً ومن تخرج فيه بشيء ، فإنما تخرج على القسس ، ثم أدخل رأسه في أضغاث أحلام أو

أدخل أضغاث أحلام في رأسه وتوهم أنه يعرف شيئا وهو يجهله، وكل منهم إذا درس في إحدى لغات الشرق أو ترجم شيئا منها تراه يخبط فيها خبط عشواء، فما اشتبه عليه منها رقعه من عنده بما شاء وما كان بين الشبهة واليقين حدس فيه وخمن فرجح منه المرجوح، وفضل المفضول[١]. ويتأكد هذا إذا تعرفنا على أغلب المستشرقين الذين يرأسون الأقسام العربية في الجامعات الأوربية.

فالمستشرق (أندرسون) رئيس قسم قوانين الأحوال الشخصية المعمول بها في العالم الإسلامي، في جامعة لندن، كان من أركان حرب الجيش البريطاني في مصر، خلال الحرب العالية الثانية. وقد تعلم اللغة العربية من دروس اللغة العربية التي كان يلقيها بعض علماء الأزهر في الجامعة الأمريكية بالقاهرة، ساعة في كل أسبوع لمدة سنة واحدة. تخصص في دراسة الإسلام من المحاضرات العامة التي كان يلقيها أحمد أمين والدكتور طه حسين والشيخ أحمد إبراهيم.

وفي جامعة أكسفورد وجد الداعية الإسلامي الدكتور السباعي رحمه الله رئيس قسم الدراسات الإسلامية والعربية يهوديا يتكلم العربية ببطء وصعوبة ولا يحسن فهم عبارة بسيطة في جريدة عادية.

وفي جامعة كمبرج تعود رئاسة قسم الدراسات العربية والإسلامية للمستشرق المعروف (أربري) واختصاصه في اللغة العربية فحسب.

وقد اعترف خلال حديثه مع السباعي رحمه الله: أننا نحن المستشرقون نقع في أخطاء كثيرة في بحوثنا عن الإسلام. ومن الواجب أن لا نخوض في هذا الميدان لأنكم ـ أنتم المسلمين العرب ـ أقدر منا على الخوض في هذه الأبحاث[٢].

وهذا هو حال معظم المستشرقين، لا يجيدون العربية ولا يدركون أسرارها. وإذا أجاد أحدهم اللغة فلا مساس له بالعلوم الشرعية وإنما مرجعه كتب المستشرقين

---

(١) الرسول في كتاب المستشرقون صـ١٦ نقلاً من ذيل الفارياق لأحمد فارس الشدياق.

(٢) راجع الاستشراق والمشتشرقون صـ٥٣ (مع المستشرقين وجها لوجه في أوربا).

ومقالاتهم المنشودة في الجرائد والمجلات.

وقد ثبت الدكتور فؤاد سزكين هذه الحقيقة عن رأس الحية جولد زيهر إذ قال: إن جولد زيهر لم يدرس كتب المصطلح ولم يُصب في فهم كثير من المواضع[1].

موقف المستشرقين من السنة:

لقد تأكد عند المستشرقين والمبشّرين: أن السنة هي المصدر الثاني للشريعة الإسلامية، وأنه لا يمكن الوصول إلى الأهداف الذميمة التي قصدوها إلا إذا هدم هذا المصدر، لأن أي مطعن في سنة الرسول ﷺ وسيرته طعن في الإسلام رأسا وهدم للكيان الإسلامي عقيدة وفكرا وعملا، ولذلك حاولوا قبل كل شيء أن يلقوا في الأذهان أن أعمال الرسول ﷺ وتوجيهاته وقيادته إنما كانت صالحة لفترة الجاهلية، وتلك المرحلة قد انتهت، وأتمت غرضها، وليس من الإصلاح الخلقي والإجتماعي والعقائدي أن تصحب توجيهات الرسول إلى العصر الحاضر، فشتان بين العصرين. ثم تدرجوا إلى الأمام وأرادوا أن يبحثوا عن مطاعن في الحديث النبوي، وحاولوا إقناع قرائهم أن الأحاديث متناقضة، وأن الحديث ازداد مع الزمن، وأن الجماعات الإسلامية وضعت أحاديث لتأييد آرائها وأفكارها، وهكذا كثرت الأحاديث الموضوعة المتناقضة أشد التناقض.

وقالوا أيضا: إن بعض الأحاديث أُخذ من الإنجيل والتوراة والقصص والخرافات. وما إلى ذلك من الشبه الكثيرة التي تنوعت بتنوع كتاباتهم وتعدد مؤلفاتهم. وما أكثر التهم التي وجهوها إلى الرسول وكتابه وسنّته وحياته ودينه. وفي الصفحات الآتية سوف أحصر حديثي في شبههم حول السنّة، وبالأخص عن الشبه التي أثاروها حول نقد المتن وزعمهم الباطل العاري من الصحة أن المحدثين لم يعنوا بنقد المتن.

---

(١) تاريخ التراث العربي جـ٢ صـ٨٩.

وفي الصفحات الأولى من هذا الباب ناقشت هذا الموضوع بكل تفصيل وأثبت بدلائل علمية أن المتن هو الذي كان محور نقد المحدثين، وأن السند والمتن جزءان لا يتجزءان من علوم الحديث ونقده وأن جميع العلوم الخاصة بنقد الحديث روعي فيها نقد المتن تماما كما روعي فيها نقد السند.

استفادتهم من المعتزلة في آرائهم حول السنة:

لقد عرف عن المعتزلة أنهم اعتبروا العقل رأس الأدلة. فقد قال القاضي عبدالجبار[١] في معرض حديثه عن الأدلة الشرعية. إنّ أولها: العقل[٢] وقال إبراهيم النظام: وإنّ جهة حجة العقل قد تنسخ الأخبار[٣].

وقد ذكر ذات يوم حديث الرسول ﷺ أمام عمرو بن عبيد فقال لو سمعت الأعمش يقول هذا لكذبته. ولو سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا، لرددته، ولو سمعت الله يقول هذا لقلت: ليس على هذا أخذت ميثاقنا[٤].

فهم جعلوا العقل حكما لا ترد كلمته.

وقد جلب مسلكهم الممالىء للعقل على حساب القرآن والسنة عطف الكثير من المستشرقين، حتى أشادوا بمواقفهم الشنيعة من القرآن والسنة وأطلقوا عليهم إسم (المفكرين الأحرار في الإسلام) ودعاة الحرية الفكرية والاستنارة ووصفهم جولد زيهر بأنهم وسعوا معين المعرفة الدينية بأن أدخلوا فيها عنصرا

---

(١) القاضي عبد الجبار المعتزلي: هو عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار أبو الحسن الأسد أبادي المعتزلي (٠٠ ـ ٤١٥هـ). قاضي أصولي، كان شيخ المعتزلة في عصره قال الرامهرمزي: كان ينتحل مذهب الشافعي في الفروع، ومذاهب المعتزلة في الأصول.
ميزان الاعتدال ٣/ ٥٣٣ تاريخ بغداد ١١/ ١١٣.

(٢) فضل الاعتزال/ ١٣٩.

(٣) تأويل مختلف الحديث/ ٤٣.

(٤) ميزان الاعتدال ٣/ ٢٧٨.

مهما آخر، وهو العقل الذي كان حتى ذلك الحين مبعدا بشدة عن هذه الناحية[١].

موقفهم من نقد المتن موقف المعتزلة منه:

وبالمقارنة بين الشبهات التي أثارها المستشرقون في كتبهم والشبهات الموجودة حول السنة في كتب المعتزلة وما كتب عنهم، يتبين تماما أن الفتنة بدأت من المعتزلة، وأن موقف المستشرقين من الصحابة ومن الأخبار المتواترة وأخبار الآحاد وعدد كبير من الأحاديث النبوية، على أنها مناقضة للعقل، وأن المحدثين لم ينقدوها متنا، هو نفس موقف المعتزلة[٢].

وسيأتي في الصفحات الآتية بيان موقف المستشرقين من كثير من الأحاديث وتفنيد مزاعمهم، إن شاء الله، وعند ذلك يتبيَّن كيف أن تلك الشبه ليست إلا تكرار وإعادة لما قاله رووس المعتزلة.

اعتمادهم على الضعيف الشاذ:

لقد أخذ المستشرقون في كثير من الأحيان بالأخبار الضعيفة والواهية بل بالموضوعات لمؤازرة أفكارهم المتعصبة والحكم على الإسلام بأحكامهم الجائرة. واستعانوا بالشاذ والغريب وقدموه على المعروف المشهور. استعانوا بالشاذ، ولو كان متأخرا، أو كان من النوع الذي استغربه النقاد وأشاروا إلى نشوزه. تعمدوا ذلك، لأن هذا الشاذ هو الأداء الوحيد في إثارة الشك[٣].

نجد معظم المستشرقين ينقلون من الواقدي ليستدلوا به على مزاعمهم في

---

(١) موقف المعتزلة من السنة النبوية ٧٦ ـ ٧٧ والعقيدة والشريعة لجولدزيهر صـ٨٩ ـ ٩١.

(٢) راجع الفرق بين الفرق صـ١٤٣، ١٤٨، ١٤٩، ٣١٩، وميزان الإعتدال ٤/ ٣٢٩ والفرق بين الفرق ٢٢٨، ١٨٠ والإلماع صـ٧ والسنة ومكانتها في التشريع صـ٢٠٣ وتأويل مختلف صـ٢١ وموقف المعتزلة من السنة صـ٧٨ ـ ١٠١.

(٣) تاريخ العرب والإسلام لجواد علي ١/ ٨ ـ ١١.

نقد السن، متجاهلين تماما أن رواياته غير قابلة للاحتجاج بها عند المحدثين لكونه غير ثقة. يقول ابن خلكان ما معناه، أن الأحاديث المروية عن طريق الواقدي غير قابلة للاحتجاج بها. ويقول الشافعي ما معناه: إن كتب الواقدي مليئة بالأكاذيب.

وبروفيسور مرجليوت وغيره من المستشرقين يعرفون حكم المحدثين في الواقدي وكتبه. ولكنهن يأخذون أدلتهم من كتبه ليوجهوا النقد الكاذب إلى السنة النبوية[١]. وأصبح (كتاب الأغاني) لأبي الفرج الأصفهاني من المراجع الأصلية لديهم ومن أكثر الكتب تأثيرا في الفكر التاريخي والدارسات الحديثية، مع أن أبا الفرج الأصفهاني معروف عند علماء الجرح والتعديل بأنه كذاب يأتي بالغرائب والعجائب بلفظ حدثنا وأخبرنا.

وهكذا كتاب (ألف ليلة وليلة) نال عناية المستشرقين، مع أن خطورة هذا الكتاب معروفة لدى علماء الإسلام الأمناء في تشويه تاريخنا الإسلامي[٢].

اعتمادهم على المنهج المعكوس:

لقد أشار الدكتو جواد علي إلى أن كيتاني، وهو من كبار المستشرقين الأوائل الذين كتبوا عن حياة الرسول ﷺ، كان يعتمد منهجا معكوسا في البحث. وهو أنه كان يُبيّت فكرة مسبقة، ثم يجيء إلى وقائع التاريخ لكي يستل منها ما يؤيِّد فكرته ويستبعد ما دون ذلك.

وهذا هو دأب معظم المستشرقين يبيتون فكرة ثم يستعينون بكل خبر يظفرون به، ضعيفا كان أو شاذا أو موضوعا، بل يقوون الضعيف ويعدونه حجة

---

(١) لمحات عن الحديث النبوي بالإنجليزية صـ٥٣ ـ ٥٤، GLIMPSES OF THE HADITH. PP.53-54

(٢) المستشرقون والتاريخ للدكتور عبد العظيم الديب، مجلة البعث الإسلامي صـ١٤٧ ـ ١٤٨.

ويبنون الحكم عليه[١].

ويعتبر المستشرق الفرنسي هنري لامنس مثلاً على الانحرافات المنهجية التي يمارسها كثير من المستشرقين.

يقول درمنغهم: من المؤسف حقا أن غالي بعض هؤلاء المتخصصين من أمثال ميورو مرجليوث ونولدكه وشبرنجر ودوزي وكيتاني ومارسين وغليوم وجولد زيهر وغودفروا وغيرهم، وفي النقد أحيانا، فلم تزل كتبهم عامل هدم على الخصوص. ومن المحزن ألا تزال النتائج التي انتهي إليها المستشرقون سلبية ناقصة... ومن داعي الأسف أن كان الأب لامنس الذي هو من أفضل المستشرقين المعاصرين من أشدهم تعصبا، وأنه شوّه كتبه الرائعة الدقيقة وأفسدها بكرهه للإسلام ونبي الإسلام. فعند هذا العالم اليسوعي: أن الحديث إذا وافق القرآن كان منقولا عن القرآن، فلا أدري كيف يمكن تأليف التاريخ إذا اقتضى تطابق الدليلين تهادمهما بحكم الضرورة بدلا من أن يؤيد أحدهما الآخر[٢].

استنادهم في نقد الحديث إلى الروايات في كتب السيرة والفقه:

من المعلوم عند علماء السنة أن هناك كتبا خاصة للأحاديث النبوية، اهتم مؤلفوها بجمعها وترتيبها حسب الشروط التي وضعوها لكتبهم. ومن أشهر تلك الكتب الصحاح الستة ومسند الإمام أحمد. وهم التزموا الشروط التي ذكروها في كتبهم.

وعلى هذا، فقد اكتسب كل من تلك الكتب المكانة التي كانت تستحقها من علماء المسلمين، فالبخاري أصح الكتب بعد كتاب الله ثم صحيح مسلم ثم الكتب الأخرى حسب درجاتها.

وهذه الكتب هي المصادر الأصلية لدراسة الأحاديث النبوية، مع العلم

---

(١) تاريخ العرب في الإسلام له/ ١/ ٩٥.

(٢) حياة محمد، المقدمة صـ٨، ١٠ ـ ١١.

بأن فيها ما لم يصل في الصحة إلى درجة عليا ومنها ما هو ضعيف شديد الضعف أو خفيفه وفي بعضها، مثل مسند الإمام أحمد ما وضعه العلماء في قائمة الموضوعات. وهذا كله معروف لدى المحدثين ومتداول بينهم علميا.

أما الكتب التي احتوت على الأقوال الفقهية أو الوقائع التاريخية، فإن مؤلفيها لم يكونوا محدثين، ولم يراعوا فيها شروط المحدثين لصحة الحديث كما أن الكتب التاريخية لا يهتم فيها مؤلفوها إلا بسرد الوقائع وترتيبها حسب الزمن دون أن ينظروا كثيرا إلى أسانيدهم ورواتها.

ولكن المستشرقين انتقوا موادهم لدراساتهم الحديثية من كتب السيرة النبوية والأقوال والروايات الموجودة في كتب التفسير والفقه.

فهذا روبسون يؤيّد لامنس في قوله: بأن الحديث والسيرة ليسا مصدرين متميزين[١] أعني أنه يميل إلى القول بأن كتب السيرة مصدر من مصادر الحديث النبوي.

والمستشرق شاخت، درس الأقوال الموجودة في موطأ الإمام مالك، وموطأ الإمام محمد الشيباني، وكتاب الأمّ للإمام الشافعي، وفرض النتيجة التي وصل إليها من دراسة الكتب المذكورة على كافة كتب الحديث، مع أنه يدرك تماما أن هناك فرقا جوهريا بين طبيعة كتب الفقه وكتب الحديث[٢].

اتهامهم الصحابة والمحدثين بوضع الأحاديث:

يقول شاخت: بموت النبي ﷺ انتهى بالطبع التشريع الذي كان يقوم على التنزيل أو على حجية النبوة. وكان من الطبيعي أن يحاول الخلفاء الأول

---

(١) Ibn Ishaq's use of bull. John Ryland. Library. Vol. 38 No. 2.P.451. (استعمال إسحاق للإسناد).

(٢) The Origins. Chapter 4. PP. 163-175.

السير بالأمة الإسلامية على سنة منشئها . . . إلى أن قال : انتهى بهم الأمر إلى التوسع في تأويلها توسعا خرج بها عن معناها الأصلي ، وربما كان سببا في ظهور أحاديث جديدة .

وقال : ربما صحَّ تاريخيا ما تقوله الروايات من أن أبا بكر كان يحتذي حذو النبي ﷺ في هذا الأمر . بينما كان عمر أكثر ميلا إلى التعديل والتغيير[١] .

وقال : أما حركة المحدثين . . . في القرن الثاني ، فهي في الواقع نتيجة طبيعية لاستمرار حركة المعارضة للمدارس الفقهية القديمة ، والتي كانت متأثرة بالدين والأخلاق . والفكرة الرئيسية التي كانت عند المحدثين هي أن الأحاديث المأخوذة عن النبي ﷺ يجب أن تغلب على سُنن المدارس الفقهية . ولهذا الغرض اخترع المحدثون بيانات مفصلة أو أحاديث وادعوا أنها من مرئيات أو مسموعات أقوال النبي ﷺ وأفعاله وتقريراته ، وأنها وصلت إلينا شفهيا بأسانيد غير منقطعة وعن طريق رواة موثوقين . ومن الصعوبة بمكان أن نعتبر أي حديث منها خاصة فيما يتعلق بالأحاديث الفقهية صحيحا موثوقا به[٢] .

وقال ميور : بعد أن توفي محمد (ﷺ) كانت الحرب هي الشغل الشاغل لأتباعه وكانت الفترات بين حرب وأخرى من أهم أسباب الكآبة والسآمة عند أولئك القوم . ورأوا أن الحديث عن الماضي هو العلاج الناجح للقضاء على البطالة .

ولم يكن لديهم شيء لهذا الغرض أحلى من أقوال وأفعال ذلك الشخص الذي جعل منهم قوما فاتحا للبلاد وأعطاهم مفاتيح خزائن الدين والدنيا فكان جُلُّ كلامهم يدور حول شخصية محمد . ومن هنا وجدت المواد التي ساعدت

---

(١) أصول الفقه لشاخت صـ٥٥ ـ ٥٦ وتعريف الشريعة الإسلامية له . صـ٣٤ .

(٢) An introduction to Islamic Law. Chap. 6. p.34.
وانظر كذلك الدراسات للدكتور الأعظمي صـ٤٤٢

على ازدهار(الحديث)[١].

ادعاؤهم بأن الموضوعات اختلطت بالصحاح ولم يمكن التمييز بينها :

يقول جولد زيهر : ولا نستطيع أن نغزو الأحاديث الموضوعة للأجيال المتأخرة وحدها. بل هناك أحاديث عليها طابع القدم. وهذه إما قالها الرسول ﷺ أو من عمل رجال الإسلام[٢].

ويقول : اعترف كثير من الأتقياء، عند وفاتهم بلا تردد، عما لهم من فضل في وضع أحاديث كثيرة، وربما كانوا لا يرون في هذا أمرا لا يتفق والاستقامة متى كان الواضع يقصد إلى غايات طيبة[٣].

ويقول : إن التوجيه الرسمي والنشاط الحكومي لوضع الأحاديث يرجع إلى فترة مبكرة جدا من تاريخ الإسلام. ونجد صداه في وصية معاوية للمغيرة، إن يشجب عليا وأتباعه ويبعدهم ولا يسمع لهم، كمصدر للأحاديث. والثناء الدائم على عثمان وأتباعه وأن يكون على صلة قريبة منهم والسماع إليهم، كمصدر للأحاديث.

ويقول : كانت هذه التوصية بمثابة منشور رسمي لوضع الأحاديث[٤].

ويقول ميور وغليوم : إن الأحاديث الموضوعة اختلطت بالأحاديث الصحيحة اختلاطاً لم يمكن بعده التمييز بينها، وأن الآلاف بل آلاف الآلاف من الأحاديث التي راجت في أوقاتها لم يكن عليها مسح من الأصالة والصحة.

ويقول : ويمكننا أن نمثل بالبخاري الذي اختار أربعة آلاف حديث من

---

(١) تاريخ الحديث باللغة الأردية صـ١٥٦ مأخوذ من كتاب: حياة محمد لميور Life of Mohammed: Muir.

(٢) العقيدة والشريعة صـ٤١.

(٣) المصدر نفسه صـ٤٦.

(٤) الدراسات الإسلامية جـ٢ صـ٤٤. Muslim Studies Vol.2.PP.44

ستمائة ألف حديث. وهذا دليل كاف على وجود عدد هائل من الأحاديث الموضوعة مختلطة بالأحاديث الصحيحة[١].

يقول جولد زيهر: إن الطريق الذي اختاره المحدثون الصالحون لمواجهة فتنة الوضع في الحديث إنه لطريق يثير الإعجاب في تاريخ الأدب. وذلك أنهم بدأوا يضعون الحديث ويدرجون في الأحاديث كلمات وجملا تشير إلى العذاب الشديد الذي ينتظر أولئك الوضاعين.

وقال: إن حديث: من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار والأحاديث الأخرى التي وردت في هذا المعنى كلها موضوعة وضعها المحدثون لمواجهة فتنة وضع الحديث[٢].

هذه النقول تعطي فكرة واضحة عما كان يحمل المستشرقون من التصور الإجرامي عن الصحابة ومن بعدهم من العلماء الأجلاّء، كما أنه تفيد عن تغرّضهم ضد الإسلام في كل ما كتبوا عنه. فهم يتجاهلون الجهود العظيمة التي بذلت بواسطة الأئمة المحدثين للتمييز بين الصحيح والموضوع، حتى لم يبق حديث إلا وقد قيل فيه الرأي الواضح الصريح. عند الإطلاع على هذه الأقوال وأمثالها الكثيرة الموجودة في كتب المستشرقين، يجد القارىء المسلم نفسه أمام المزاعم الباطلة التالية:

١ ـ أن السنة أكاذيب وخرافات جمعها محمد ﷺ من عادات القوم وأضاف عليها من التعاليم الموجودة في التوراة والإنجيل.

٢ ـ أن الصحابة ومن جاؤا بعدهم من التابعين والأئمة المحدثين عصابة كذب وبهت وزور ودجل، ولم تكن عليهم مسحة من الصدق والشرف، فاختلقوا من الأكاذيب والأباطيل ما سوّلته لهم أنفسهم كما اختلقوا الأسانيد الصحاح

---

(١) لمحات من الحديث النبوي صـ٥٢ . . GLIMPSES OF THE HADITH PP.52.

(٢) دراسات إسلامية لجولدزيهر جـ٢ صـ١٣٢، ١٣٣ . . Muslim studies.V.2 Ch. 2p. 132,133.

وربطوا بعضها بالبعض ونسبوها إلى رسولهم ونبيهم الذي هو بنفسه مدعى النبوة ونزول الوحي زورا وبهتانا على الله .

٣ ـ وأن الأحاديث السارية السائرة في المجتمع الإسلامي ، منذ أن بعث الرسول ﷺ ، والأحاديث المجموعة في صحيحي البخاري ومسلم ، والمجموعات الحديثية الأخرى إن هي إلا أكاذيب وأباطيل .

هذه هي الصورة التي تظهر أمام القارىء المسلم عندما يقرأ أقوال المستشرقين المذكورة وغيرها الكثيرة المنتشرة في كتبهم التي ألفوها ضد الإسلام .

فهل يا ترى يشك مسلم في سوء نوايا هؤلاء المستشرقين ، وهل يحتاج مسلم عاقل إلى ردٍّ على هذه الأقوال التي تُنبىء بخبثهم ودناءتهم وعداوتهم الصريحة الواضحة للإسلام وكل ما يمت إليه بصلة .

المسلم يؤمن برسالة محمد ﷺ ويؤمن بالوظيفة الحقيقية له ﷺ . وهي أنه يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيِّبات ويحرِّم عليهم الخبائث .

كما أنه يعتقد في عدالة الصحابة . قال تعالى عنهم (رضى الله عنهم ورضوا عنه) ويعتقد أن المحدثين كانوا أمناء هذه الأمة . عملوا المستحيلات لحفظ السنة النبوية . بعد هذا الإعتقاد الجازم الشائع في الأمة الإسلامية ، لا أشكُّ في أن عقلاء المسلمين ومخلصيهم لدينهم سيلفظون هذه الإدعاءات ويحتقرونها احتقارا ليس بعده احتقار .

إن المحدثين اعترفوا بوجود فتنة الوضع في الأحاديث النبوية لأغراض وأهداف ذكرتها في الفصل الثالث من الباب الثاني .

ولكن الجهود التي بُذلت في سبيل القضاء على هذه الفتنة وتمييز الأكاذيب والأباطيل من الأحاديث الصحيحة ، والأصول والقواعد التي روعيت في هذا الصدد ، والدقة واليقظة والإنتباه والتجزية التي كانت دأب المحدثين ، والأسفار المضنية ومتاعب التحقيق والتنقيح التي تحملها النقاد ، كانت أعظم وأضخم بكثير من الفتنة ولا يوجد لها مثيل في عالم الثقافة ، حتى اضطر بعض المستشرقين

ـ رغم أنفهم ـ أن يعترفوا بهذا كله، فلقد اعترف البروفيسور نيكولسون بقول ابن قتيبة: أن ليس لأمةٍ سنّة مثل سنّتنا[١].

١ ـ المحدثون اشترطوا في الراوي أن يكون قوي الذاكرة، صاحب الفهم الثاقب، ضابطا لكل ما يسمع ويروي.

٢ ـ وضعوا علم الجرح والتعديل.

٣ ـ اهتموا بأسماء الرجال، وبيّنوا فيها حال كل راو، وأعلنوا أسماء الكذابين والوضاعين على رؤوس الأشهاد من دون أن يخافوا في الله لومة لائم.

٤ ـ نظروا في كل حديث بالدقة والعمق، وحللوا كل لفظ وكلمة وقارنوا بين الأحاديث.

٥ ـ أصلوا أصولا وقعدوا قواعد لإختيار الأسانيد والمتون.

٦ ـ جمعوا الموضوعات في مؤلفات خاصة.

٧ ـ ميّزوا المدرجات في الأحاديث.

٨ ـ التزموا بهذه القواعد والأصول بكل شدة، وفي كل مرحلة من مراحل النقد، حتى أصبحت الأحاديث الصحيحة واضحة المعالم ناصعة الوجود، كما أن الموضوعات حُصرت ودُوِّنت في الكتب، حتى لا يغتر مغتر ولا يندس موضوع بين الصحاح[٢].

فإذا جاء مفترٍ بعد هذا وزعم كذبا وزورا أن الموضوعات اختلطت حتى أصبح من العسير التمييز بينها وبين الصحاح، فهل نقول عنه إلا أنّه مصاب بالهستريا أو الجنون يهذي بما يجري على لسانه، أو أنه عار عن الحياء لا يبالي بما يقول عنه العالم، فيقول ما يحلو له، عداوةً للإسلام وأهله. وصدق رسول الله ﷺ حيث

(١) تاريخ تدوين حديث (بالأردية) صـ ٧١ـ ٧٢.

(٢) تاريخ تدوين حديث (بالأردية) صـ ٨٤ـ ٩٠.

قال: «**إذا لم تستحِ فاصنع ماشئت**»[١]. وهذا هو دأب المستشرقين كما رأينا.

بقي أن نقول كلمة عما زعمه المستشرق ميور:

أن الأحاديث وليدة المحادثات بين أصحاب محمد في فترات الحروب.

المستشرق ميور معرف بعدائه ضد الإسلام، وقد ردَّ عليه المسلمون، وليس هذا مجال منا قشته فيما قاله عن العرب وأصحاب الرسول ﷺ فإن التاريخ المسيحي نفسه شاهد عدل على عدالة المسلمين وجور الحكام المسيحين وانغماسهم في الفسق والفجور.

إن اهتمام أصحاب الرسول ﷺ بأقواله وأفعاله ـ وهم في ميادين الحرب ـ لدليل على حرصهم الشديد على حفظ السنة. وإن كان هذا الأمر ليس مؤيدا بالواقع، فإن الأصحاب الذين انشغلوا بالجهاد أكثرهم من الذين لم يرووا الأحاديث إلا نادرا، وكثير منهم من المقلين. وأما الذين اشتهروا بالرواية وحفظ الأحاديث وكتابتها لم يكونوا من المعروفين في ميادين الجهاد مثل أبي هريرة وابن عباس وعائشة وابن عمر وجابر وأنس وأبي سعيد الخدري (من المكثرين) ومثل علي بن أبي طالب وعمر الفاروق (من المتوسطين) وأبي بكر وعثمان (من المقلين) فإن هؤلاء لم يشتركوا في الحروب بعد وفاة الرسول ﷺ[٢].

أما قوله: إن البخاري اختار أربعة آلاف حديث من ستمائة ألف حديث، وهذا دليل كاف على وجود عدد هائل من الموضوعات مختلطة بالأحاديث الصحيحة.

فأقول: إن المحدثين درسوا هذا الموضوع وبيَّنوا سبب اختياره الأربعة آلاف حديث من بين الستمائة ألف حديث. وهو أن كل سند للحديث كان يعد عند المحدثين حديثا مستقلا قائما بذاته. فالحديث المروي بخمسمائة سند،

---

(١) البخاري/ الأنبياء/ ٣٢٩٦.

(٢) تاريخ الحديث بالأردية صـ١٥٦ وما بعدها.

يعتبر خمسمائة حديث وليس حديثا واحدا. فالبخاري مثلا اختار سندا واحدا من الخمسمائة سند، على أنه حديث واحد. ويمكن أن يوضح بمثال آخر، وهو أن أبا هريرة (مثلا) كان له ثمان مائة تلميذ، فروى لهم حديثا سمعه منه كل منهم، ثم رواه كل منهم بسنده إلى أبي هريرة، فصار ثمانمائة حديث. بينما هو حديث واحد في واقع الأمر[١].

أما قول جولد زيهر: إن حديث: «**إن من كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار**»والأحاديث الأخرى التي وردت في هذا المعنى كلها موضوعة وضعها المحدثون لمواجهة الفتنة.

فالواقع أن زعم زيهر هذا موضوع شيق لعلماء النفس، حتى يعرفوا مدى ما كان هذا اليهودي يُبطن في قلبه من الشر لهذا الدين العظيم. فإنه لم يستطع أن يقيم أي دليل على دعواه.

وقد رد عليه اسبرنجر وقال: لا يمكن أن يشك في صحة هذا الحديث لأنه ورد بطرق صحيحة ثابته. وكذلك الأحاديث الأخرى في معناه وردت بطرق كثيرة لا مجال للشبهة فيها[٢].

والغريب أن زيهر نفسه اعترف بأن هذا الحديث وما في معناه مروي من ثمانين طريقاً، وسند بعضها يصل إلى عثمان بن عفان وكبار الصحابة الآخرين[٣].

---

(١) راجع تاريخ تدوين حديث (بالأردية) صـ٩٠ ـ ٩١.

(٢) تاريخ تدوين حديث (بالأردية) صـ٩٣ مأخوذ من: JOURNAL OF GENERAL ASIATIC SOXIETY. BENGAL. 1860 CALCUTTA.

(٣) دراسات إسلامية له جـ٢ صـ١٣٢ ـ ١٣٣ . Muslim studies v.2.P.132,133. وانظر لزاماً ما كتبته حول هذا الحديث وطرق روايته حيث بلغ حد التواتر، في مدخل الكتاب تحت الرقم (٤).

الباب الثالث / الفصل الثاني

مزاعم المنحرفين والردُّ عليها:

المنتسبون إلى الإسلام وإنكارهم للسنة .

الفتنة في شبه القارة الهندية الباكستانية .

الفتنة في البلاد العربية .

الفتنة في شبه القارة أقوى .

نشأة فكرة أهل القرآن .

دور شراغ علي في ترسيخ أسس الفكرة .

تأسيس جماعة أهل القرآن .

الإستعمار هو السبب لوجود الحركة .

الشُبَه التي أثارها أهل القرآن حول السنة .

الفِرَقُ الموجودة حاليا في باكستان .

علماء السنة يتصدُّون للفتنة .

بعض الكتب بالأردية التي كشفت عوار الفتنة .

المنتسبون إلى الإسلام وإنكارهم للسنة:

١ ـ إن فتنة إنكار السنة بين المنتسبين إلى الإسلام بدأت في القرن الثاني الهجري عن طريق الخوارج والمعتزلة.

الخوارج أثاروا هذه الفتنة، لأن السنة كانت تعرقل سيرهم نحو نشر الفساد في المجتمع الإسلامي، ولأن نظرياتهم المتطرفة لم تكن لتنتشر في المجتمع الإسلامي الذي كان مؤسسا على السنة المحمدية.

والمعتزلة أثاروا الفتنة: لأن الشُبَه التي وُجِدت في أذهان الكثير نتيجة لطغيان الفلسفة اليونانية والعجمية، أرادوا أن يزيلوها بأي طريق كان، قبل أن يفهموها جيدا، وقبل أن يستوعبوا في نظرياتها. وظنوا أن كل ما هو قادم من جهة الفلسفة موافق للعقل، وأنه يجب أن تكون العقائد الإسلامية وأصولها وفقا لتلك النظريات. فوجدوا السنة تمنعهم من هذا وتعرقل سيرهم. فأنكروها وشككوا في صحتها.

وقد ماتت الفتنتان بعد مدة أعني بنهاية القرن الثالث:

أ ـ لجهود المحدثين العملية التي أثبتت أنه لا مجال للشك في حجية السنة أو صحَّتها.

ب ـ وتصريحات القرآن الكريم التي أثبت بها أهل العلم أن الرسول ﷺ ليس مجرد ساعي بريد، بل هو شارح للقرآن الكريم ومبين للأحكام فيه.

جـ ـ ومن أجل تأويلات الفئتين المضحكة للقرآن الكريم، وانكشاف الحقيقة أمام عامة المسلمين أن القرآن إذا فُصِل عن السنة وبيانها، مُسخ الدين وشرائعه.

د ـ وليقظة ضمير الأمة الإسلامية الذي رفض فكرة التحرر عن طاعة الرسول ﷺ.

وقد ظلت الفتنة مقبورة، حتى أحياها من جديد أناس في البلدان العربية وأشخاص في شبه القارة الهندية.

أحياها في الهند :

السير سيد أحمد خان والمولوي شراغ علي . ثم حمل لواءها المولوي عبدالله جكر الوي ومن بعده المولوي أحمدالدين الأمر تسري ثم تقدم بها مولانا أسلم جيراج بوري .

وأخيرا تسلم رئاستها شودري غلام أحمد برويز الذي أوصلها إلى حافة الضلال[1] .

وأثار هذه الفتنة في البلاد العربية :

توفيق صدقي ، إذ نُشر له مقالان في مجلة المنار في العددين ٧ ، ١٢ من السنة التاسعة ، أعلن فيهما رأيه تحت عنوان (الإسلام هو القرآن وحده) وأحمد أمين الذي حمل على السنة النبوية وانتقد أصول نقدها في كتابية : فجر الإسلام وضحى الإسلام . وإسماعيل أدهم في عام ١٣٥٣ هـ .

ثم جاء أبو رية الذي تسلَّم اللواء ونشر نتيجة بحثه في كتابه : أضواء على السنة المحمدية .

والعجيب في الأمر ، أن أسباب إحيائها من جديد ، كانت نفس الأسباب التي دعت الخوارج والمعتزلة إلى إنكار السنة ، أعني الإعجاب الشديد بالنظريات الأجنبية عن الإسلام ومحاولة صياغة الإسلام صياغة توافق تلك النظريات الدخلية .

وكان الاستشراق له دور عظيم في تكوينهم ، كما تبين لنا مما ذكر عن المستشرقين وأهدافهم ووسائلهم لبث الشبهات حول السنة . ولذلك نجد أن مصادر هؤلاء المنتسبين إلى الإسلام هي نفس المؤلفات التي أعدها المستشرقون

---

(١) راجع السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي للداعية الكبير الدكتور السباعي رحمه الله ، فإنه من أقدم من كتب في هذا ، ومكانة السنة في الشريعة الإسلامية للشيخ المودودي رحمه الله بالأردية / المقدمة .

لمحاربة السنة النبوية . فهم نقلوها إلى اللغات الإسلامية وزادوا عليها الأمثلة . وتباكوا أمام المسلمين وقالوا لهم إنكم إذا أردتم أن تصونوا الإسلام من الذل والهون فعليكم أن تقضوا على هذه الكتب التي تحتوي على ما يسمى بالسنَّة .

الفتنة في شبه القارة الهندية أقوى :

كما قلت آنفاً إنَّه ظهر في البلدان العربية أشخاص أثاروا الفتنة من وقت لآخر ولكنها أصبحت مؤامرة محبوكة في شبه القارة الهندية واتخذت طابع جماعة منظمة منذ أوائل هذا القرن .

نشأة فكرة أهل القرآن:

يقول شيخ الإسلام ثناء الله الأمرتسري : ما أشأم ذلك اليوم الذي ظهر فيه صوت عليكره المناوىء لجميع الأمة الإسلامية والداعي إلى الإعتماد على القرآن وحده في الدين ، والقائل بأن السنة لا تكون دليلا شرعيا .

وكان لهذا الصوت المشؤم تأثير عظيم على الحافظ محب الحق العظيم أبادي في مدينة بتنة بالهند . وعلى عبدالله جكرالوي في مدينة لاهور (باكستان)[١] .

وهذا الصوت هو صوت سيد أحمد خان : الذي ولد في دلهي عام ١٨١٧م وهلك عام ١٨٩٧م .

قال عنه صاحب نزهة الخواطر : كان سامحه الله قليل العمل لا يصلِّي ولا يصوم غالبا[٢] .

١ ـ بدأ أحمد خان بالتأويل في الغيبيات الواردة في أحاديث الرسول ﷺ[٣] .

٢ ـ ثم تدرج إلى إنكار السنة[٤] .

---

(١) مجلة أهل الحديث (بالأردية (صـ٣ عدد مارس ١٩٣٣م .

(٢) نزهة الخواطر جـ٨ صـ٣٠ .

(٣) مقالات جـ١ صـ١٢٨ .

(٤) مقالات جـ١ صـ٢٥٧ .

٣ ـ أنكر الأمور الخارقة للعادة، الواردة في السنة بحجة أنها مخالفة للقوانين الطبيعية والخلف غير وارد في القوانين الطبيعية[١].

٤ ـ أنكر أحاديث الجن[٢].

٥ ـ حاول التشكيك في السنة كلها، إذ قال: إن البُعد الزمني بين وفاة الرسول ﷺ وبين تدوين الأحاديث يفتح الباب على مصراعيه ليدخل إليها ما ليس منها[٣].

٦ ـ إنّ ما دُوِّن في مؤلفات الأحاديث، هي ألفاظ الرواة، وليس ما صدر من الرسول ﷺ[٤].

٧ ـ عاتب المحدثين على أنهم لم يفحصوا متون السنة مثل السند. وقال إن مساعي المحدثين لم تتجاوز توثيق الرواة أو جرحهم، بعد أن مضى على وفاتهم زمن طويل، ثم أعقب ذلك دور التحقيق عنهم. بحيث يكون هو العمدة في قبول الحديث ورده، فإن لم يكن هذا الأمر مستحيلا، فلا يخلو أن يكون في غاية الصعوبة[٥].

وعلى هذا المنوال جاء أحمد خان بشبه أخرى، وأثارها في كتبه ليخدع به عامة المسلمين وليجلب إلى تأييد قوله من في قلبه دغل أو دخل ضد الإسلام.

دور شراغ في ترسيخ أسس الفكرة:

وقد وجد أحمد خان في شخصية (المولوي شراغ على)[٦] أكبر من يدافع

---

(١) المصدر نفسه جـ١ صـ٣٢.
(٢) المصدر نفسه جـ١ صـ١٨١.
(٣) المصدر نفسه جـ١ صـ٢٣.
(٤) المصدر نفسه جـ١ صـ٤٩.
(٥) مقالات جـ١ صـ٤٩.
(٦) ولد سنة ١٨٤٤ وهلك في ١٥ يونيو ١٨٩٥م.

عن فكرته ويدعوا إليها. وهو الذي أوّل كلمة الجهاد وطعن في الأحاديث التي تحث على الجهاد[١].

وهو الذي قال: إن الأحاديث لم يصح منها إلا القليل، وجُلُّها فرضيات وأوهام للعلماء[٢].

وقال: إن معايير الصدق والأصول العقلية لا حاجة إليها لتمييز الحديث صحيحه من سقيمه، لأن الحديث في حَدِّ ذاته، شيء لا يمكن الإعتماد عليه[٣].

تأسيس جماعة أهل القرآن:

الأفكار التي نشرها السيد أحمد خان وشراغ على من بعده، كان لها الدور البارز في تأسيس حركة أهل القرآن. فالذين جاؤا من بعدهما تبنّوا أفكارهما ودعوا الناس إليها.

ففي سنة ١٩٠٢م برز عبدالله الجكرالوي، وبدأ نشاطه الهدام لإنكار السنة كلها، وفي نفس الفترة ظهرت شخصية أخرى في شمال شرقي الهند ألا وهو محب الحق العظيم آبادي، وشارك مع عبدالله الجكرالوي في تأسيس الحركة.

الاستعمار هو السبب لوجود الحركة:

ولا يخفى على من لديه إلمام بمؤامرات الاستعمار الإنجليزي في البلدان الإسلامية، أنه كلما دخل بلدا إسلاميا سعى للتفريق بين المسلمين واتخذ جميع السُبل الممكنة لهذا الغرض. ومن سوء مما وجدت في البلدان الإسلامية الأخرى. ففيها وُجدت القاديانية التي ظهر للعالم كله سوء طويتها وهدفها الخفي وهو

---

(١) تحقيق الجهاد صـ١٨٥، ٢٢١

(٢) تحقيق الجهاد صـ١٢١.

(٣) أعظم الكلام جـ١ صـ٢٠.

التفريق بين المسلمين.

والبريلوية التي لم تكن إلا غرسا للاستعمار، ولم تخلف أهدافها من الفتنة التي سبق ذكرها[١].

ثم أوجد الاستعمار فرقة أهل القرآن ليشغل المسلمين بزرع الخلافات بينهم والأفكار الغربية عن الإسلام. وقد اختار الاستعمار منهم أفراداً وجد فيهم الإنحراف عن الدين والتحلل عن المثل العليا، ليكونوا عملاء ينشرون هذه الأفكار بين المسلمين ويخدمون الأهداف المشبوهة للاستعمار.

ويمكن أن نمثل لهذا بالسير سيد أحمد خان الذي لقبه الإنجليز (بنجم الهند) ولقبوا نذير أحمد أحد أعضاء حركة أهل القرآن (بشمس العلماء). وكذلك عبدالله جكرالوي وأمثاله الذين ربّاهم الانجليز لخدمة أهدافهم حظوا بحظوظ وافرة دنيويه من الإنجليز.

الشُبَه التي أثارها أهل القرآن حول السنة:

أما الشُبه التي أثارها منكرو السنة في شبه القارة الهندية، فإنها كلها مأخوذة من كتب المعتزلة والمستشرقين. وهي تدور حول:

١ ـ عدم كتابة الحديث في عصر الرسول ﷺ، ولا في عصر الخلفاء الأربعة.

٢ ـ إن الصحابة أدركوا حقيقة نهي النبي ﷺ عن كتابة سننه لذلك نهوا عن كتابتها.

٣ ـ إن الأحاديث جُمعت أول مرة بعد مائة سنة من وفاة الرسول ﷺ. وقد فقدت تلك المجموعات ثم جمعت من أفواه الناس في القرن الثالث.

٤ ـ إن الأحاديث الموضوعة اختلطت بالأحاديث الصحيحة اختلاطا لا يمكن

---

(١) انظر كتابَي «القاديانية» و«البريلوية» للعلامة إحسان إلهي ظهير. صدرت طبعات كثيرة للكتاب الأول. وأما الثاني فقد صدر حديثا بمدينة الرياض.

بعده التمييز بين الصحيح والموضوع .

٥ ـ إن المعايير التي اختارها المحدثون لنقد الحديث لم تكن كافية لمعرفة الصحيح من المغشوش ، لأنها كلها تدور حول نقد السند ورجاله ، أما المتن فلم يحظى باهتمام المحدثين[١] .

هذه هي الشبه التي يثيرها منكرو السنة في أساليب مختلطة ويصوغونها في عبارات متنوعة في كل مكان .

وقد ردَّ عليها علماء السنة وألفوا عنها مؤلفات أشبعت الموضوع بحثا وتمحيصا وأثبتوا بأدلة واضحة وبراهين صريحة أن هذه الشبه ليست إلا نثر غبار في وجه الشمس وأنها لا تمت إلى الصدق والصحة بأية صلة .

وهذا بالإضافة إلى الكتب الجامعة التي صدرت في البلدان العربية ردا على هذه الشبه .

وسيأتي ذكر الكتب والمجلات التي اختصت بالرد على منكري السنة في البلاد الهندية . أما شبهة عدم اهتمام المحدثين بنقد المتن . (وهي التي اختص هذا الباب بالردِّ عليها) فقد بذلت جهدي المتواضع للردِّ عليها في بداية الباب الثاني . وسوف أتطرَّق لأقوال المنتسبين إلى الإسلام حول هذه الشبهة . ومنهم أولئك الذين أثاروا هذه الفتنة في شبه القارة الهندية وعند ذلك أرد على أقوالهم حسب الحال إن شاء الله .

الفتنة في هذه الأيام:

يبدو أن زعماء الفتنة بعد وجود باكستان انحصروا إلى المدن الباكستانية

---

(١) راجع مكانة السنة في الشريعة الإسلامية للشيخ المودودي صـ٣٤٢ ومؤلفات منكري السنة : مقام حديث لغلام أحمد برويز وبلاغ الحق وشاهكار رسالة ودواسلام لغلام جيلاني برق ومجلة إشاعة القرآن (جميع هذه الكتب بالأردية) .

وجعلوا من مدينة لاهور بالذات مركزا لنشاطاتهم وحركاتهم، وإن كانت الفلول الخاسرة بقيت في الهند.

وفيما يلي بيان الفرق الموجودة حاليا في باكستان[١].

١ ـ فرقة أهل الذكر والقرآن:

يرأسها في الوقت الحاضر: محمد علي رسول لكوي. وهي البقية الباقية من أصل فرقة عبدالله الجكرالوي، مؤسس جماعة أهل القرآن، ولها مركز متعددة في مدن باكستان، ولها مجلة تصدر في لاهور باسم (بلاغ القرآن) تنقل أفكار الفرقة إلى أتباعهم في أنحاء باكستان.

٢ ـ فرقة الأمة المسلمة:

وضع أسسها الخواجة أحمدالدين في أمرتسر بالهند. ثم انتقلت الفرقة إلى لاهور بعد وجود باكستان ١٩٤٧ م. وقد أصيبت بالخلاف بين أعضائها وكادت أن تنعدم، حتى شعر بعض أعضائها المخلصين في الآونة الأخيرة بضرورة إحياء الجماعة من جديد، فوضعوا الخطط اللازمة للعمل وأخذوا يتحركون من جديد. وتعتبر مجلة (فيض إسلام) ممثلة لوجهات نظر هذه الفئة. ولهم اجتماعات أسبوعية في مقرها الرئيسي بلاهور.

٣ ـ حركة تعمير البشرية (تحريك تعمير انسانيت):

فرقة حديثة العهد، إذ وُجدت قبل ثلاث أو أربع سنوات فقط. يرأسها

---

(١) انظر كتاب، فرقة أهل القرآن للشيخ خادم حسين. فقد بذل سعيا مشكورا لإبراز حقائق الفرق الموجودة حاليا في باكستان الداعية إلى إنكار السنة.

ويمولها المدعو/ عبدالخالق مالوه. ومن أنشط وأبرز أعضائها، القاضي كفاية الله الشاب المتحمِّس لهذه الدعوة، يجيد اللغات العربية والأردية والانجليزية كتابة، ويؤلف الكتب في تأييد الحركة والدعوة إليها. ومركز هذه الفتنة أيضا مدينة لاهور.

٤ ـ (فرقة طلوع إسلام):

أنشط فرق أهل القرآن الموجودة في هذه الأيام، وقد خف نشاطها من عهدها السابق بسبب فتوى الكفر التي أصدرها العلماء عن أفكار مؤسسها. قام بتأسيسها غلام أحمد برويز في الهند. ثم انتقل إلى باكستان بعد وجودها.
ولها فروع في كل مدينة من مدن باكستان. ولها فروع أيضا في المدن الأوروبية تتولى الدعوة إلى الأفكار التي يقدمها مؤسسها المدعو برويز المذكور.

ولها نفوذ في صفوف المثقفين، ولاسيما بين أولئك الذين يرغبون البقاء تحت الدوحة الإسلامية مع تلبية رغباتهم الجامحة!.

ولها مجلة ناطقة باسمها وهي مجلة (طلوع إسلام) تنشر أفكار الفئة منذ بضع وأربعين سنة. ومركزها الرئيسي: مدينة لاهور.

ويقال: إن أتباعها يبلغون بضعة ملايين شخص. وقد يكون هذا العدد مبالغا فيه. ويُعتبر برويز أكثر أهل القرآن كتابة وتأليفا. فقد تجاوزت مؤلفاته الثلاثين كتابا. وبعضها في ثلاث أو أربع مجلدات، بالإضافة إلى المقالات والرسائل الصغيرة التي صدرت له حتى الآن.

وفي سنة ١٩٦١م أجرى المسؤلون في المدرسة العربية الإسلامية بكراتشي استفتاء عاما، أرسلوه إلى العلماء في باكستان والهند وبلاد الشام والحجاز ذكروا فيه أفكار برويز، وطلبوا حكم الإسلام فيمن يحملها. فأفتى أكثر من ألف عالم بكفر صاحبها وخروجه عن الإسلام.

علماء السنة يتصدون للفتنة:

ولقد كان علماء السنة في المرصاد لهذه الفتنة الجديدة بين المسلمين في البلاد الهندية منذ أن وُجدت، فخطبوا في المساجد وبينوا للمسلمين حقيقة هذه الفئة ونشروا في الجرائد والمجلات وألفوا كتبا في الرد على هذه المزاعم.

ومن أشهر أولئك العلماء: الشيخ عبدالله البتالوي، الذي وقف مجلته: (إشاعة السنة) للرد على هذه الفئة. وهو الذي جمع الأفكار الشاذة لهذه الفئة. وأجرى استفتاءاً عاماً حولها، وطلب من العلماء بيان موقف الإسلام فيها، فأفتى العلماء بكفر عبدالله جكروالوي. ونشرت مجلة إشاعة السنة عشرات التوقيعات لعلماء الإسلام الذين صادقوا على الفتوى المذكورة.

والشيخ ثناء الله الأمرتسري رحمه الله الذي نشر عشرات المقالات في (مجلة أهل الحديث) الصادرة في أمرتسر رداً على هذه الفئة وأفكارها.

وفيما يلي ذكر بعض المجلات والكتب (بالأردية) التي تصدت للفتنة وكشف عوارها:

١ ـ مكانة الحديث في الأحكام الشرعية للشيخ محمد إسماعيل السلفي.
٢ ـ مكانة السنة في الشريعة الإسلامية للشيخ أبو الأعلى المودودي.
٣ ـ تفهيم الإسلام للشيخ مسعود أحمد.
٤ ـ حجية الحديث واتباع الرسول للشيخ ثناء الله الأمرتسري.
٥ ـ حجية الحديث للشيخ محمد ادريس الكاندهلوي.
٦ ـ نصرة الحديث للشيخ حبيب الرحمن الأعظمي.
٧ ـ تدوين الحديث للشيخ مناظر أحسن جيلاني.
٨ ـ تاريخ تدوين الحديث للدكتور محمد زبير الصديقي.
٩ ـ مظاهر وخلفيات فتنة إنكار الحديث للشيخ افتخار أحمد.

١٠ ـ إنكار السنة فتنة ومؤامرة بروفيسور محمد عرفان .
١١ ـ القول الفيصل ماهر القادري .
١٢ ـ القرآن والحديث للشيخ محمد طيب .
١٣ ـ نظرة عابرة على فتنة إنكار الحديث للشيخ احتشام الحق آسيا آبادي .
١٤ ـ حديث الرسول ﷺ في ميزان القرآن للشيخ محمد طيب .
١٥ ـ نتائج إنكار السنة للشيخ محمد سرفراز خان .
١٦ ـ إنكار السنة ، حق أو باطل للشيخ صفى الرحمن الأعظمي .
١٧ ـ ترجمة معاني القرآن الكريم للشيخ ثناء الله الأمرتسري .
١٨ ـ مجلة أهل الحديث ، أمرتسر للشيخ ثناء الله الأمرتسري .
١٩ ـ مجلة الإعتصام ، لاهور للشيخ عطاء الله حنيف .
٢٠ ـ مجلة إشاعة السنة للشيخ عبدالله البتالوي .

❋❋❋❋❋❋
❋❋❋❋

الباب الثالث

الفصل الأول / الفصل الثاني

مزاعم المستشرقين وأتباعهم حول نقد المتن:

المستشرق نيكولاس وزعمه الباطل .
السير وليم ميور وإدعاءاته .
المستشرق اسبرنجر وأقاويله .
جولدزيهر ووجهة نظره الخاطئة .
المستشرق الإيطالي كايتاني ورأيه .
شاخت وأكاذيبه .
كلام أحمد أمين عن نقد المتن .
كلام أبي رية عن نقد المتن .
أحمد زكي أبو شادي وافتراؤه .
إسماعيل أدهم وافتراؤه .
السير سيد أحمد خان ورأيه في نقد المتن .
شراغ علي ورأيه .
القاضي محمد شفيع وأفكاره .
الرد على زيهر وكايتاني وشاخت .
الرد على أحمد أمين .
الرد على أبي رية وأبي شادي إسماعيل أدهم .

مزاعم المستشرقين وأتباعهم حول نقد المتن

لعلِّي لا أغالي إذا قلت : إن المباحث التي تطرقت لها في مبحث نقد المتن عند بداية الباب الثالث، فيها الكفاية لإبراز مدى اهتمام المحدثين بنقد المتن. فقد أثبت هناك أن المضمون هو الذي كان يعني الأئمة النقاد من المحدثين. وقد وفيت الموضوع حقه حسب قدرتي وتطرقت لكل جزئية من الموضوع، بالإضافة إلى ما جئت به في المقصد الخامس من المدخل وهو بيان الخطوات التي سار عليها النقاد في النقد الحديث، فقد ذكرت فيه أن المحدثين اعتنوا بدراسة حال المروي تماما كما اعتنوا بدراسة حال الراوي. ولذلك حديثي عن شبهات المستشرقين وأتباعهم حول نقد المتن يكون لبيان أبرز المستشرقين ومنكري السنة من المنتسبين إلى الإسلام وكشف تواطئهم على الكذب ونقل هذه الشبه، بعضهم من البعض، من دون أن يراعوا الأمانة العلمية أو يراجعوا أنفسهم عند الإطلاع على الردود الدامغة من علماء السنة.

ثم أتطرق بحول الله وقوته لنماذج من الأحاديث التي زعموا نقدها متنا مع بيان جهلهم أو تجاهلهم للحقيقة، حتى يمكن للقارىء أن يقيس عليها الأحاديث الأخرى التي لا يسع المقام لذكرها كلها. ويتيقن في نفسه أن الإناء لا يترشح إلا بما فيه. فالكذاب والمخدوع لا يرجى منه إلا الكذب والخداع والزور والبهتان. فلننظر جميعا ماذا زعم المستشرقون عن نقد المتن.

١ ـ يقول نيكولاس، بي، أغناندس: NICOLAS P. AGHNIDES

في كتابه (النظريات المحمدية في الإقتصاد) باللغة الإنجليزية: إن المحدثين تجاهلوا تماما المحتوى، وأصبح جُلّ اهتمامهم باتصال السند إلى الرسول ﷺ، فالحديث الذي سنده متصل يعتبر صحيحا[١].

---

(١) انظر لمحات عن الحديث النبوي صـ٤٩، GLIMPSES OF THE HADITH.P.49,50.٥٠

قلت: هذا بعيد عن الصدق وخلاف للواقع: لأن نقد المحدثين شمل السند والمتن. وهذا هو المعقول، لأن كل حديث يشمل السند والمتن فكيف يعقل أن النصف يختبر والنصف الثاني لا يُنظر فيه. لا شك أن الجزء الأول كان ينظر إليه أولا، لأن السند إذا كان صحيحا، ولا يخاف من أحد رجاله الوضع في الحديث أو الكذب، فبطبيعة الحال يكون المتن صحيحا لأنه لو لم يكن صحيحا لما تحمل الراوي الثقة وزر رواية الأكاذيب. فالواقع أن كل راو نظر في السند نظر في المتن وتأكد من صحته قبل أن يرويه فتم النظر في المتن مرات عديدة قبل أن يدون في الكتب.

٢ ـ ويقول السير وليم ميور، في كتابه: (حياة محمد) بالإنجليزية لقد اتضحت لنا طرق النقد التي اتخذها المحدثون، والشدة التي جعلوها نصب أعينهم حتى أسقطوا ٩٩٪ من الأحاديث. ولكن الأوروبيين ينخدعون إذا ظنوا أن هذا النوع من النقد ـ رغم ما فيه من الشدة ـ كان كافيا لمعرفة حقيقة الأحاديث. إنهم كان يكفيهم لصحة الحديث أن يكون رواته عدولا مع اتصال السند إلى صحابي ولو كان المضمون يستبعده العقل. إنهم لم يخوضوا غمار النقد بحرية وشمول. بل أصبحوا متمسكين بتلك القاعدة الوحيدة، ولم يجرؤا على نقد الحديث بناء على الشهادات الداخلية[١].

ولا يخفى على من لديه إلمام بعلوم الحديث أن كلامه هذا دليل واضح على أنه لم يعرف من دراية الحديث شيئا، أو أنه تجاهل لإشباع هواه من التشكيك في السنة النبوية وليت لديه ولدي أتباعه عقولا منصفة حتى أُخبرهم أن الأصول الحديثية التي تعود إلى دراية الحديث أوصلها المحدثون إلى مائة وزيادة.

إن المحدثين راعوا في نقدهم للأحاديث تلك القواعد، بالإضافة إلى فحص السند، فإذا وجدوا الحديث مطابقا لتلك القواعد كلها قالوا عنه إنه صحيح،

---

(١) تاريخ الحديث باللغة الأردية صـ١٥٩ نقلاً من كتاب.LIFE OF MOHAMMED

وإن اختل شرط من الشروط حكموا عليه بما اصطلح عليه المحدثون لبيان حاله من الضعف أو الوضع أو غيرهما .

٣ ـ ويقول الدكتور اسبرنجر : (الأصول والقواعد التي راعها البخاري لا يمكن أن يسمى نقدا . إنه كان ينظر إلى سلسلة الرواة فقط ، فإن لم تكن منقطعة ، نظر في أحوال الرواة وسلوكهم) .

يقول : وكان له قاعدة أخرى وهي أنه كان يرد كل حديث لم يكن يوافق آراءه المتعصبة . فردُّه للأحاديث لا يعني أبدا أنه حديث غير صحيح . ولكنه يتميز بأنه لم يكن يقلد مذهبا معينا في الفقه ، بل كان يعتمد فقط على صحة الأحاديث المزعومة وعلى عدالة الرواة[١] .

وقد تجاهل اسبرنجر أصول الدراية التي كان المحدثون يلتزمونها . والإمام البخاري من أخص المحدثين الذين راعوا هذا الجانب في نقد الحديث واختياره قبل أن يدخله في الصحيح . وهو لم يقصد استيعاب جميع الأحاديث الصحيحة . وهذا معروف عند طلبة علم الحديث .

قال الحافظ الحازمي : وأما البخاري فلم يلتزم أن يُخرّج كل ما صح عنده من الحديث ، إنه قال : لم أخرج في هذا الكتاب إلا صحيحا ، وما تركت من الصحيح أكثر[٢] .

وقال : ما أدخلت في كتاب الجامع إلا ما صح . وتركت من الصحاح مخافة الطول[٣] .

٤ ـ وقال جولد زيهر : ومن السهل أن يفهم أن وجهات نظرهم في النقد ليست كوجهات النظر عندنا ، التي تجد لها مجالا كبيرا في النظر في تلك الأحاديث التي

---

(١) تاريخ الحديث باللغة الأردية ١٥٧ ، ١٥٨ .
(٢) شروط الأئمة الخمسة صـ٤٧ .
(٣) تدريب الراوي صـ٤٧ وفتح المغيث جـ١ صـ١٧ .

اعتبرها النقد الإسلامي صحيحة غير مشكوك فيها، ووقف حيالها لا يحرك ساكنا[١].

٥ ـ ولعل أسبق من تصدى للإضافة في هذا الأمر، هو المستشرق الإيطالي (كايتاني) فقد عقد فصلا في الجزء الأول من كتابه (الحوليات الإسلامية) عنوانه (ملاحظات نقدية عن القيمة التاريخية لأقدم ما روي من السنة عن شئون الرسول).

وفيه قال: كل قصد المحدثين ينحصر ويتركز في واد جدب ممحل من سرد الأشخاص الذين نقلوا المروي: ولا يشغل أحد نفسه بنقد العبارة، والمتن نفسه.

وقال: لكن إذا كان الإسناد كامل النظام محتويا أسماء حسنة، أُستبعد كل اشتباه وسوء ظن.

وقال: سبق أن قلنا: إن المحدثين والنقاد المسلمين لا يجسرون على الاندفاع في التحليل النقدي للسنة إلى ما وراء الإسناد، بل يمتنعون عن كل نقد للنص، إذ يرونه احتقاراً لمشهوري الصحبة وقحة ثقيلة الخطر على الكيان الإسلامي. . إذا كان الإسناد من الصحابي في النهاية حتى مؤلف المجموع الحديثي (بخاري ومسلم مثلا) كان الأساس قويا، وصار نص السنة قسما من النص الالهي، ولهذا لا يناقش، فإن كان الإسناد على غير نظام كان النص تقريبا كذلك، ولا يمكن اعتباره موثوقا به، ولذا فأيّ امتحان له غير مفيد من هذا الارتباك الغريب، ومن ذلك الخلط بين الإنساني يعني به السند ـ والإلهي ـ يريد به السنة المروية نشأت كل الأغلاط في السنة الإسلامية[٢].

---

(١) العقيدة والشريعة صـ٤١، ٤٢.

(٢) راجع تعليق الخولي علي أصول الفقه لشاخت صـ٦٥ ـ ٦٧ مأخوذ من كتاب: الحوليات الإسلامية لكايتاني ANNALI DELL'S ISLAM

٦ ـ **وقال شاخت** : وتخلصوا من المتناقضات التي ظهرت بالطبع في الحديث أكثر من ظهورها في القرآن بنفس الوسيلة التي اتبعوها في التخلص من المتناقضات التي وردت في القرآن . وكذلك بواسطة نقد الإسناد . ومن المهم أن نلاحظ أنهم أخفوا نقدهم لمادة الحديث وراء نقدهم للإسناد نفسه[١] .

مزاعم المنتسبين إلى الإسلام حول نقد المتن:

ومن المؤسف أن جماعة من المثقفين المسلمين نقلوا هذه الآراء عن أساتذتهم المستشرقين وتحمسوا لإذاعتها في بحوثهم ودراساتهم . وفي طليعة هؤلاء :

١ ـ **أحمد أمين** : فقد تحدث في كتابه (فجر الإسلام) عن الحديث والسنة ومزج السم بالدسم وخلط الحق بالباطل ، وحرّف حقائق الإسلام الثابتة وتحامل على جماعة من كبار الصحابة والتابعين .

وقال عند الكلام عن نقد المتن : وقد وضع العلماء للجرح والتعديل قواعد ليس هنا محل ذكرها . ولكنهم (والحق يقال) عنوا بنقد الإسناد أكثر مما عنوا بنقد المتن ، فقل أن تظفر منهم بنقد من ناحية أن ما نسب إلى النبي ﷺ لا يتفق والظروف التي قيل فيها ، أو أن الحوادث التاريخية الثابتة تناقضه ، أو أن عبارة الحديث نوع من التعبير الفلسفي يخالف المألوف في تعبير النبي ، أو أن الحديث أشبه بشروطه وقيوده بمتون الفقه ، ولن تظفر منهم في هذا الباب بعُشر من معشار ما عنوا به من جرح الرجال وتعديلهم ، حتى نرى البخاري نفسه على جليل قدره ودقيق بحثه يثبت أحاديث دلّت الحوادث الزمنية والمشاهدة التجريبية على أنّها غير صحيحة لاقتصاره على نقد الرجال[٢] .

وقال أيضا : وفي الحق إن المحدثين عنوا عناية تامة بالنقد الداخلي . . .

---

(١) انظر أصول الفقه لشاخت صـ٦٣ ـ ٦٤ .

(٢) فجر الإسلام صـ٢٦٧ ، ٢٦٨ .

ثم قال: ولكنهم لم يتوسعوا كثيرا في النقد الداخلي، فلم يعرضوا لمتن الحديث: هل ينطبق على الواقع أم لا[١].

٢ ـ وهذا أبو رية، يقول في أول كتابه:

وطريقة هذه الفئة التي اتخذتها لنفسها قامت على قواعد جامدة لا تتغير ولا تتبدل فترى المتقدمين منهم، وهم الذين وضعوا هذه القواعد قد حصروا عنايتهم في معرفة رواة الحديث والبحث ـ على قدر الوسع ـ في تاريخهم، ولا عليهم بعد ذلك إن كان ما يصدر عن هؤلاء الرواة صحيحا في نفسه أو غير صحيح، ومعقولا أو غير معقول، ذلك بأنهم وقفوا بعلمهم عند ما يتصل بالسند فحسب، أما المعنى فلا يعنيهم من أمره شيء[٢].

٣ ـ ويقول أحمد زكي أبو شادي:

وهذه سنن ماجه والبخاري، بل وجميع كتب الحديث والسنة طافحة بأحاديث وأخبار لا يمكن أن يقبل صحتها العقل ولا نرضى نسبتها إلى الرسول، وأغلبها يدعوا إلى السخرية بالإسلام والمسلمين وبالنبي الأعظم والعياذ بالله[٣].

٤ ـ ويقول إسماعيل أدهم:

الأحاديث الموجودة في الصحيحين ليست ثابتة الأصول والدعائم بل هي مشكوك فيها ويغلب عليها صفة الوضع[٤].

وهذا هو شأن منكري السنة في القارة الهندية: ولا غرابة، فهؤلاء الأعداء للسنة النبوية ينهلون من منهل واحد ويصدرون من مصدر واحد.

٥ ـ فهذا السير السيد أحمد خان يعاتب المحدثين على تقصيرهم عدم

---

(١) ضحى الإسلام جـ٢ صـ١٣٠ ـ ١٣١.
(٢) الأضواء على السنة المحمدية صـ١٧.
(٣) كتاب ثورة الإسلام له / ص / ٤٤.
(٤) انظر السنة ومكانتها في التشريع للدكتور السباعي رحمه الله / ص / ٢١٣.

تمحيصهم للمتون مثل الأسانيد[١].

٦ ـ **ويقول شراغ علي**: إن الأحاديث لم يصح منها إلا القليل، بل جُلُّها فرضيات وأوهام للعلماء أو أنها دلائل قياسية واجتماعية[٢].

ويقول: مهما قوي سند الحديث، لا يمكن الاعتماد عليه[٣].

٧ ـ **وقال القاضي محمد شفيع**: كثير من الأحاديث يشبه الأدب الجنسي[٤].

وليس الغرض استيعاب أسماء جميع المستشرقين وأتباعهم من المنتسبي إلى الإسلام وسرد أقوالهم، فإنها كثيرة ومتنوعة الأسلوب. وإنما المقصود هو بيان الدسيسة التي راجت بين أعداء الإسلام واتفاقهم على نشرها وإذاعتها في كتبهم لإغواء المثقفين العصريين من المسلمين.

الرد على زيهر وكايتاني وشاخت:

وأقول ردًّا على ما زعمه جولد زيهر وكايتاني وشاخت (وإن كان فيما ذكرته حتى الآن كفاية).

١ ـ إن المحدثين أعطوا ألقابا اصطلاحية للأحاديث، هي صفات خاصة بالمتن دون السند، مثل الحديث الشاذ والمقلوب، والمضطرب ومدرج المتن والمحرف والمصحف ونحوها من الاصطلاحات. (راجع مبحث العلة في المتن في الباب الثالث فهناك بحث لهذا الموضوع).

٢ ـ المحدثون وضعوا قواعد لنقد المتن، تصل من الحرية العقلية إلى حد

---

(١) مقالات جـ١ صـ٢٣.

(٢) تحقيق الجهاد صـ١٢١.

(٣) أعظم الكلام جـ١ صـ٢٠.

(٤) انظر مكانة السنة التشريعة للشيخ المودودي (بالأردية) ص/ ٣٧٨ وما بعدها.

بعيد. وأحيانا روعيت فيها اعتبارات عقلية صرفة، وحينا معان أدبية فنية. وحيناً تعتمد هذه القواعد على مقررات شرعية فقد قالوا:

أ ـ كل خبر يناقض صريح العقل حيث لا تأويل فهو باطل.

ب ـ من المعاني الفنية أن المحدثين اعتبروا ركاكة لفظ الحديث أو ركاكة معناه سببا لنقده.

جـ ـ ومن الإعتبارات الدينية، أن عدّوا من علامات الوضع: مخالفة القرآن أو السنة المتواترة أو الإجماع القطعي[1].

٣ ـ نقدوا المتون بالفعل مطلقا على الأصول النظرية السابقة التي قرروها. وقد مرت أمثلة كثيرة فيما مضى من المباحث.

أفيقول كايتاني بعد هذا: إن المحدثين لم يجرؤا على الاندفاع في النقد إلى ما وراء السند. أو يقول شاخت: إنهم أخفوا نقدهم لمادة الحديث وراء نقدهم للسند؟

٤ ـ ولئن كان أصحاب علم الحديث دراية قد أصابوا من نقد المتن، ووضعوا قواعده فليس عندهم وحدهم يلتمس نقد المتن، بل إن ذلك يكثر عند النظر في محتويات الحديث ومشتملات متنه. وهذا عمل العلم الثاني من علوم الحديث، وهو علم الحديث رواية، الذي يصون عن الخطأ في نقل ما أُضيف إلى النبي ﷺ ويبين كيفية الاقتداء به في أفعاله.

٥ ـ على أنه يجب قبل الحكم على المتن أن يلاحظ ما يأتي:

أ ـ إن نقد السند خطوة أولى بطبيعتها، إذ ليس للشهادة قيمة إلا إذا كان الشاهد ثقة، والرواية والشهادة صِنوان في هذا. فإذا ما توفر مثل عناية القوم بنقد السند ودقة ما اشترطوه في الراوي من ضبط ويقظة، وصلاح وبراءة من الهوى، فقد صارت الحاجة إلى نقد المتن قليلة بطبيعتها. (راجع ما كتبته

---

(١) شرح النخبة صـ ١٢٦، ١٢٧.

عن أن نقد السند هو الأهم) ولعلنا لا نجد متنا خليقا بالثقة، إلا وسنده أخلق بذلك .

ب ـ إنّ ما يمس الأمور الدينية لا يرجع في نقده إلى أساليب التجربة والتحليل، لأن طبيعته لا تقبل ذلك ولا يُمكّن منه. فهو يمس أمورا غير مادية، وقد ينتهي إلى غيبي وغير منظور. وإن رجع النقد فيه إلى اعتبارات نظرية محضة، فهي غير محدودة. ولا يقف الخلاف فيها عند حد، ولا يهون الاتفاق عليها. بل إنها لا تنضبط انضباط نقد السند والأصول التي نيط بها. فوجب لذلك أن يكون نقد المتن ثانوي المركز بعد نقد السند[١].

جـ ـ ثم إن نقد المتن من كل واحد. إنما يقبل ذلك ممن تضلع في معرفة السنن الصحيحة واختلطت بلحمه ودمه. وصار له فيها مَلَكَة، وصار له اختصاص شديد بمعرفة السنن والآثار، ومعرفة سيرة الرسول ﷺ وهديه فيما يأمر به وينهى عنه، ويخبر عنه، ويدعوا إليه، ويحبه ويكرهه ويشرعه للأمة، بحيث كأنه مخالط للرسول ﷺ كواحد من أصحابه[٢].

يقول الشيخ المودودي رحمه الله: يجب أن لا يغرب عن بال أحد أن الدراية المرعية في نقد الحديث إنما هي دراية الذين قضوا أعمارهم في فهم القرآن والسنة ودراسة الفقه الإسلامي، فأصبحوا لممارسة طويلة كالجوهري الذي أصبحت لديه البصيرة في معرفة الخالص من المغشوش. . . إننا لا نستطيع أن نمنع أحدا من استعمال عقله أو أن نضع الأقفال على لسان أحد، ولكن الأمة الإسلامية لا يمكن أن توفق الجهلة في العلوم الإسلامية على قبول حديث أو رفض الآخر، حسب المعايير الأجنبية التي استوردوها من

---

(١) راجع تعليق الخولي على أصول الفقه لشاخت صـ٧٩.

(٢) المنار المنيف/ ٤٤.

عند أعدائنا[١].

الرد على أحمد أمين:

إذا رجعنا إلى ما ذكره أحمد أمين في كتابيه الفجر والضحى، تبين لنا أنه:

١ ـ نقد القواعد والأصول التي وضعها المحدثون لنقد الحديث.

٢ ـ نقد حديثين وردا في صحيح البخاري.

أما الرد على نقده للحديثين فقد استوفاه بحثا ومناقشة عدد من العلماء الذين تكلموا على الأحاديث التي تعرض لها المستشرقون وأتباعهم فلا حاجة لإعادة الكلام[٢].

وأما نقده للأصول النقدية لدى المحدثين، فأقول، وبالله التوفيق:

١ ـ إن المحدثين من شدة اهتمامهم بنقد المتن، وضعوا ثماني علامات لنقد المتن، بينما وضعوا أربعا فقط لنقد السند[٣].

٢ ـ قالوا: إنه لا تلازم بين صحة السند وصحة المتن. وإن السند، قد يكون صحيحا دون المتن، لما فيه من شذوذ أو علّة[٤].

٣ ـ قالوا: لا يمكن الاعتماد على النظر في المتن وحده. وقد حاول بعض المتغرضين أن يرفضوا المتون الصحيحة لمجرد استدلالهم بأهوائهم[٥].

٤ ـ القرارات التي اتخذها النقاد حول الرواة وعدم قبول رواياتهم لم تكن نتيجة النظر في أحوالهم الشخصية الفردية، وإنما كانت نتيجة بعيدة المدى

---

(١) مكانة السنة التشريعة (بالأردية) صـ٥٩، ٦٠.

(٢) انظر السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي للداعية الكبير الدكتور السباعي رحمه الله من صـ٢٧٩ إلى صـ٢٨٩.

(٣) انظر الباعث الحثيث صـ٩ والمنار المنيف صـ١٢٠ والتدريب صـ١٨٠.

(٤) راجع علوم الحديث صـ٣٥، ٩٢.

(٥) راجع دراسات في الحديث النبوي صـ٤٥.

وعميقة الجذور للنظر في المتون الغريبة التي رويت بواسطتهم[١].

وأما القواعد التي ذكرها أحمد أمين زعما منه أن المحدثين لم يراعوها فهي نتيجة لجهلة بالأصول التي ذكرها المحدثون، أو أنه تجاهل منه بالحقائق[٢]، وفيما يلي بيانه:

قال أحمد أمين:

يجب النظر، هل يتفق ما نُسب إلى النبي ﷺ مع الظروف التي قيل فيها.

قلت: هذه علامة من علامات الوضع في المتن. وقد اشتهر مثالا لهذا، حديث وضع الجزية عن أهل خيبر، وأن المحدثين لم يقبلوه لوجود شهادة فيه على لسان سعد بن معاذ وقد مات قبل خيبر بسنتين. وكتابة معاوية بن أبي سفيان وهو لم يسلم إلا زمن الفتح.

وقد بزق عليه ابن تيمية، وقال: هذا كذب من عدة أوجه. ذكرها ابن القيم[٣].

وقال: وهل الحوادث التاريخية تؤيده؟

قلت: وهذا أيضا مردود بنفس الكلام الذي مَرّ بنا الآن. فهو عند المحدثين علامة من علامات الوضع في المتن.

وقال: ويجب النظر أيضا. هل هذا الحديث نوع من التعبير الفلسفي يخالف المألوف عن النبي ﷺ.

قلت: وهذا دخل تحت الركاكة اللفظية. وضابطه، كما قال ابن حجر: المدار في

---

(١) انظر مقدمة مسلم صـ٧ وعلوم الحديث صـ٩٥.

(٢) انظر تاريخ تدوين حديث (بالأردية) صـ٨٤ ـ ٩٠ والمنار المنيف برمّته. وانظر لزاماً ما كتبته عن علامات الوضع في المتن (الفصل الثالث من الباب الثاني).

(٣) راجع المنار المنيف صـ٣٧ ـ ٣٨ والإعلان بالتوبيخ صـ١٠ والفصل الثالث من الباب الثاني من هذه الرسالة.

الركاكة على ركاكة المعنى، فحيثما وجدت دلت على الوضع، وإن لم ينضم إليه ركاكة اللفظ، لأن الدين كله محاسن، والركاكة ترجع إلى الرداءة، أما ركاكة اللفظ فقط فلا تدل على ذلك، لاحتمال أن يكون رواه بالمعنى، فغير ألفاظ بغير فصيح[١].

وقال: ويجب النظر أيضا: هل الحديث أشبه بشروطه وقيوده بمتون الفقه.

قلت: لقد اشترط المحدثون لصحة الحديث أن لا يكون المروي موافقا لمذهب الراوي المتعصب. وقد ردوا أحاديث كثيرة في العقائد لأنها مذاهب الرواة. وكذلك ردوا أحاديث كثيرة في الفقه لنفس السبب. مثل حديث المضمضة والاستنشاق ثلاثا للجنب فريضة، ومثل إذا كان في الثوب قدر الدرهم من الدم غسل الثوب وأعيدت الصلاة[٢].

الرد على أبي ريّة:

وأما قول أبي رية: إن المحدثين وقفوا بعلمهم عند ما يتصل بالسند فحسب أما المعنى فلا يعنيهم من أمره شيء[٣].

وقول أحمد زكي أبي شادي: إن كُتب الحديث والسنة طافحة بأحاديث وأخبار لا يمكن أن يقبل صحتها العقل[٤].

وقول الآخرين أمثالهما من أذناب المستشرقين وتلاميذهم.

فقد قلت في المقصد الخامس من التمهيد: إن المحدثين لم يخطوا خطوة في مسائل النقد إلا وكان العقل مسايراً لهم ومؤيداً لقواعدهم النقدية، فقد راعوا

---

(١) الباعث الحثيث صـ٩٠.

(٢) تنزيه الشريعة المرفوعة جـ٢ صـ٦٧.

(٣) الأضواء على السنة المحمدية صـ١٧.

(٤) كتاب ثورة الإسلام صـ٤٤.

العقل عندما سمعوا الأحاديث، وراعوه عندما حدّثوا بها، وعندما حكموا على الرواة بالتوثيق والتضعيف، وكذلك عندما حكموا على الأحاديث.

وقلت: نقلا عن المعلمي: إن المحدثين راعوا العقل في أربعة مواطن عند السماع وعند التحديث وعند الحكم على الرواة وعند الحكم على الأحاديث[١].

وأبو ريّة بنفسه ذكر تحت عنوان: (هل يمكن معرفة الموضوع) أن المحدثين ذكروا أمورا كلية يعرف بها أن الحديث موضوع. فذكر جميع ما يتعلق بالمعنى، نقلا عن المحدثين[٢] ونقل كلام ابن القيم حول الضوابط التي يمكن بمراعاتها معرفة الحديث الوضوع.

كما نقل كلام ابن دقيق العيد: أن المحدثين كثيرا ما يحكمون بالوضع باعتبار أمور ترجع إلى المروي وألفاظ الحديث[٣].

وقد جمع المحدثون الأخبار التي يردها العقل الصريح وما يقرب منها، في كتب الموضوعات، وما ذكر فيها من الأحاديث فلن تجد لها أسانيد متصلة إلا وفي رجاله ممن جرحه أئمة الحديث. رجل أو أكثر[٤].

فإن قال أبو رية وجماعته: إن مصححي الأحاديث لم يراعوا ذلك.

قلت: المتثبتون كالبخاري ومسلم راعوا ذلك. وإن كان في كل منهما أحاديث يسيرة انتقدها بعض الحفاظ. ومرجع ذلك، إمَّا إلى اختلاف النظر، وإما إلى اصطلاح لهما يغفل عنه المنتقد، وإما إلى الخطأ الذي لا ينجو منه بشر. وقد انتقدت عليهما أحاديث من جهة السند، فهل يقال لأجل ذلك أنهما لم يراعيا

---

(١) راجع المقصد الخامس من المدخل من هذه الرسالة والأنوار الكاشفة صـ٦، ٧.
(٢) الأضواء صـ١٤٠.
(٣) المصدر نفسه صـ١٤١، ١٤٢.
(٤) الأنوار الكاشفة صـ٩، ١٠.

هذا أيضا[١].

ثم إن انتفاء الموانع الظاهرة كمناقضة العقل الصريح ونحوه إنما يفيد إمكان الصحة، ثم يحتاج بعد ذلك إلى النظر في السند. فإن كان موثق الرجال ظاهر الاتصال قيل: صحيح الإسناد. ثم يبقي احتمال العلة القادحة بما فيه من الشذوذ الضار والتفرد الذي لا يحتمل. والنظر في ذلك لا يقوم به إلا من كان له فهم ثاقب وحفظ واسع ومعرفة تامة بالأسانيد والمتون وأحوال الرواة. وهذه درجة لا تنال- كما قال المعلمي -بمجهود أبي رية ولا بأضعاف أضعافه[٢].

نماذج من الأحاديث التي انتقدوها- على زعمهم -متنا

تعرض جولدزيهر، في مبحث تطور الفقه، من كتابه: (العقيدة والشريعة في الإسلام) لوجهات نظر المحدثين في النقد، وقال: إنها ليست كوجهات النظر عندنا، التي نجد لها مجالا كبيرا في النظر في تلك الأحاديث التي اعتبرها النقد الإسلامي صحيحة غير مشكوك فيها. وفي هذا الصدد ذكر أحاديث؛

١ ـ منها: حديث « **إنما الأعمال بالنيات** ». وقال: قد ارتفع شأن هذا الحديث إلى أن صار فكرة تسيطر على كل الأعمال الدينية.

وقال: وهو حديث متأخر، ظهر (صدى) لاقتناع المؤمنين بذلك، وعلامة على قيمة أعمالهم الدينية.

٢ ـ **وكذلك حديث: « لا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل، حتى أحبه، فإذا أحببته، كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي عليها »**

قال: وليس هذا فيما يظهر (يعني حسب ظاهره) موضوعا. بل إنه متفق

---

(١) الأنوار للمعلمي صـ٩.

(٢) راجع المصدر نفسه صـ١١ ـ ١٢.

عليه من كبار العلماء حيث يوجد في الأربعين حديث . وذلك هو الحديث القدسي .

وقد هاجم الأحاديث بصفة عامة ، وزعم مكابرا أنها مجموعات لأقاويل المتقدمين والمتأخرين حسب ما اقتضت ظروف الإسلام في عصور مختلفة .

ثم قال : وكل الأحاديث يرجعها أصحابها إلى الرسول بواسطة سلسلة متصلة إلى الصحابي .

والنقدة المسلمون أنفسهم ، لم يحتاجوا إلى استعمال كثير من الذكاء لكي يستشفوا ، أساس هذه الاختلافات ، التي لا تتفق وظروف الزمان الموجودة في تلك الأخبار ، التي تستدعي النظر والتفكير ، أو تلك التهم الموجهة إلى صحة قسم كبير من الحديث عند مقارنة هذه الأخبار المختلفة[١] .

وقبل أن أرد على مزاعمه الباطلة وشبهات الآخرين من المستشرقين وأتباعهم حول الأحاديث التي سوف أتعرف لها في الصفحات الآتية ؛ أقول : إن المحدثين نهجوا في نقدهم للأحاديث منهجهم المعهود المتضمن نقد السند والمتن ، وإن نقد المتن لم يقبلوه من كل واحد ، بل من المتضلع في معرفة السنن الصحيحة ، الذي صار له فيها مَلَكة ، وصار له اختصاص شديد بمعرفة السنن والآثار[٢] وأقول رداً على زيهر :

إن هذا إدعاء كاذب ، وزعم باطل ، من دون دليل ، كما سيتضح لنا في السطور الآتية .

أما الحديث الأول : فقد رواه الخليفة الثاني لرسول الله ﷺ عمر بن الخطاب رضي الله عنه وخطب به أمام الناس ، وأسنده إلى رسول الله ﷺ وأخرجه البخاري[٣] ،

---

(١) انظر كتابه : العقيدة والشريعة ، القسم الثاني : تطور الفقه صـ٤١ ـ ٤٥ .

(٢) راجع الرد على شبه زيهر وكاتناني وشاخت حول نقد المتن في الصفحات التي مرت بنا الآن .

(٣) باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ جـ١ صـ٢ وباب ما جاء أن الأعمال بالنية جـ١ صـ٢٠ . وباب من هاجر أو عمل خيرا ، لتزويج امرأة فله ما نوى جـ٦ صـ١١٨ . وباب الطلاق=

ومسلم[١]، وأبو داود[٢]، والترمذي[٣] وابن ماجه[٤].

وكذا رواه النسائي، وأبو عوانة، وابن حبان في صحيحه، وابن خزيمة، وابن الجارود، والطحاوي في «شرح معاني الآثار»، والبيهقي في «السنن[٥]».

فهو حديث متفق على صحته، أخرجه الأئمة المشهورون بأسانيد متسلسلة رواتها رجال موثوقون ومن أهل الضبط والاتقان.

وقد ورد في معناه أحاديث، صحت في مطلق النية، كحديث عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما عند مسلم[٦]: «**يبعثهم الله على نياتهم**».

وحديث ابن عباس رضي الله عنهما: **ولكن جهاد ونية**.

وحديث أبي موسى رضي الله عنه: «**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله**». **متفق عليهما**.[٧]

وحديث ابن مسعود رضي الله عنه: **رب قتيل بين الصفين، الله أعلم بنيته. أخرجه أحمد**[٨].

وحديث عبادة رضي الله عنه: «**من غزا وهو لا ينوي، إلا عقالا، فله ما نوى**».

= في الإغلاق والكره جـ٦ صـ١٦٨.

(١) في باب قوله ﷺ: إنما الأعمال بالنيات جـ٣ صـ١٥١٥.

(٢) في باب فيما عني به الطلاق والثبات جـ٢ صـ٦٥١ ـ ٦٥٢.

(٣) في باب ما جاء فيمن يقاتل رياءا وللدنيا جـ٤ صـ١٧٩ ـ ١٨٠.

(٤) في باب النية جـ٢ صـ١٤١٣.

(٥) ذكره الصديقي في دليل الفالحين جـ١ صـ٤٦.

(٦) كتاب الفتن، حديث رقم٤ عن أم سلمة بلفظ: ولكنه يبعث يوم القيامة على نيته وحديث رقم٨ باللفظ الذي مضى.

(٧) حديث ابن عباس: البخاري، كتاب الإيمان، باب ٤١. ومسلم، كتاب الإمارة، حديث٨٥. وفيه: عن عائشة، حديث ٨٦. وحديث أبي موسى: البخاري، كتاب الجهاد، باب/ ١٥. ومسلم، كتاب الجهاد، حديث١٤٩ ـ ١٥٠، ١٥١.

(٨) المسند ١/ ٢٩٧.

أخرجه النسائي[١].

إلى غير ذلك، مما يتعسر حصره. وقد رواه عن يحيى مائتان وخمسون نفسا[٢] وهو موافق لقوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾[٣] أي على نيته. صح عن الحسن البصري ومعاوية بن قرة المزني وقتادة، وعن مجاهد[٤]. وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾[٥]، وقوله تعالى: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾[٦] أي ما أريد به وجه الله، فذلك يقبله ويرفع إليه ويسمعه ويثيب عليه. وهذا هو معنى الحديث الذي معنا.

وهو موافق لمقتضي العقل، فإن العمل الذي يراد به غير وجه الله لا قيمة له عند الله، وهو العالم بسرائر النفوس، المطلع على جلي الأمور وخفيها.

فلا أدري، ما الذي أوحى إلى هذا اليهودي، أنه حديث موضوع، وضعه المتأخرون من علماء المسلمين، غير أنه يريد أن يلقي كلمة كاذبة، للنيل بها من صدق الإسلام حقيّته.

وأما الحديث الثاني، وهو قوله ﷺ: « **إن الله قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب. وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضته عليه. وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل** ». **الحديث**.

فقد أخرجه البخاري عن عطاء عن أبي هريرة[٧]. وقد ذكر الحافظ: أن للحديث طرقا أخرى يدل مجموعها على أن له أصلا. منها عن عائشة أخرجه

---

(١) كتاب الجهاد، باب من غزا في سبيل الله ولم ينو من غزاته إلا عقالا/ ٣٣ (جـ٦ صـ٢٤).
(٢) فتح الباري جـ١ صـ١٠ ـ ١٢.
(٣) الإسراء/ ٨٤.
(٤) فتح الباري جـ١ صـ١٣٥ ـ ١٣٦.
(٥) البينة/ ٥.
(٦) الحج/ ٣٧.
(٧) في كتاب الرقاق، باب التواضع جـ٧ صـ١٩٠.

أحمد في «الزهد» وابن أبي الدنيا، وأبو نعيم في «الحلية»، والبيهقي في «الزهد»، وكذلك الطبراني من طريق يعقوب بن مجاهد عن عروة. ومنها عن أبي أمامة، أخرجه الطبراني والبيهقي في «الزهد» بسند ضعيف ومنها عن علي عند الإسماعيلي في «مسند علي». وعن ابن عباس أخرجه الطبراني، وسندهما ضعيف. وعن أنس أخرجه أبو يعلي والبزار والطبراني. وعن حذيفة أخرجه الطبراني مختصرا. وسنده حسن غريب. وعن معاذ بن جبل أخرجه ابن ماجه وأبو نعيم[١].

وقد روى الإمام أحمد في مسنده عن عائشة ما يؤيد أصل هذا الحديث.

قالت: قال رسول الله ﷺ: «**قال الله عزوجل: من أذلّ لي وليا، فقد استحل محاربتي، وما تقرب إليَّ عبدي بمثل أداء الفرائض، وما يزال العبد يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، إن سألني أعطيته، وإن دعاني أجبته. ما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن وفاته. لأنه يكره الموت وأكره مساءته**».

قال عبدالله: قال أبي: وقال أبو المنذر، قال حدثني عروة قال حدثتني عائشة. وقال أبو المنذر: آذى لي[٢].

وقد وردت أحاديث كثيرة في فضل النوافل، منها ما رواه الإمام أحمد أن النبي ﷺ قال: إن أول ما يحاسب به الرجل صلاته المكتوبة، فإن صلحت صلاته وإلا زيد فيها من تطوعه. ثم تقابل سائر الأعمال المفروضة كذلك[٣].

وقد رواه أيضا أبو داود[٤] والترمذي.[٥] والنسائي.[٦].

---

(١) انظر فتح الباري جـ١١ صـ٣٤١ ـ ٣٤٢ وعمدة القاري جـ٢٣ صـ٨٩.

(٢) المسند جـ٦ صـ٢٥٦.

(٣) المسند جـ٢ صـ٢٩٠.

(٤) في باب قول النبي ﷺ: كل صلاة لا يتمها صاحبها تتم من تطوعه.

(٥) في باب ماجاء: إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة (٢/ ٢٦٩) وله شاهد عند أحمد جـ٥ صـ٧٢، ٣٧٧، والحاكم عن رجل من أصحاب النبي ﷺ ١/ ٢٦٣.

(٦) في باب المحاسبة على الصلاة ١/ ٢٣٢.

وقد نقل الإمام المباركفوري عن الحافظ العراقي، قال: يحتمل أن يُراد به ما انتقص من السنن والهيئات المشروعة فيها من الخشوع والأذكار والأدعية وأنه يحصل له ثواب ذلك في الفريضة وإن لم يفعله فيها، وإنما فعله في التطوع، والله سبحانه يقبل من التطوعات الصحيحة عوضا عن الصلوات المفروضة[١].

فالنوافل لها فضل عظيم عند الله. والفضل الذي ذكر في الحديث الذي رواه البخاري وأحمد ليس بغريب على طبيعة الإسلام. فمن كان لله، كان الله له.

وقد روى أحمد والترمذي عن ابن عباس، قال: « **كنت خلف رسول الله ﷺ يوما. فقال: ياغلام، إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك** »[٢] فالذي يُقوي صلته بالله، ويكثر من النوافل لا ينساه الله، ويجيب دعواته.

ثم إن المتن لا يوجد فيه أي نوع من الغرابة، أو ما ينافي روح الإسلام. فقول المستشرق: إنه من الأقوال التي يمكن إدراجها في الصوفية المتأخرة إن هو إلا إحجاب وتمويه.

أما المستشرق جوزيف شاخت، فقد وضع كتابه: أصول الشريعة المحمدية THE ORIGINS OF MOHAMMADAN JURISPRUDENCE لزرع الفتنة ونشر الشبه حول السنة النبوية على صاحبها أفضل الصلوات وأتم التسليمات.

قسم كتابه إلى أربعة أقسام، كلها يدور حول نمو النظرية التشريعية في الإسلام. وقد خصص القسم الثاني ليبحث فيه عن تطور الأحاديث التشريعية ويلقي في أذهان الناس أن الأحاديث التي تنسب إلى الرسول ﷺ ليست إلا نتيجة لنمو الفقه الإسلامي وتطوره عبر العصور، وإن كانت أسانيدها موصولة إلى الرسول ﷺ صحيحة حسب منهج نقد المحدثين الذي يختلف ويتخلف عن منهج

---

(١) تحفة الأحوذي جـ١ صـ٣١٨ (الطبعة الهندية).

(٢) المسند ١/ ٢٩٣، ٣٠٣، ٣٠٧، والترمذي كتاب القيامة باب ٥٩. (٤/ ٦٦٧).

أولئك المستشرقين.

وليتبين هذا للقارىء بوضوح، أنقل هنا ترجمة حرفية للعناوين الرئيسية لهذا القسم.

فالعنوان الرئيسي هو (تطور الأحاديث التشريعية). وهو يحتوي على ستة فصول:

الأول: الملاحظات الأولية.

الثاني: تطور الأحاديث التشريعية في العصر الأدبي. نتائج العصر قبل الأدبي.

الثالث: تعارض النصوص، المنعكس في تطور الأحاديث.

الرابع: أدلة الأسانيد.

الخامس: أصول الأحاديث التشريعية بدأت تنمو في عصر الرسول ﷺ.

السادس: القواعد التشريعية في الأحاديث[١].

وقد زعم في الفصل الثاني من هذه الفصول: أن الأحاديث التشريعية بدات تنمو في عصر الرسول ﷺ وأخذت تتطور، وبالأخص في السنوات الخمسين التي هي بين الإمام الشافعي وجامعي الأحاديث.

ثم حاول على طريقته الخاصة، أن يثبت، أن الأحاديث وضعت ونسبت إلى الرسول كلما اقتضت الضرورة.

وجاء بأمثلة كثيرة، لا مجال هنا لأتعرض لكل ما ذكره المستشرق، ولكني سوف أذكر بعضا منها، مع غشه في التحقيق العلمي وجنوحه عن الحق.

ذكر تحت عنوان: اختلاق الأحاديث بين مالك والمجموعات الفنية (للأحاديث) أن مالكا أضاف إلى متن الحديث النبوي شرحه الشخصي لبيعي الملامسة والمنابذة[٢].

---

(١) أصول الشريعة المحمدية لشاخت بالإنجليزية صـ١٠.

(٢) المصدر نفسه صـ١٤٤.

ونفس الشرح ظهر منسوبا إلى مالك، وبدون أي اتصال له بأي حديث، في المدونة الكبرى (١٠/ ٣٧) وهو في الواقع أصل مدني حديث، نسب إلى الربيعة في المدونة الكبرى (١٠/ ٣٨). كما أنه ظهر شرحا إضافيا لاثنين من ألفاظ الحديث نفسه متوازيين. ومالك لم يظهر في الإسناد.

ولكن هذا الشرح أصبح جزءا من ألفاظ الرسول ﷺ لدى البخاري ومسلم. وهما في نفس الوقت يرويان الحديث نفسه بدون الشرح المذكور.

وفي سنن النسائي (الذي أصبح الشرح لديه أطول) جاء مفصولا تماما عن المتن.

قلت: وهذا غير صحيح، كما سيظهر لنا بعد الرجوع إلى الموطأ والصحيحن: فإن الحديث الذي أشار إليه شاخت، هو عند مالك في الموطأ بسنده: عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ نهى عن الملامسة والمنابذة.

وهو عند البخاري ومسلم بسنديهما عن أبي هريرة أيضا، وبنفس اللفظ. وقد روى البخاري ومسلم حديثا آخر عن ابن شهاب قال: أخبرني عامر بن سعد أن أبا سعيد رضي الله عنه أخبره أن رسول الله ﷺ نهى عن المنابذة: وهي طرح الرجل ثوبه بالبيع إلى رجل قبل أن يقلبه أو ينظر إليه ونهى عن الملامسة، والملامسة: لمس الثوب لا ينظر إليه[1].

فالحديث المروي عن أبي سعيد الخدري، غير الحديث المروي عن أبي هريرة فلا يصح أن يقال: إن البخاري ومسلماً زادا من عندهما في الحديث الذي رواه مالك.

ثم إن بحث الإدراج في المتن من أشهر مباحث المصطلح. وقد ذكر ابن ماجه: أن التفسير من قول سفيان بن عينيه. وذكر الحافظ ابن حجر: أن الأقرب

---

(١) صحيح البخاري، باب بيع الملامسة جـ٣ صـ٢٥ وصحيح مسلم، باب إبطال بيع الملامسة والمنابذة جـ٣ صـ١١٥١ ـ ١١٥٢.

أنه من تفسير أبي سعيد الخدري[١] وقد جاء في رواية النسائي ما يشعر بأن الشرح من كلام غير النبي ﷺ[٢].

فالنقاد من علماء الحديث نقدوا متون هذه الأحاديث قبل مئات السنين وقل أن يولد هذا المستشرق ومن قبله ومن بعده من أمثاله. والبخاري ومسلم لم يطرأ على بالهما أن هذا الأمر يلتبس على طلبة علم الحديث، لأنهما كانا يعلمان أن الشروح قد تذكر بعد المتون من أحد الرواة.

ويقول شاحت، مبحث (السنة، العمل والسنة الحية):

إن إبراهيم[٣](النخعي) يعرف أن الدعاء ضد الأعداء السياسيين في الصلاة بدعة عرفت في عصر علي ومعاوية، بعد الرسول ﷺ بوقت طويل، وهو يؤكد هذا بالإشارة إلى عدم وجود أية معلومات في الموضوع عن الرسول ﷺ وأبي بكر وعمر[٤].

وهذا يعني أن الحديث الذي يقبله الشافعي، لابد أن وجد بعد إبراهيم.

---

(١) فتح الباري جـ٤ صـ٣٦٠.

(٢) انظر النسائي، باب بيع الملامسة وبيع المنابذة جـ٧ صـ٢٥٩ ـ ٢٦٠.

(٣) إبراهيم النخعي: هو إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود النخعي أبو عمران الكوفي (٤٦ ـ ٩٦هـ). ثقة فقيه، من أكابر التابعين صلاحا وحفظا للحديث، قال الأعمش: كان إبراهيم خيرا في الحديث، وقال الشعبي ما ترك أحدا أعلم منه.
التقريب صـ٢٤ التهذيب ١/ ١٧٧ وفيات الأعيان ١/ ٢٥.

(٤) أشار إلى آثار التي أوردها أبو يوسف في كتابه عن إبراهيم النخعي فقد روى:
١ ـ عن النبي ﷺ أن لم يقنت في الفجر إلا شهرا واحدا حارب حيًّا من المشركين. قنت يدعو عليهم لم ير قانتا قبلها ولا بعدها.
٢ ـ وعن علقمة عن عبد الله عن النبي ﷺ مثله.
٣ ـ وأن أبا بكر لم يقنت حتى لحق بالله تعالى.
٤ ـ وأن عليا رضي الله عنه قنت يدعو على معاوية رضي الله عنه حين حاربه فأخذ أهل الكوفة عنه. وقنت معاوية يدعو على علي فأخذ أهل الشام عنه (كتاب الآثار/ ٣٤٩ ـ ٣٥٢).

يريد بهذا أن ينتقد الحديث الذي رواه الشافعي عن القنوات في الصلوات وخاصة في صلاة الصبح[١] فهو يزعم أن هذا الحديث وجد في عصر الشافعي والدليل عليه، كما زعم، هو إنكار النخعي لوجود أي حديث عن النبي ﷺ في عصره.

قلت: وهذا كذب وبهت. لأننا إذا رجعنا إلى الآثار التي أوردها أبو يوسف في كتابه عن إبراهيم والتي أشار إليها شاخت نفسه، وجدنا من بينها: حديثين مرويين عن النبي ﷺ. أحدهما بالسند المتصل إلى النبي ﷺ. والثاني تعليقا بين النخعي والنبي ﷺ.

فلم يصدق في قوله: إن إبراهيم أشار إلى عدم وجود معلومات في الموضوع عن النبي ﷺ.

ثم إذا افترضنا صحة ما ذكره شاخت، فعدم ذكر النخعي لحديث لا يدل قطعا على عدم وجوده في حقيقة الأمر، فكم من سُنَّةٍ خفيت على أشخاص، وعرفها الآخرون وهو أمر معروف لا يخفى على طلبة علم الحديث.

والدليل عليه: ثبوت القنوت من النبي ﷺ لدى جمع من أئمة الحديث. فقد خرج أحاديث القنوت عن النبي ﷺ كل من البخاري[٢] ومسلم[٣]

---

(١) قال الشافعي: فأما القنوت في الصبح فمحفوظ عن رسول الله ﷺ في قتل أهل بئر معونة وبعده ولم يحفظ عنه أحد تركه. حدثنا الربيع قال أخبرنا الشافعي قال أخبرنا سفيان عن الزهري عن ابن المسيب عن أبي هريرة أن النبي ﷺ لما رفع رأسه من الركعة الثانية من الصبح قال: ثم ذكر الدعاء (انظر كتاب اختلاف الحديث في آخر كتاب الأم جـ صـ ٥٤٢).

(٢) في باب القنوت قبل الركوع وبعده (٢/ ١٤) من حديث عاصم قال سألت أنس ابن مالك وفي باب العون بالمدد (٤/ ٣٥) من حديث قتادة عن أنس وفي باب عزوة الرجيع ورعل وذكوان وبئر معونة (٥/ ٤٠ ـ ٤١) عن الزهري عن عمرو بن أبي سفيان الثقفي عن أبي هريرة.

(٣) في باب استحباب القنوت في جميع الصلاة، إذا نزلت بالمسلمين نازلة (٥/ ٤٦٦) برواية سعيد بن المسيب وأبي سلمة بن عبدالرحمن بن عوف أنهما سمعا أبا هريرة يقول الحديث. وعن إسحاق بن عبدالله بن أبي طلحة ومحمد مجلز وأنس بن سيرين وعاصم وقتادة عن أنس بألفاظ متقاربة.

وأحمد[١] وأبو داود[٢] وغيرهم من أئمة الحديث.

وقد رواها عدد كبير من التابعين، غير النخعي، كما روى النخعي نفسه موصولا ومرسلا، كما يتبيَّن للقارىء بالرجوع إلى مصادر الحديث وأسماء التابعين والصحابة في الحواشي التابعة لهذا المبحث.

فهل يقال بعد هذا كله: إن الحديث الذي قبله الشافعي كان من إنتاج عصره، ولم يكن له أصل من الرسول ﷺ. وهل هذا هو معيار نقد المتون عند شاخت وعند أمثاله من المستشرقين. إنه أمر يدعو إلى الاستغراب والأسف في وقت واحد.

٥ ـ **وقال غلام جيلاني، برق**، أحد كبار منكري السنة في باكستان، بعد أن نقل حديث عائشة رضي الله عنها:

« تزوجني النبي ﷺ لست سنين، وبني بي وأنا بنت تسع ».

قال: إن هذا من الأحاديث التي لم تنتقد متونها، وهي غير صحيحة لأن بنتا صغيرة في هذا السن، والتي كانت في غاية الضعف من الحمى التي أصابتها، لا يمكن أن تتحمل الجماع[٣].

قلت: الحديث صحيح أخرجه البخاري[٤] ومسلم[٥]. ولا غرابة في المتن. لأن منشأ هذا الكلام، الجهل بطبائع الناس والبلاد، فالناس يختلفون في الترعرع والنمو. كما أن للمناخ أثرا كبيرا في سرعة النمو وبطئه.

---

(١) في مسند أنس بن مالك: ما زال رسول الله ﷺ يقنت في الفجر حتى فارق الدنيا (وفيه تمام التأييد لما ذهب إليه الشافعي انظر ٣/ ١٦٢، ٢١٦، ٢٨٢) والحديث الأول هو قول أنس بن مالك قال.

(٢) في باب القنوت في الصلوات (٢/ ١٤١) من رواية أبي هريرة والبراء وابن عباس وأنس بن مالك.

(٣) كتابه بالأردية: دو إسلام (أي إسلامان) صـ٢٢٨.

(٤) ٤/ ٢٥١، باب تزوج النبي ﷺ وقدومها المدينة وتنائه بها.

(٥) ٢/ ١٠٣٩ في باب «تزوج الأب البكر الصغيرة».

وكانت عائشة رضي الله عنها ممن أسرع شبابها في وقت مبكر. قال الداودي: وكانت عائشة قد شباباً رضي الله عنها.

وعلى هذا الحديث، بني الفقهاء قولهم في وقت الزفاف:

قال النووي: وأما وقت زفاف الصغيرة المزوجة، والدخول بها، فإن اتفق الزوج والولي على شيء لا ضرر فيه على الصغيرة، عمل به. وإن اختلفا: فقال أحمد وأبو عبيد: تجبر على ذلك بنت تسع سنين، دون غيرها.

وقال مالك والشافعي وأبو حنيفة حد ذلك، أن تطيق الجماع.

ويختلف ذلك باختلافهن، ولا يضبط بسن، وهذا هو الصحيح، وليس في حديث عائشة تحديد ولا المنع من ذلك فيمن أطاقته قبل تسع، ولا الإذن فيه لمن لم تطقه وقد بلغت تسعا[١].

وقد ذكرت جريدة (دان) الفجر الباكستانية الصادرة في لغة أردو، أن بنتا أفريقية عمرها تسع سنوات، ولدت طفلا في ٢٨ مارس ١٩٦٦م[٢].

وهذا أنها بلغت وحاضت، عندما كان عمرها ثمان سنوات.

ثم إن منكر السنة، ترجم كلمة (بني) بالجماع، وهو غير صحيح.

حكي ابن جني: بني فلان بأهله وابنتي بها: زفها وازدفها. أي نقلها من بيت أبويها إلى بيت زوجها.

وقال ابن الأثير: وقد جاء: بني بأهله في غير موضع من الحديث وغير الحديث والابتناء والبناء: الدخول بالزوجة[٣].

فالحديث يدل على أن عائشة جاءت من بيت أبويها إلى بيت النبي ﷺ وعمرها تسع سنوات. ولا يوجد فيه شيء يدل بالصراحة على الجماع. فقد

---

(١) انظر شرح النووي على صحيح مسلم ٩/ ٢٠٦.

(٢) العدد الصادر في ٢٩ مارس ١٩٦٦م.

(٣) انظر لسان العرب، والصحاح للجوهري والمعجم الوسيط.

يكون أن عائشة جاءت إلى بيت النبي ﷺ، ولكنه ﷺ انتظر، إن كانت ما بلغت إلى ذلك الوقت، حتى أصبحت رضي الله عنها مستعدة لما هو بعد البناء من حقوق الزوجة.

وفي الحديث عن عائشة رضي الله عنها: وأيكم يملك أربَه، كما كان النبي ﷺ يملك أربه[١].

وذكر غلام جيلاني المذكور، الحديث الذي رواه أنس بن مالك قال حدثني عمرو بن الربيع عن عتبان بن مالك، قال: قدمت المدينة. فلقيت عتبان. فقلت حديث بلغني عنك قال: أصابني في بصري بعض الشيء، فبعثت إلى رسول الله ﷺ أني أحب أن تأتيني فتصلِّي في منزلي، فاتخذه مصلى. قال: فأتى النبي ﷺ ومن شاء من أصحابه، فدخل وهو يصلي في منزلي، وأصحابه يتحدثون بينهم. ثم أسندوا عُظم ذلك وكُبره إلى مالك بن دخشم. قالوا: ودوا أنه دعا عليه فهلك ودوا أنه أصابه شر، فقضى رسول الله ﷺ الصلاة وقال أليس يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؟ قالوا: إنه يقول ذلك. وما هو في قلبه. قال: لا يشهد أحد أن لاإله إلاالله وأني رسول الله، فيدخل النار أو تطعمه. قال أنس: فأعجبني هذا الحديث. فقلت لابني: أكتبه، فكتبه[٢]. وشكك في صحته وزعم أنه حديث غير صحيح من جهة المتن. لأن ابن دخشم إذا كان منافقا، كما شهد عليه كثير من الصحابة. ولم يرد عليهم النبي ﷺ، فلا يصح أن يغفر الله له، لأنه جاء عن المنافقين في القرآن الكريم: ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾[٣] وقال تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ

(١) البخاري، الطهارة ٢/ ١١٣ مسلم، الطهارة ٢/ ٣٥، أبو داوود، الطهارة ٧/ ١٠٧، ابن ماجة، الطهارة ١/ ١٢١.
(٢) مسلم، الإيمان ١٠/ ٣٣.
(٣) التوبة/ ٨٠.

﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾﴾[١].

قال: فكيف يصح أن يشهد له الرسول ﷺ بدخول الجنة، لأنه يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله. وهذا يعني أن الحديث غير صحيح[٢].

قلت: إن ما زعمه غير صحيح. فقد ثبت في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ أنكر كونه من المنافقين، ورد على الذين قالوا عنه هذه الكلمة.

فقد روى الإمام البخاري حديث محمود بن الربيع الأنصاري عن ابن شهاب، وفيه فسمع أهل الدار رسول الله ﷺ في بيتي فثاب رجال منهم، حتى كثر الرجال في البيت. فقال رجل منهم. ما فعل مالك، لا أراه. فقال رجل منهم ذلك منافق لا يحب الله ورسوله. فقال رسول الله ﷺ: **لا تقل ذلك، ألا تراه، قال: لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله. فقال: الله ورسوله أعلم، أما نحن فوالله لا نرى وُدّه ولا حديثه إلا إلى المنافقين. قال رسول الله ﷺ: فإن الله قد حرم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله**[٣].

وقد شهد مالك بن دخشم العقبة في قول ابن اسحاق وموسى والواقدي. ولم يختلفوا أنه شهد بدرا ومابعدها من المشاهد. وهو الذي أسر يوم بدر سهيل ابن عمرو. قال أبو عمر ابن عبدالبر: لا يصح عنه النفاق. وقد ظهر من حسن إسلامه ما يمنع من اتهامه[٤].

وقال ابن حجر: وفي المغازي لابن إسحاق أن النبي ﷺ بعث مالكا هذا ومعن بن عدي فحرّقا مسجد الضرار. فدل على أنه بريء مما اتهم به من النفاق، أو كان قد أقلع عن ذلك، أو النفاق الذي أتهم به ليس نفاق الكفر، إنما أنكر

---

(١) المنافقون/ ١.

(٢) كتابه: دو إسلام بالأردية.

(٣) البخاري، أبواب التقصير، باب/ ٣٦ (٢/ ٥٥).

(٤) الاستيعاب: ٣/ ٣٧٢، وانظر الإصابة: ٣/ ٣٤٣.

الصحابة عليه تودده للمنافقين، ولعل له عذرا في ذلك كما وقع لحاطب[١].

ويمكن أن يكون قول بعض الصحابة فيه واتهامه بالنفاق مبنيا على بعض الأعمال التي صدرت منه، كما حصل لحاطب، فقال فيه عمر رضي الله عنه: دعني أضرب عنق هذا المنافق. وحالته تقتضي أن يقال لمن يتهمه بالنفاق كما قال النبي ﷺ لعمر: **لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**[٢] فالحديث صحيح لاغبار على متنه. ولا تعارض بين عباراته.

٧ ـ ونقل هذا المنكر حديث أنس بن مالك: أن رسول ﷺ أتاه جبريل عليه السلام. وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه، فشق عن قلبه فاستخرج منه علقة. فقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طشت من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه[٣] ثم أعاده إلى مكانه وجاء الغلمان يسعون إلى أمه (يعني ظئره) فقالوا: إن محمدا قد قتل فاستقبلوه، وهو منتقع اللون. قال أنس: قد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره[٤] ثم قال: إن هذا الحديث مشكوك فيه من عدة أوجه:

أولا: لم يوجد أنس بن مالك، عندما كان النبي ﷺ يلعب مع الأطفال، إنه يروي حادثة وقعت قبل ست وثلاثين سنة، فإن كان سمعها من رجل كان عليه أن يذكر اسمه.

ثانيا: القلب له جزءان، الجزء الأيمن يرسل الدم إلى الطحال الذي ينظف الدم ويعيده إلى الجزء الأيسر، ثم ينتقل الدم إلى الجسد، إن القلب عبارة عن مضخة ترسل الدم إلى الطحال. ومن ثم إلى الجسد. إنه ليس إلا قطعة من اللحم.

---

(١) فتح الباري ١/ ٥٢٢.

(٢) البخاري، مغازي، ٩/ ٤٦. أدب ٧٤. مسلم: فضائل الصحابة/ ١٦١ أبو داوود: الجهاد/ ٩٨ السنة/ ٨ الترمذي، تفسير سورة ٦٠ المسند: ١/ ٨٠.

(٣) لأمة: جمعه وضم بعضه إلى بعض.

(٤) مسلم، الإيمان، باب ٧٤ (٣/ ١٤٧).

لا يحس باللذة والألم وليس هو المحرك للخير والشر. إن مركز جميع الأفكار والأخيلة والأحاسيس هو الدماغ، وهو المحرك للخير والشر، ومنه تصدر الإرادة. فإذا كان جبريل يقصد القضاء على منبع الشر، كان عليه أن يشق الدماغ وليس القلب. وقال: ولما أن واضع هذا الحديث كان يظن أن القلب هو كل شيء في الجسد، لم يدرك أن الناس، عندما يتقدم العلم، يخطئون الله ورسوله وجبريل.

ثالثا: إننا نفخر بالرسول البشر الذي سما بنفسه بتوفيق من الله تعالى عن السفاسف رغم كل ما يدعو الإنسان إلى المعصية، وليس بالرسول الذي سلب منه استعداد المعصية.

رابعا: إن كان الله يريد أن يكون الأنبياء معصومين، كان بإمكانه أن يجعل الدماغ حيث لا يفكر في المعاصي.

خامسا: إن غسل مركز المعصية بماء زمزم أمر عجيب، ماذا نقول في الرجل الذي يغسل أسلاك الكهرباء بالماء زاعما أنه يريد أن يقضي على ذبذبات الكهرباء منها. وهكذا، ماذا نقول في الرجل الذي يخرج الدماغ ويغسله ليمحي عنه إرادة المعصية[١].

وأقول ردا على هذه التفاهات:

إن الحديث صحيح سندا ومتنا. فقد رواه، كما ذكرت، الإمام مسلم في صحيحه ورواه الإمام أحمد في مسنده عن أنس بن مالك أيضا[٢] وروى الإمام أحمد والدارمي بسندهما عن عتبة بن عبدالسلمي ما يؤيد معناه. ففيه: فأقبلا يبتدراني فأخذاني فبطحاني إلى القفا. فشقا بطني ثم استخرجا قلبي فشقاه فأخرجا منه علقتين سوداوين. الحديث[٣].

---

(١) كتابه: دو إسلام بالأردية صـ٨٦ ـ ٨٨.

(٢) مسند الإمام أحمد ٣/ ١٤٩.

(٣) انظر سنن الدارمي ١/ ٨، ٩، والمسند ٤/ ١٨٤.

وروى الحافظ ابن كثير في تفسيره. قال عبدالله بن الإمام أحمد، ثم ساق السند إلى أبي بن كعب أن أبا هريرة قال: يا رسول الله ما أول ما رأيت من أمر النبوة وفيه: فقال أحدهما لصاحبه: أفلق صدره، فهوى أحدهما إلى صدري ففلقه فيما أرى بلا دم ولا وجع. الحديث[١].

ولم يقل أنس بن مالك رضي الله عنه: إنه كان شاهد عيان عندما شق صدر رسول الله ﷺ. فلعله سمع الخبر من رسول ﷺ نفسه أو من أحد الأصحاب رضي الله عنهم.

والقلب هو منبع الحياة في جسد الإنسان. ولذلك إذا توقف القلب من الحركة لصدمةٍ أصابته، مات الإنسان فورا[٢].

فلا يمكن أن يتوقف القلب من الحركة ويبقي الإنسان حيا ويحس بالألم والقلق والغضب وغيرها من الأحاسيس الخاصة بالإنسان. ولكنه يقع كثيرا أن يتعطل الدماغ. والقلب يظل مستمرا في الحركة والعمل، والإنسان يعيش إلى أن يشاء الله له أن يبقي حيا على وجه الأرض.

ولو كان هذا المنكر للسنة قرأ القرآن الكريم بنية صادقة لما وقع في هذه الهوّة من الأخطاء. قال تعالى ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾[٣] فلو كان الدماغ هو المركز للأفكار والأحاسيس والإرادة والآراء. لنزل القرآن عليه وليس على القلب. فهل يقول المنكر إن الله أخطأ في هذه الآية.

وقد ورد في آية أخرى بوضوح أكثر حيث قال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾[٤] وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾[٥]

---

(١) تفسير ابن كثير ٤/ ٥٢٤.
(٢) علم الأبدان صـ١٩٢ نقله الشيخ مسعود أحمد في كتابه: تفهيم إسلام بالأردية صـ١٣١.
(٣) البقرة/ ٩٧.
(٤) لقمان/ ٢٣.
(٥) النمل/ ٧٤.

وقال تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾(١).

فالقلب هو مركز الأفكار والآراء والأحاسيس وليس الدماغ كما زعم المنكر. اسمعوا ما يقول الرب سبحانه: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾(٢).

فالمسلون يؤمنون بهذه الآيات وبما ورد فيها من الحقائق عن القلب الذي هو المركز الرئيسي في جسد الإنسان وما علينا بعد هذا، ماذا يقول العلم الحديث لأن النتائج العلمية غير متفق عليها. فكثيرا ما نسمع أن عالما من العلماء رفض حقيقة علمية كانت مسلَّمة بينهم منذ زمن بعيد.

وقال يقال: إن الدماغ آلة من الآلات الخاضعة للقلب، يعمل مساعدا له وتحت إشرافه.

أما قوله: إننا لا نفخر بالرسول الذي سلب منه استعداد المعصية فأقول: إن الله قال عن يوسف عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَا بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾(٣)، فماذا يقول المنكر عن يوسف عليه السلام ألم تكن حياته الطاهرة العفيفة مفخرة للبشرية، عند هذا المنكر. لأن الله أعانه على التوقي من الوقوع في المعصية. وقد جاء في السورة نفسها: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾(٤).

فإذا اتقى الإنسان وابتعد عن الوقوع في المعصية بفضل من الله ورحمته فهل يقال: إنه لم يفعل فعلا يمدح عليه، لأن الله هو الذي أعانه عليه؟.

---

(١) الأعراف/ ١٧٩.
(٢) الحج/ ٤٦.
(٣) يوسف/ ٢٣.
(٤) يوسف/ ٥٣.

وأما قوله: إن الله كان في إمكانه أن يجعل الإنسان وهو في بطن أمه حيث لا يفكر في المعاصي.

فأقول: قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ ﴾[1].

فهل يقول المنكر: لماذا خلق الله طفلا، كان في علم الله أن يقتل، حتى لا يرهق أبويه طغيانا وكفرا، وكيف تكون حياة أبويه مفخرة لهما مادام قضى على سبب المعصية؟ أعاذنا الله والمسلمين من هذه الشبه المضلة. وأما قوله: إن غسل مركز المعصية بماء زمزم أمر عجيب، وكيف يذهب الغسل بالذنوب فأقول: إن القلب الذي غسل، كان يعد ليكون مهبط الوحي في المستقبل ومنبع النور لخير البشرية. فالله هو العالم بحقيقة هذا العمل. أما نحن المسلمين فنؤمن به كما جاء. لأنه صح عن النبي ﷺ.

٨ ـ وقال المنكر نفسه: عندما دوَّن الإمام مالك موطأه، أورد فيه عشرة الاف (١٠,٠٠٠) حديث، ثم أعاد النظر فيها، فشك في ثمانية آلاف وسبعمائة وثمانين (٨٧٨٠) حديثا، فأخرج ألفا وسبعمائة وعشرين (١٧٢٠) حديثا.

وقال: لا ندري ما هو المعيار الذي استخدمه لانتقاء الأحاديث. نحن لا نشك في إخلاص الإمام مالك وعدالته، ونعلم أنه استخدم جميع الوسائل البشرية للتمييز بين الصحيح والمكذوب، ولكنه كان قد مضى مائة وخمس وسبعون سنة. دخلت زيادات في الأحاديث وحُرِّفت حتى تغيرت تماما وأصبح من الصعوبة بمكان الحصول من بينها على سنن الرسول ﷺ. إننا نحترم الموطأ، ولكن لا نستطيع أن نقول بيقين إن محتوياته أقوال الرسول ﷺ.

قال: ومن بين تلك الأقوال: إذا قمتم من المضاجع يعني النوم (فتوضَّأوا

---

(١) الكهف/ ٨٠.

للصلاة) تفسير القوله تعالى: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَوٰةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾ الآية[١].

فهو معارض لما جاء في صحيح البخاري عن ابن عباس: أن النبي ﷺ استيقظ في الليل، وصلّى ثم اضطجع فنام حتى نفخ ثم أتاه المنادي فقام معه إلى الصلاة فصلى ولم يتوضأ[٢].

وأقول رداً عليه:

إن ما ذكره عن الموطأ وأحاديثه، من أن الإمام (مالك) جمع أحاديث كثيرة ثم حذف منها كثيرة وأبقى قليلة. قال المستشرقون وأتباعهم الكلام نفسه عن الإمام البخاري وصحيحه. وقد بينت عندما تطرقت لشبه المستشرقين أن كلامهم هذا لا يعدو كونه هراءا. وأن كل سند كان يسمى حديثا وأن اختيار الأئمة مجموعة من الأحاديث من بين الأحاديث الكثيرة لا يعني أبدا أنهم اختاروها من الموضوعات. فإن الموضوعات كانت معروفة لديهم. وإنما اختاروا أصح الأحاديث سندا ومتنا من بين الأحاديث الصحيحة.

وإن ما ورد في الموطأ ليس بحديث مرفوع، كما زعم المُنكر، بل هو قول زيد بن أسلم وتفسير عنه لقوله تعالى: إذا قمتم إلى الصلاة. الآية.

فقد روى الإمام مالك عن زيد بن أسلم، أن تفسير هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَاغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ أن ذلك إذا قمتم من المضاجع، يعني النوم[٣].

فلا طعن فيه على الموطأ وصاحبه، لأنه روى قول صحابي، وصرح به،

---

(١) كتابه: دو إسلام بالأردية صـ١٧٠ ـ ١٧١.

(٢) البخاري، الوضوء، باب/ ٥ (التخفيف في الوضوء).

(٣) الموطأ، الطهارة ٢/ ١٠.

ولم يقل إنه قول الرسول ﷺ.

ثم إن قول زيد بن أسلم موافق لأحاديث صحيحة في وجوب الوضوء بعد القيام من النوم فقد روى علي بن أبي طالب أن رسول الله ﷺ قال: « **العين وكاء السَّه فمن نام فليتوضَّأ** »[١].

وقال ﷺ: « **ليس على من نام ساجدا وضوء حتى يضطجع فإنه إذا اضطجع استرخت مفاصله** ». رواه الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنه[٢] وهو غير معارض لما جاء في صحيح البخاري، لأن عدم انتقاض الوضوء من النوم من خصوصيات النبي ﷺ. فقد صح عن النبي ﷺ أنه ذكر قول الملائكة عنه ﷺ: «**إن العين نائمة والقلب يقظان** »[٣] وقد روى الإمام مالك، قالت عائشة: «**فقلت يا رسول الله أتنام قبل أن توتر؟ فقال: يا عائشة، إن عَينَيَّ تنامان ولا ينام قلبي**»[٤].

فهذا خاص بالنبي ﷺ وتفسير زيد بن أسلم عام للمسلمين وموافق للأحاديث الصحيحة في هذا الحكم.

٩ ـ وذكر هذا المنكر رواية أخرى وردت في الموطأ، وهي:

أن ابن عمر كان يقول: قُبلة الرجل امرأته وجسّها بيده من الملامسة فمن قَبّل امرأته أو جسَّها بيده فعليه الوضوء[٥].

قال: قد روت عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قَبّل بعض نسائه ثم خرج إلى الصلاة ولم يتوضأ[٦].

---

(١) أبو داود، الطهارة/ ٧٩.

(٢) مسند أحمد ١/ ٢٥٦ بلفظ، وكاء السه العنيان، فمن نام فليتوظأ.

(٣) البخاري الاعتصام، باب/ ٢. الدارمي، المقدمة/ ٢.

(٤) الموطأ، صلاة الليل ٢/ ٩.

(٥) الموطأ، الطهارة، باب/ ١٦.

(٦) الترمذي، الطهارة، باب/ ٦٣. أبو داود، الطهارة، باب ٦٩. ابن ماجة ١/ ٩٣، ٩٤ مسند=

يريد أن يقول : إن صحَّ أن النبي ﷺ أمر بالوضوء من تقبيل المرأة وجسَّها باليد، فكيف يعمل خلافه، وإن كان ما جاء عن عدم وضوئه من التقبيل صحيحا. فحديث الموطأ غير صحيح[١].

قلت : لا تعارض بين الروايتين، لأن حديث عائشة لم يصح عند المحدثين. قال الترمذي : وإنما ترك أصحابنا (يعني أهل الحديث) لأنه لا يصح عندهم لحال الإسناد.

قال : وسمعت أبا بكر العطار البصري يذكر عن علي بن المديني قال : ضعف يحيى بن سعيد القطان هذا الحديث جدا. وقال : هو شِبه لا شيء.

وسمعت محمد بن اسماعيل يضعف هذا الحديث. وقال : حبيب بن أبي ثابت لم يسمع من عروة.

وقد روى عن إبراهيم التيمي عن عائشة : أن النبي ﷺ قَبَّلها ولم يتوضأ. قال : وهذا لا يصح أيضا. ولا نعرف لإبراهيم التيمي سماعا عن عائشة وليس يصح من النبي ﷺ في هذا الباب شيء[٢].

ولعدم صحة حديث عائشة، وعملا بقول ابن عمر، قال مالك بن أنس والأوزاعي والشافعي وأحمد وإسحاق : إن في القُبلة وضوءا. وهو قول غير واحد من أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ والتابعين[٣].

وقد زعم المنكر أن رواية عائشة موجودة في الموطأ[٤] وهذا كذب وافتراء ليدلل على ما زعم من وجود حديثين نقيضين في صفحة واحدة. فحديث عائشة

= أحمد ٦/ ٢١ والدارمي صـ٥٠. والدارقطني صـ٥١.

(١) انظر كتابه : دو إسلام بالأردية صـ١٧١ ـ ١٧٢.

(٢) الترمذي : الطهارة، باب/ ٦٣.

(٣) الترمذي : الطهارة، باب/ ٦٣.

(٤) كتابه : دو إسلام بالأردية صـ١٧١ ـ ١٧٢.

لا يوجد في الموطأ. وإنما هو مما رواه غير الإمام مالك. كما رأينا آنفا.

١٠ ـ وذكر المُنكر رواية مسلم عن أبي بن كعب قال: سألت رسول الله ﷺ عن الرجل يصيب من المرأة ثم يُكسل. فقال: « **يغسل ما أصابه من المرأة ثم يتوضأ ويصلّي** »[١].

ثم ذكر رواية الموطأ عن أبي سلمة بن عبدالرحمن بن عوف قال: سألت عائشة ما يوجب الغسل قالت... إذا جاوز الختان الختان فقد وجب الغسل[٢].

قال المنكر: كان بالمدينة مئات من الصحابة. وعبدالرحمن نفسه من فقهاء الصحابة فمن الغريب أن لا يعرف هو ولا غيره من الصحابة أحاديث هذا الباب ثم يسمع عبدالرحمن نفسه ليسأل عن هذه المسألة عائشة، هي الزوجة الصغيرة السن لرسول الله ﷺ.

إلى أن قال: إني أرى أن هذا الحديث غير صحيح متنا، وأن نسبته إلى عائشة لا تصح. وأقول رداً عليه:

لاشك أن الصحابة كانوا موجودين، كثير منهم كان يعلم المسألة، ولاشك أنها مسألة يستحى فيها، ولكن رحم الله أولئك الذين لم يأخذهم الحياء في دين الله، فبلغوا إلينا كل دقيقة وجليلة وخفية وجلية.

أما القول: بأنهم لماذا سألوا عائشة رضي الله عنها بالذات دون غيرها من الصحابة فيجيب على هذا التساؤل ما رواه أبو موسى الأشعري قال: اختلف في ذلك رهط من المهاجرين والأنصار، فقال الأنصاريون: لا يجب الغسل إلا من الدفق أو من الماء. وقال المهاجرون: بل إذا خالط فقد وجب الغسل. قال: قال أبو موسى: فأنا أشفيكم من ذلك، فقمت فاستأذنت على عائشة فأذن لي، فقلت لها: يا أماه أو يا أم المؤمنين، إني أريد أن أسألك عن شيء وإني استحييك فقالت:

---

(١) مسلم: الحيض، باب/ ٢١.

(٢) الموطأ: الطهارة، باب/ ١٨.

لا تستحي أن تسألني عما كنت سائلا عنه أمك التي ولدتك، فإنما أنا أمك. قلت: فما يوجب الغسل؟ قال: على الخبير سقطت، قال رسول الله ﷺ: « **إذا جلس بين شعبها الأربع ومس الختان بالختان فقد وجب الغسل** »[١].

فظهر من هذا، أن الصحابة اختلفوا في المسألة، ومن الجائز أن أبا سلمة كان أحدهم، فأراد أن يطمئن في المسألة. وحيث إن عائشة كانت أخص الناس وأقربهم إلى رسول الله ﷺ في هذه المسألة بالذات فأراد أن يستوثق منها لأنه لا حياء في مسائل الدين، وإن الله لا يستحي من الحق.

وقد تعمد منكر السنة لإبراز التعارض بين الحديثين. وليقول: إن (مالك) ابن أنس يأتي بأحاديث ليس لها أصل، كما زعم. ولكنه لو أنصف، لوجد في صحيح الإمام مسلم نفسه بابين واحدا تلوا الآخر، للإستدلال على أن الأمر الأول كان وجوب الغسل من الماء أي من الإنزال ولكنه نُسخ وأصبح وجوب الغسل بالتقاء الختانين. فقد ذكر الإمام مسلم أولا باب: إنما الماء من الماء، وذكر الأحاديث التي وردت في هذا الباب، ثم ذكر باب: نسخ الماء من الماء ووجوب الغسل التقاء الختانين. وذكر فيه أحاديث أبي موسى الأشعري وأبي هريرة وعائشة رضي الله عنهم[٢].

فالإمام مالك لم ينفرد برواية ما يثبت وجوب الغسل من التقاء الختانين.

وقد ذكر منكر السنة في شبه القارة الهندية الباكستانية أحاديث كثيرة في كتبهم، وزعموا أنها غير صحيحة متنا، وجاؤا بتعليلات ركيكة مضحكة وبرهنوا على عدم فهمهم للغة العربية. وقد اكتفيت بالأمثلة المذكورة آنفا من الأحاديث التي أثاروا حولها الشُبه لأنها تكفي لمعرفة مدى جهلهم بالسنة وتجرئهم على القول الباطل في دين الله.

---

(١) مسلم: الحيض، باب/ ٢٢.

(٢) مسلم: الحيض، باب/ ٢١ ـ ٢٢.

الخاتمة

سوف أستعرض في الصفحات القادمة أهم المباحث التي تطرقت لها في هذه الرسالة وأذكر إن شاء الله في نقاط متسلسلة، النتائج التي وصلت إليها من خلال هذه الدراسات، حتى يتبين للقارىء الكريم ويتضح لكل منصف أن المحدثين الكرام سلكوا جميع السبل الممكنة، واستخدموا كل الطرق العلمية التي يمكن أن تخطر على قلب بشر استخدامها، لحفظ السنة النبوية، وتمييزها مما ليس منها من المفتريات والأكاذيب، واهتموا بنقد المتن تماما كما اهتموا بنقد السند، من دون أي تفريق بينهما، حتى جاءت السنة نقية صافية لا يعتريها شك. وصدق الله سبحانه إذ قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝٩﴾. فقد حفظت السنة النبوية بحفظ الله إياها وبتهيئته سبحانه لها أولئك الأئمة والمحدثين والرواة الذين أفنوا أعمارهم في سبيل حفظها.

١ ـ ذكرت في المقصد الأول من المدخل، أن البوادر الأولى لنقد الحديث ظهرت من عصر الرسول ﷺ. حيث أمر ﷺ بالتثبت في الأخبار، وخوّف من النتائج الوخيمة للكذب عليه ﷺ. بل ثبت أنه ﷺ جرح وعدل، والصحابة رضوان الله عليهم أجمعين تبعوه ﷺ من بعده وتحروا في قبول الأخبار ولم يقبلوا أي حديث منسوب إليه ﷺ إلا بعد التثبت من صحة الخبر.

٢ ـ فلما ظهرت الفتن في عهد صغار الصحابة، والتي كانت بداية مشئومة للكذب عليه ﷺ، جاء التشديد في قبول الحديث أكثر، واتخذت التدابير الممكنة لمنع تسرب الكذب إلى أحاديث الرسول ﷺ وبدأوا يسألون عن الإسناد، واشتهرت جماعة من الصحابة بالكلام في الجرح والتعديل.

٣ ـ فلما جاء كبار التابعين. برز فيهم جماعة في تتبع طرق الحديث وانتقاء الرجال وجرحهم وتعديلهم. ومقارنة الأحاديث بعضها ببعض حتى يظهر

الصحيح، ويتميز مما ليس من السنة النبوية.

٤ ـ ومن طبقة التابعين، أخذ هذا العلم كبار أتباع التابعين وصغارهم وسلكوا مسلكهم في حفظ الحديث وتنقيته والقدح في الضعفاء، واشتهر منهم أئمة في هذا الفن، جعلوا من حياتهم غاية لحفظ السنن النبوية، أمثال مالك والسُفيانَين وشعبة ويحيى القطان وغيرهم.

٥ ـ هؤلاء الأئمة تكلموا في الرجل وجرحوا من جرحوا وعدّلوا من عدّلوا، وذكروا ضوابط للجرح والتعديل، فظهرت التقعيدات العامة لفن الجرح والتعديل.

٦ ـ ثم جاء دور النقاد المحدثين الذين كانوا من بلدان مختلفة ومن جماعات متنوعة، فأخذوا علوم مشايخهم وجمعوا كل هذه العلوم وغربلوها فوُجد علم أسماء الرجال. وعلم نقد الحديث سندا ومتنا. كما وجدت علوم أخرى مساعدة، حتى أصبح نقد الحديث علما متكاملا، له قواعده وأصوله لدراسة ركنَي الحديث (السند والمتن).

٧ ـ وقد أثبتُّ بالأدلة أن علم نقد الحديث الذي توارثه المحدثون من أسلافهم بدأت كتابتها مع بداية كتابة الحديث كتعليقات وحواشي في كتب الحديث ثم مرت بمراحل، حتى انفصلت وأصبحت تُدَوَّن في كتب مستقبله. ولكن بعض هذه الكتب ضاعت، كما يشير إليه كتب المصطلح الموجودة التي تروي لنا الآراء النقدية لأولئك الأئمة وأقوالهم في الجرح والتعديل وذكرهم للعلل في الأسانيد والمتون.

٨ ـ كما أثبتُّ أن نقد الحديث اعتمد على أمرين أساسيين: دراسة حال الراوي ودراسة حال المروي. وأن منهج نقد المحدثين كان منهجا شاملا دقيقا، لم يدع جانبا من جوانب الحديث سندا ومتنا. إلا وقد اعتنى به.

٩ ـ وأثبت بالأدلة العقلية: أن نقد السند أهم من نقد المتن، وأن فكرة الاعتماد على النظر في المتن وحده، فكره أثبتت التجربة أنها خاطئة، وأن نقد الأسانيد

له اتصال وثيق بنقد المتن.

١١ ـ ثم ذكرت أهم القواعد التي وضعها النقاد لنقد الراوي والمروي.

١٢ ـ وفي المقصد السابع الذي هو الأخير من المدخل، بينت: كيف أن علم نقد الحديث كان له الأثر العظيم في حفظ السنة. وكيف أن المحدثين رتبوا كتب السنة على طبقات باعتبار الصحة والشهرة حتى إطمأنت إليها الأمة وجعلتها نبراساً لحياتها ومصدراً لتشريعها.

١٣ ـ وفي بداية الباب الأول، وتمهيد للشروع في مباحثه، التي تدور حول نقد السند. أتيت بذكر الأسباب التي دعت إلى ظهور الإسناد. وأن بعضا من الصحابة، أحجموا عن الرواية عند اشتداد الفتن وانتشار الكذب، ولكنه لم يكن الحل الصحيح للمشكلة. وكان لابد من الحلول الجذرية لها، ومن التقيد بأصول وقواعد تضع الحد من هذه الظاهرة الخطيرة.

فظهر السؤال عن الإسناد:

١٤ ـ واعتبر الإسناد ركنا من ركني الحديث. وتحمّل المحدثون مشاق السفر إلى بلاد نائية، بحثا عن أسانيد الأحاديث، بل عن إسناد الحديث الواحد، لأنه استقر في أذهانهم أنه لا يمكن تصور الحديث بدون الإسناد، واشتهر بينهم: أن السند للخبر كالنسب للمرء.

١٥ ـ وكما أنهم استعملوا الإسناد للحديث، استعملوه كذلك لرواية الكتب.

١٦ ـ ثم اهتموا بنقد هذه الأسانيد، فرتبوا أسماء الرواة بحسب القوة والضعف والسنة والبدعة، وعرفوا الأحفظ فالأحفظ، والأضبط فالأضبط وكتبوا الحديث من عشرين وجها فأكثر، وأجروا عملية المقارنة بين الروايات حتى وصلوا إلى نتائج صحيحة ودقيقة.

١٧ ـ ولم يكتفوا بهذا. بل بحثوا في عدالة الراوي وضبطه، وذكروا معنى العدالة، وكيفية ثبوتها للراوي، والأمور التي تسلب العدالة من الراوي.

وذكروا معنى الضبط، وكيفية ثبوته للراوي، والأمور التي تسلبه من الراوي. ثم نصوا على أنه لا يقبل إلا حديث الثقة الضابط، وردُّوا حديث أهل الغفلة والغلط والكذب والبدعة.

١٨ ـ ومن عنايتهم بنقد السند أن بحثوا في اتصال السند وانقطاعه وصرفوا إليهما اهتمامهم البالغ، وجعلوا اتصال السند شرطا أساسيا لكون الحديث صحيحا. وذكروا معنى الاتصال، وأنواع الحديث المتصل ودرجاتها وأحكامها من حيث القبول والرد كما ذكروا معنى الانقطاع وأنواع الحديث المنقطع ودرجاتها وأحكامها بكل تفاصيلها.

١٩ ـ ومن عنايتهم بنقد السند أيضا أن اهتموا بمعرفة طرق تلقي الحديث وأدائه ووضعوا مصطلحات خاصة تحدد كيفية التلقي وأدائه، حتى أمكن لهم الحكم على كل حديث بأنه صحيح أم غير صحيح، متصل أو منقطع.

٢٠ ـ ثم تطرقت لموضوع العنعنة عند المحدثين، لأن لها ارتباطا قويا بنقد السند، ومعرفة صحيحه من سقيمه. وذكرت أقوالهم في الحديث المعنعن، والشروط التي يجب توافرها لقبوله، كما تطرقت لبيان الحكم في الأحاديث المعنعنة في الصحيحين.

٢١ ـ وشرحت معنى الشذوذ في السند. وتعريف الشاذ واختلاف العلماء فيه وحكمه عند المحدثين، وارتباطه بنقد السند. وجئت بالأمثلة التي ألقت ضوءا كافيا على مدى اهتمام المحدثين بنقد السند.

٢٢ ـ ثم بيَّنت مفهوم العلة في الحديث، وأهمية معرفتها. وكيف أن المحدثين الأجلّة اهتموا بها، وأنه لم يخض في هذا الغمار إلا الجهابذة في علوم الحديث لكونها من أدق العلوم وأغمضها.

وقد ذكرتُ أن العلة قد تكون في السند، وقد تكون في المتن، وأوضحت بالأمثلة الكثيرة مدى اهتمام المحدثين بمعرفة العلل في السند، وذلك تمشيا على قاعدتهم بالاهتمام بكل ما له صلة بنقد السند.

وهكذا، بذلت جهدي المتواضع للإثبات أن نقاد المحدثين اعتنوا بنقد السند وتمييز صحيحه من سقيمه بجميع الوسائل الممكنة.

٢٣ ـ وأما الباب الثاني، فقد بدأته ببحث مطول عن اهتمام المحدثين بنقد المتن وبينت فيه أن النقد عند المحدثين يشمل الراوي والسند والمتن. وأن الاهتمام بنقد المتن بدأ من الصحابة رضي الله عنهم. ومشى عليه التابعون وأتباعهم. واستخرجت أمثلة كثيرة من بطون الكتب لإثبات هذه الحقائق، وللإيضاح أن المباحث التي تطرق لها مؤلف كتب المصطلح لم تقتصر على مباحث الإسناد، بل إن أبحاثهم دارت في محيط ثنائي مؤلف من السند والمتن، وأنهم وضعوا قواعد في الجرح تُنبىء عن النقد الخفي للمتن، وجئت بتلك القواعد. وشرحت أهمية قانون الاعتبار والمعارضة لنقد المتن، وأن الصحابة والتابعين ومن جاؤا بعدهم من أئمة الحديث طبّقوا هذا القانون، وأن كثيرا من الاصطلاحات التي أطلقها المحدثون على الرواة، إن هي إلا تسميات لنتائج مقارنات ومعارضات بين مرويات الراوي ومرويات غيره. ثم أطلقوا على الراوي لفظا يحدد مقدار ضبطه ودرجة مروياته. وهذا يعني أنهم درسوا المتون وقارنوها بمتون أخرى.

٢٤ ـ وبيَّنت كذلك، كيف أن النقاد استخدموا التاريخ لنقد المتون، مستدلا بأمثلة كثيرة مستخرجة من أمهاب الكتب.

٢٥ ـ كما ذكرت أن الاهتمام بنقد المتن واضح في رواية الحديث باللفظ وأن الشروط التي ذكرها الإمام الشافعي وغيره من الأئمة لجواز الرواية بالمعنى، مردُّ كلها إلى الإهتمام بالمتن، واتخاذ السُّبل اللازمة لحفظه من التبديل والتحريف.

٢٦ ـ ثم جئت بأمثلة عديدة من مؤلفات أئمة النقد لأُدَلِّل على أن المحدثين لم يخطوا خطوة في دراسة الأحاديث النبوية ومقارنة بعضها مع بعض إلا وقواعد نقد المتن كانت نصب أعينهم في كل لحظة، وأنه لم يوجد حديث

صحيح أو سقيم في الدنيا إلا وقد درسه النقاد سنداً ومتناً.

٢٧ ـ وذكرت في مبحث مستقبل، أن العلة كما تكون في السند قد تكون في المتن أيضا وأن المحدثين اعتنوا بهذا، ونقدوا متون مئات من الأحاديث لوجود علة فيها. ولكن من العجيب المفيد أنهم كلما وجدوا حديثا معلولا منه، جاؤا إلى سنده بالبحث والتمحيص، فوجدوا فيه ما يدعو إلى تركه أو الشك فيه.

٢٨ ـ ثم ذكرت القواعد التي اتبعها النقاد لإدراك العلة، القواعد التي كانت نتيجة تجاربهم الدقيقة العميقة في مجال النقد.

٢٩ ـ ثم تطرقت لموضوع (الشذوذ في المتن) وبيَّنت ماذا يعني الشذوذ في المتن، وأن النقاد تعرضوا لجميع الأحاديث التي خالف فيها الراوي الفرد الأضبط منه والأحفظ، أو خالف جماعة، وبيَّنوا ما فيها من المخالفة والشذوذ، وذكروا الزيادة والنقصان، وكشفوا ما فيها من القلب أو الإضطراب أو التصحيف أو الأنواع الأخرى من عيوب المتن. وأثبتُ كل هذا بالأمثلة التي استخرجتها من بطون المراجع.

وهذا إن دل على شيء، فقد دل على اهتمام النقاد بالمتن ومعرفة ما يطرأ عليه من العلل والعيوب الأخرى.

٣٠ ـ وفي فصل خاص أوضحت: كيف أن المحدثين اهتموا بمعرفة الأحاديث الموضوعة ووضعوا ضوابط علمية وقواعد ثابتة، وحدَّدوا أمارات لمعرفتها بدون أن ينظروا في السند، وأحوال رجاله، وأن تلك الأمارات قد تكون في السند، وقد تكون في المتن. وأن هذه المكانة العظمي أعني معرفة الأحاديث الموضوعة من دون النظر في السند، لا يبلغها إلا من وجدت فيه الصفات التي ذكروها.

٣١ ـ وذكرت أهمية كتاب (المنار المنيف) للعلامة ابن القيم رحمه الله في هذا الباب وشموله، ودقته في بيان الضوابط المجملة والتفصيلية لمعرفة

الأحاديث الموضوعة.

كما ذكرت تنبيه العلماء على أنه لم يثبت في باب كذا وكذا أي حديث وبعض الكتب التي ألفت في هذا الباب، وأن خير ما أُلِّف في هذا الموضوع هو كتاب (المنار المنيف) فقد أجاد في تتبع تلك الضوابط وجمعها في هذا الكتاب.

٣٢ ـ وفي الباب الثالث من الرسالة خصصت الكلام عن المستشرقين وأتباعهم من المنتسبين إلى الإسلام، والشبه التي أثاروها حول نقد المتن.

٣٣ ـ وليكون الحديث عن فئة المستشرقين أجمع وأشمل فقد بيَّنت حقيقة الاستشراق، ونشأته وتدرجه، وأهدافه، وصلته الوثيقة بالتبشير والاستعمار وحقده ضد الإسلام ومحاربته للشريعة الإسلامية والقرآن والسنة والسيرة النبوية والتاريخ الإسلامي.

٣٤ ـ وفي فصل خاص، فصَّلت القول بأن المستشرقين هم المسيحيون واليهود الذين درسوا الإسلام وكل ما ينتمي إليه للنيل منه والتشكيك فيه.

ثم ذكرت نماذج من المستشرقين ورؤسائهم وتاريخهم الموجز المظلم بظلام الحقد والحسد، كما ذكرت بعض الكتب التي ألفوها عن الإسلام لمحاربته وتشويه صورته الوضَّاءة وأن أغلب الدراسات الاستشراقية دراسات سطحية لم يتقن أهلها اللغة العربية ولم يفهموا مقاصد الشريعة الإسلامية وحكمها مع ما وجد لديهم من التعمد البغيض والتواطؤ الخبيث على تشويه صورة الإسلام.

٣٥ ـ ثم جئت بذكر موقفهم من السنة والذي يتلخص في محاولة إقناع قرائهم أن الأحاديث كانت صالحة لفترة الجاهلية وأنها متناقضة وأنها ازدادت مع مرّ الزمن بدخول الموضوعات فيها.

٣٦ ـ كما أوضحت أنهم استفادوا من المعتزلة، وأنهم اعتمدوا على الضعيف الشاذ وعلى المنهج المعكوس وهو أنهم بَيَّنوا الفكرة المسيئة إلى الإسلام

من قبلُ، ثم بحثوا في كتب القصص والأغاني ليَستلّوا منها ما يؤيد فكرتهم.

٣٧ ـ واتهموا الصحابة والمحدثين بوضع الأحاديث وأدَّعوا كذباً وزورا أن الموضوعات اختلطت بالصحاح ولم يمكن التمييز بينها.
وقد جئت بالرد على هذه المزاعم وكشفت حقيقة كذبهم وزورهم.

٣٨ ـ ثم جئت إلى ذكر المنتسبين إلى الإسلام وإنكارهم السنة وأن الفتنة أثارها في قديم الزمان، الخوارج والمعتزلة، ثم ماتت بنهاية القرن الثالث وقد ظلت مقبورة، حتى أحياها من جديد، أناس في البلدان العربية وأشخاص في شبه القارة الهندية. وبينت أن الفتنة أصبحت في الهند وباكستان أقوى، ونشأت جماعة أهل القرآن وتدرجت حتى أصبحت مشكلة دينية وعقدية في تلك البلاد.
وقد حاربها علماء السنة محاربة شديدة، ولكن الاستعمار ساعد منكري السنة ورَبّاهم وشَجَّعَهم.
ثم ذكرت الشبه التي أثارها أهل القرآن حول السنة، والفرق الموجودة منهم حاليا في باكستان وبعض الكتب التي ألفها علماء السنة في الرد على هذه الفرق وشبهها.

٣٩ ـ ثم بيّنت شبه المستشرقين وأتباعهم حول نقد المتن، وأن بعضهم نقلوا هذا الشبه من البعض الآخر وجئت بالرد على تلك الشبه ردا أرجو أن أكون قد وُفِّقت فيه.

٤٠ ـ وفي آخر هذا المحبث تعرضت لذكر بعض الأحاديث التي انتقدوها ـ على زعمهم ـ متنا مع بيان جهلهم أو تجاهلهم للحقيقة حتى يمكن للقاريء أن يقيس عليها الأحاديث الأخرى التي نقدوها والتي لا يسع المقام لذكرها كلها. وحتى يتيقن في نفسه أن هؤلاء الناس لا يتوقع منهم إلا الكيد للإسلام والحط من منزلة السنة النبوية. على صاحبها أفضل الصلوات وأتم

التسليمات.

٤١ ـ وبهذا، عرفنا: أن السنة النبوية حُفظت بحفظ الله لها. ووصلت إلينا صافية نقية من كل الشوائب والشكوك، إذ قيّض الله لها الأئمة العظام الذين سلكوا المنهج القويم المتضمن نقد السند والمتن بكل ما تعني الكلمة من المعاني والمفاهيم. فميَّزوا صحيحها من سقيمها وجمعوا الأحاديث الثابتة الصحيحة في مجموعات حديثية قبلتها الأمة بالإجماع مصدرا لتشريعها ومأخذا لجميع الخيرات الدنيوية والأخروية.

٤٢ ـ وإن الشبهات التي تثار ضدها من قبل أعداء الإسلام أو أبنائه المغترين لا تقوم في وجه الدليل والاحتجاج العلمي أدنى قيام، وأنها أغاليط وتمويهات تنكشف وتزول عندما تواجه المنهج العلمي الأصيل الذي هو منهج النقد عند المحدثين.

٤٣ ـ وأرى وأقترح بهذه المناسبة أن تُعنى الجهات العلمية في العالم الإسلامي:

أ ـ بإدخال السنة النبوية وعلومها مادة أساسية في المناهج الدراسية للمدارس والكليات حتى يكون النشأ الإسلامي على علم بما للسنة النبوية من مكانة عظمى في الإسلام وبما لها من أصول ومناهج نقدية لا يفوقها أي منهج نقدي في العالم الثقافي القديم والجديد.

ب ـ اختيار أساتذة متخصصين في السنة النبوية وعلومها لتبسيط علم المصطلح وصياغته في أسلوب شيق واضح وعرضه في كتب صغيرة الحجم، حتى يتلقاه الجيل الإسلامي الجديد من دون أن يشعر بغموض أو سآمة أو ملل.

جـ ـ إنشاء مجلات متخصصة في السنة وعلومها في كل بلد إسلامي للعناية بنشر الوعي السُنّي بين الشعوب الإسلامية والرد على الشبهات التي تثار من حين لآخر حول السنة النبوية، وإبراز العلوم العقدية والأخلاقية

والأحكام التشريعية فيها التي تضمن الخير والسؤدد والأمن والاستقرار للبشرية كلها.

والحمد لله الذي بفضله ومنّه تتم الصالحات، وصلى الله على نبينا وحبيبنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

☆☆☆☆☆☆

☆☆☆☆